الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس
كليـــة العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية

أدوار المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى السابع الهجريين، العاشر الثالث عشر ميلاديين

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب: *إشـــــــراف الدكتور:*

مبارك بشير شقرون الجيلالي

لجنـــة المنـــــاقشـــــة

محمد مجاود	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس	رئيسا
الجيلالي شقرون	أستاذ محاضر " أ"	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
سعدي شخوم	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس	مناقشا
عبيد بوداود	أستاذ التعليم العالي	جامعة مصطفى سطمبولي معسكر	مناقشا
عمر بلبشير	أستاذ محاضر " أ"	جامعة مصطفى سطمبولي معسكر	مناقشا
محمد السنوسي شوالين	أستاذ محاضر " أ"	جامعة وهران	مناقشا

السنـــــــة الجامعيـــــــــة

1438–1437 هـــ / 2016 –2017 م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس

كليـــة العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

أدوار المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى السابع الهجريين، العاشر الثالث عشر ميلاديين

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط

إعداد الطالب: *إشـــــــراف الدكتور:*

مبارك بشير شقرون الجيلالي

لجنـــــــة المنـــــــــاقشـــــــــــة

محمد مجاود	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس	رئيسا
الجيلالي شقرون	أستاذ محاضر " أ"	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس	مشرفا ومقررا
سعدي شخوم	أستاذ التعليم العالي	جامعة جيلالي ليابس سيدي بلعباس	مناقشا
عبيد بوداود	أستاذ التعليم العالي	جامعة مصطفى سطمبولي معسكر	مناقشا
عمر بلبشير	أستاذ محاضر " أ"	جامعة مصطفى سطمبولي معسكر	مناقشا
محمد السنوسي شوالين	أستاذ محاضر " أ"	جامعة وهران	مناقشا

السنـــــــة الجامعيـــــــــة

1437ـــ1438 هـــ / 2016–2017 م

بسم الله الرحمن الرحيم

۞ وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾

سورة التوبة الآية رقم **122** .

- الإهداء -

إلى حكمتي ..... وعلمي

إلى أدبي ..... وحلمي

إلى طريقي ..... المستقيم

إلى طريق ..... الهداية

إلى روح والدي العزيز ..... الذي رباني فأحسن تربيتي ..... تغمده الله

برحمته ..... وطيب أثره وجعل الجّنة مثواه .

إلى والدتي العزيزة التي أخلصت في تربيتي شفاها الله وأطال في عمرها

إلى زوجتي

إلى ابني ياسين

إلى كل أفراد عائلتي كبيرا وصغيرا .

إلى كل أحبائي وإخوتي حفظهم الله .

– شكر وعرفان –

وأنا أنجز رسالتي بعد حمد الله وشكره لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والعرفان للدكتور الأستاذ الفاضل **شقرون الجلالي** بإشرافه على إعداد هذه الرسالة بتوجيهاته في بداية عملي، فالكلمات تعجز عن إيفائه حقه، حيث رافقني في إعدادها بكل صبر ومودة موجهاً ومصوباً لكثير مما ورد فيها، وما أولاني به من عنايته الكريمة، وما أفاض به عليّ من سعة صدره، وغزير علمه، ودقيق ملحوظاته. مما كان له الأثر بعد فضل الله في تذليل صعاب البحث وإخراجه إلى الوجود، فالله أسأل أن يجزيه أفضل ما يجزى به أستاذ عن تلميذه .

والذي نقول له بشراك قول رسول الله صلى الله عليه وسلم:" **إن الحوت في البحر والطير في السماء، ليصلون على معلم الناس الخير** "، كما لا يفوتني أن أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى السادة أعضاء لجنة المناقشة على جيد قراءتهم لهذا الدراسة .

ومن واجبي أيضا أن أتقدم بالشكر إلى عمادة كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية **بجامعة الجيلالي اليابس سيدي بلعباس**، وإلى كل أساتذتي الأفاضل الذين نهلت من علمهم، وإلى كل من أعانني بنصيحة أو عمل، وفي مقدمة هؤلاء **الأستاذ الدكتور بوداود عبيد**، كما لا يفوتني أن أشكر أساتذة الأدب العربي الأفاضل الآتية أسماءهم الذين ساعدوني في عملية التدقيق اللّغوي " **بوحزام الشيخ، كروش المختار، راشدي محمد، سلام فاتح** " .

إلى هؤلاء جميعاَ التحية والتقدير.

مقدمة

مقدمـــــــة

تعتبر العلوم الدينية على اختلاف فروعها من أسبق العلوم التي وَجَدَت عناية وحرصًا كبيرين في الثقافة الإسلامية، حيث تأسست عليها الحركة العلمية في المجتمع الإسلامي. فالمسلمون لم يعتنوا بشيء كدرجة عنايتهم بالعلوم النقلية وما كان يخدمها من علوم مساعدة، وإذا كانت العلوم الدينية بهذه المنزلة في الفكر الإسلامي فإنّ أهمها ما كان يتعلق بالقرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، فهما مصدر الهداية كما قال المصطفى صلى الله عليه وسلم :" **تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَكْتُمْ بِهِمَا: كِتَاب اللهِ وسُنَّةَ نَبِيِّهِ**"[1].

إنّ القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة أصلان ثابتان لكل المذاهب التي نمت وترعرعت في البيئة الإسلامية بفضل تضافر مجموعة من العوامل منها: عناية الخلفاء بالفقه والفقهاء، واتساع بلاد المسلمين التي اختلفت عاداتها وتقاليدها، الأمر الذي أدّى إلى كثرة الاجتهاد. ونتيجة لشيوع الاجتهاد ظهرت العديد من الاتجاهات والآراء المختلفة تكونت منها المدارس الفقهية، ثم تبلورت تلك المدارس فصارت مذاهب نسبت إلى مؤسسيها الذين سار أتباعهم على خطاهم وعملوا بمقتضى آرائهم كأبو حنيفة النعمان (150هـ/767مـ)، وسفيان الثوري (161هـ/777مـ)، ومالك بن أنس (174هـ/790مـ)، والليث بن سعد (175هـ/791مـ)، والشافعي (204هـ/819مـ)، وداود بن علي الأصبهاني (270هـ/883مـ)، وابن حزم الأندلسي (456هـ/ 1072مـ) قطبا المذهب الظاهري بالمشرق والمغرب على التوالي.

إنّ موضوع المذاهب الفقهية جدير بالدراسة خاصة وأنّه جزء لا يتجزأ من التاريخ الإسلامي، فالبحث فيه هو بحث في جوهر حضارة الأمة وأصالتها .

لذا يعتبر موضوع المذاهب الفقهية السنية من بين المواضيع التي لقيت اهتماما واسعا لدى الباحثين والدارسين قديما وحديثا، خاصة وأنّ المذاهب في الإسلام كثيرة ومتنوعة منها الخمسة المشهورة التي لقيت استحسانا عند الجماهير والسلطة: كالمذهب الحنفي، والمالكي،

---

[1]- مالك بن أنس إمام دار الهجرة (93 -179هـ/711-795مـ)، **الموطأ برواية يحي بن يحي الليثي (152-234هـ/ 769-848مـ)، وعليه زيادات رواية أبي مصعب الزّهري المدني (150-242هـ/767-856مـ)،كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، حديث رقم 1718**، تحقيق كلال حسن علي، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، ط 01، 1434هـ/2013مـ، ص 688 ./ فالح بن محمد بن فالح الصغير، **تركت فيكم أمرين دراسة لمصدرية التلقي في هذا الدين**، دار ابن الأثير، 1425هـ/2004مـ، ص 07 .

والشافعي، والحنبلي، والظاهري. هذا الأخير محور دراستي يدرج عند الكثيرين في خانة المذاهب المندرسة، لكن إذ ما تعمقنا في البحث فيه لوجدنا فتاوى أعلامه لا يزال يأخذ بها وهي محفوظة في مجموعة كبيرة من مدونات الفقه كما أن له أتباع في مختلف الفترات التاريخية وبالتالي في رأيي لا يمكن إدراجه ضمن المذاهب المندرسة .

إنّ الكثير يتساءلون عن الغاية من الاشتغال بدراسة المذاهب الفقهية التي زالت و لم يعد لها ذكر على الألسنة وقد ردّ عليها العلماء قديما وحديثا.

إنّ دراستها لا تقتصر على التطرق لمؤسسيها وعصرهم فقط، بل الهدف المرجو من وراء ذلك هو التعرف على أصولها وقواعدها التي لا يزال تأثيرها واضحا في مجتمعنا، فإذا ألقينا نظرة على مذهب من المذاهب لوجدنا امتداده يسري في الأمة سيران الدم في الجسد، وأقرب مثال على هذا المذهب الظاهري الذي لا يزال يأخذ بفتاوى فقهائه في مقدمتهم ابن حزم، بل إنّ أتباعه كثر في الفترة الحديثة بالمغرب الأقصى وأخص بالذكر أفراد الأسرة الكتّانية، كما وجد منتحيليه حاليا بالخليج العربي ومن هؤلاء أذكر: "**ابن عقيل الظاهري**"، و"**عبد العزيز الحربيّ**" مؤسس مجمع اللغة العربية على الشبكة العنكبوتية. هذا إضافة إلى الدور الرائد الذي تلعبه الدراسات الموضوعية المتخصصة التي لا تميل لهذا المذهب أو ذاك ودورها في اتحاد كلمة المسلمين، أضف إلى ذلك أن ترك دراسة موضوع المذاهب قد تفسح المجال للمنحرفة منها أن تدعو لأفكارها وبدعها دون أن تجد من يواجهها بالدراسة والنقد والمناظرة والتأليف .

لقد شجعتني الأهمية الكبرى لدراسة المذاهب الفقهية في مجتمعنا الإسلامي على خوض غمار البحث في أحد المذاهب الفقهية – المذهب الظاهري- بالمغرب الإسلامي، وتقديمه كدراسة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ الوسيط موسومة بـــ:" **أدوار المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي من القرن الرابع إلى السابع هجريين، العاشر – الثالث عشر ميلاديين**" .

إنّ الموضوع الذي تناولته في هذه الدراسة والذي شرحت فكرته الرئيسة لم يأت من فراغ فقد كتبت حوله مجموعة من الدراسات التي اهتمت بدراسته من الناحية الفقهية في

حين لم تعتني به من الناحية التاريخية، وإن وجدت دراسات في هذا المجال فهي سطحية وقليلة، وهذا راجع لصعوبة الكتابة حول هذه المواضيع، إضافة إلى نقص المادة العلمية .

لقد ساعدني كل ما اطلعت عليه من كتابات ودراسات حول المذهب الظاهري على رسم خطة الدراسة ومهّد لي الطريق لمعالجة ما ورد فيه من نقص، فمن أهم الدراسات التي سبقتني إلى معالجة هذا الموضوع بصورة عامة أذكر:

– دراسة توفيق بن أحمد الغلبزوني الإدريسي: "**المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها – أعلامها – أصولها وأثرها**"، وهي دراسة فقهية أكثر منها تاريخية ركزّ فيها على الأثر الفقهي والنحوي للمذهب الظاهري بالمنطقة، علما أنه قد تعذر علي الحصول عليها رغم ربط الاتصال بصاحبها بالمغرب الأقصى، وتمكنت من التعرف على محتواها من خلال الموقع الإلكتروني على الشبكة العنكبوتية للمؤلف .

– دراسة أحمد بكير محمود:" **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**"، تميل هذه الدراسة إلى الجانب الفقهي و لم يتطرق فيها صاحبها لأدوار المذهب الظاهري في المنطقة باستثناء حديثه عن الأثر الثقافي باختصار شديد .

– دراسة عبد الباقي السيد عبد الهادي الموسومة بـــــ:" **المذهب الظاهري نشأته وتطوره بالمغرب والأندلس حتى نهاية الموحدين**" المنشورة في حولية سيمنار التاريخ الإسلامي الوسيط، العدد الثاني"، تطرق فيها لبعض الجوانب التاريخية للمذهب .

ما يلاحظ على هذه الدراسات أنّها لم تفرد لموضوع " **أدوار المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي**" دراسة خاصة مستقلة، وإنما جاء الموضوع ضمن دراسات عامة فظلّ بذلك يفتقد لدراسة خاصة، الأمر الذي شجّعني على خوض غمار البحث فيه .

إنّ اختيار هذا الموضوع وتقديمه كأطروحة لنيل شهادة دكتوراه كانت وراءه جملة من الدوافع هي:

– الرغبة في استجلاء أدوار المذهب الظاهري المختلفة حتى أساهم في إخراج جانب من الجوانب المذهبية والفكرية لبلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة الزمنية المدروسة .

– مواصلة طريق توجه الدراسات الأكاديمية نحو إحياء التراث الحضاري وربط بعض حلقاته التي سبقني إليها بعض الدارسين .

- المساهمة في إثراء الدراسات التاريخية الجزائرية حول التاريخ المذهبي في المنطقة .
- خدمة ودراسة تراث من سبقني بالعلم إيمانا منّي بضرورة إخضاع تراث العلماء ذوي الهمم للدراسة والتحليل لاستخلاص العوامل التي جعلت هؤلاء في قمّة العطاء العلمي .

إنّ الهدف المرجو من وراء هذه الدراسة ليس تأييدا أو معارضة للمذهب الظاهري، وإنّما اخترته حتى أوضح العوامل التي ساعدت على دخول وانتشار المذهب في بلاد المغرب الإسلامي، وأبرز أدواره في مختلف الجوانب (السياسية، والاجتماعية، والدينية، والفكرية، والاقتصادية)، وحتى تكون الدراسة مادة علمية جاهزة يستفيد منها أهل العلم .

للإشارة يشمل المجال الجغرافي للبحث على منطقة المغرب الإسلامي الذي يضم المغرب الأدنى، والمغرب الأوسط، والمغرب الأقصى، والأندلس، وصقلية. وقد اخترت هذه المنطقة حيزا جغرافيا لأطروحتي لثبوت أركان الظاهرية فيها، وللترابط الوثيق بين الأندلس والمغرب، فالخصوصيات الثقافية للمنطقتين متشابهة إلى حد بعيد، والعديد من علماء المغرب والأندلس كانت نشأتهم الثقافية بين المنطقتين، ومن أردا أن يتعرف على هذا ما عليه سوى الرجوع إلى كتب التراجم في مقدمتها كتاب عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية للغبريني .

أما الفترة الزمنية للدراسة فقد حصرتها ما بين القرن الرابع والسابع هجريين (10-13مـــ) لأنها تمثل أزهى فترات المذهب الظاهري في المغرب الإسلامي، وذلك أن ابن حزم مدون المذهب الظاهري وباعثه من جديد عاش خلال القرن الرابع للهجرة (10مـــ)، وبعده بفترة يسيرة تأسست دولة الموحدين التي تبنت المذهب الظاهري مذهبا رسميا لها.

لكن الدراسة في بعض الأحيان خرجت عن المجال الجغرافي والإطار الزمني المحددان سابقا وذلك تماشيا مع متطلبات البحث، لأن الكتابة حول المذهب الظاهري خلال الفترة الزمنية للبحث تتطلب الحديث عنه في المشرق قبل دخوله إلى المغرب، باعتبار أن مؤسس المذهب عاش في بغداد خلال القرن الثالث الهجري (09مـــ) .

لقد حاولت في هذه الدراسة التطرق للموضوع من كل الزوايا رغم صعوبتها في الجانب المذهبي وبالخصوص موضوع المذهب الظاهري لنقص المادة العلمية، لكن رغم ذلك

فضّلت المغامرة والبحث فيه لأنه يخص جانب مهم من التاريخ المذهبي لمنطقة المغرب الإسلامي .

أمام هذا الواقع، سيعالج موضوع "**أدوار المذهب الظاهري في المغرب الإسلامي ما بين القرن (04- 07هـ/ 10 – 13مـ)**" من خلال الإجابة عن الإشكالية الرئيسة وهي:

- ما طبيعة مشاركة فقهاء المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي في مختلف المجالات ؟

لتوضيح ذلك يترتب علي الإجابة عن بعض الإشكالات الفرعية وهي:

- ما العوامل المساعدة على دخول وانتشار المذهب الظاهري في بلاد المغرب ؟
- هل كان للسلطة السياسة دور في انتشار المذهب الظاهري في المنطقة ؟
- من هم أبرز أعلام المذهب بالمنطقة ؟
- كيف خدم المغاربة من الأعلام المذهب الظاهري ؟
- هل تهيأت الظروف لفقهاء المذهب الظاهري في بلاد المغرب الإسلامي خلال الفترة المدروسة لاتخاذ مواقف معينة ؟
- هل اتصف فقهاء المذهب بقوة الشخصية في اتخاذ القرارات ؟
- ما طبيعة العلاقة بين المذهب الظاهري وبقية المذاهب التي عاصرته بالمنطقة ؟

للإجابة عن إشكالات البحث وتساؤلاته كان لا بد من اعتماد واستخدام منهج تاريخي معين بالرجوع إلى المادة العلمية المبثوثة في مختلف أنواع المصادر التاريخية التي تناولت الموضوع أو طرقته في أحد جوانبه، فلكل بحث طريقٌ ونهجٌ ولكل عمل خطّة ومنهج، فوجدت أنّ المنهج الذي يساعدني في معالجة الموضوع ينبغي أن يكون جامعًا بين الوصف، والاستقراء، والمقارنة، والتحليل، ويمكنني استعراض خطواته على النحو الآتي:

01 – **الجمع**: في هذه المرحلة جمعت مادة البحث العلمية من مصادرها الأصلية ومراجعها والدراسات التي لها علاقة بالموضوع، وحاولت أن أتصفح كل ما تمكنت من الوصول إليه من كتابات حول المذهب الظاهري في مختلف التخصصات، كما استعنت في عملية الجمع بما أنجز حول داود بن علي الظاهري، وابن حزم الأندلسي من دراسات وأبحاث ومراجع أخرى عامة تخص موضوع البحث .

02- الدراسة والتوثيق: في هذه الخطوة قمت بدراسة المادة العلمية التي جمعتها من أجل التعرف على مضمونها، كما قمت بتوثيق ما نقلته من أقوال المؤرخين والباحثين وذلك بالإحالة على كتبهم أو كتب من نسب إليهم القول إذا صعب الوصول إلى كتبهم وذلك بعبارة نقلا عن الكتاب الفلاني، وقمت بالرجوع إلى المصحف الشريف، وعزوت الآيات القرآنية إلى سورها، كما خرّجت الأحاديث النبوية الشريفة من مصادرها الأصلية، وقمت أيضا بترجمة جملة من الأعلام الواردة في الدراسة ترجمة موجزة، كما عرّفت بجملة من الأماكن، والمواقع الجغرافية تعريفا مختصرا بالرجوع إلى كتب الجغرافيا والرحلات، وقمت أيضا بإحالة ما اقتبس من نصوص على مصادرها بدقة، فذكرت مصدرها الذي وردت فيه، ومؤلفه، ومحققه، والجزء، والصفحة وذلك عندما ذكر الكتاب لأول مرة، أما عندما يتكرر ذكره فإنني اكتفيت بذكر عنوانه مختصرا إذا كان لصاحبه مجموعة من الكتب اعتمدت عليها كمصادر أو مراجع في البحث، إضافة إلى ذكر الطبعة، والتاريخ، ودار النشر.

03- التحليل: في هذه المرحلة قمت بعرض المادة العلمية لتحليل نصوصها.

04- المقارنة: في هذه الخطوة عملت على تحاشي الاعتماد على دراسة أحادية الجانب، فرجعت إلى كل ما استطعت الحصول عليه من كتابات حول المذهب الظاهري وقمت بمقارنة تلك الدراسات مع بعضها البعض.

إن موضوع أدوار المذهب الظاهري لا يتوفر على مصادر خاصة، وإنّما جاءت مادته العلمية متفرقة على عدد من المصادر والمراجع ارتأيت أن أصنفها على النحو التالي:

01- كتب الطبقات والتراجم:

تكتسي هذه الكتب درجة كبيرة من الأهمية في دراسة التاريخ الإسلامي عامة والحركة الفقهية خاصة، حيث تعكس تطورات المذاهب الفقهية وتقف على إنتاجها الثقافي والفكري، فكشفت لي إسهامات فقهاء المذهب الظاهري ببلاد المغرب في المجال السياسي، والاجتماعي، والديني، والفكري، والثقافي .

إنّ هذه المصادر أفادتني إفادة واسعة وزودتني بمعلومات قيّمة في كل مرحلة من مراحل البحث، ومن بين أهم كتب التراجم والطبقات التي اعتمدت عليها في دراستي أذكر:

- كتاب "**سير أعلام النبلاء**" للإمام شمس الدين الذهبي المتوفى سنة (748هـ/1374مـ) مؤرخ بلاد الشام، هذا الكتاب من أوسع المعاجم المخصصة للعلماء يقع في ثلاثة وعشرين مجلدا، جمع فيها الذهبي تراجم عدد هائل جدا من رجال أهل العلم في العالم الإسلامي البارزين في كل فن وعلم، وقد احتوى على معلومات وفيرة تنفع الباحثين في مختلف أنواع المعرفة، والكتاب في عمومه يؤرخ لعلماء الحديث النبوي الشريف، والفقه وأصوله، والأدب، ومنهم أعلام المذهب الظاهري. ساعدني هذا الكتاب في الحصول على مجموعة من التراجم لأعلام المذهب الظاهري بالمشرق والمغرب، كما استقيت منه مادة علمية غزيرة تخص تاريخ المذهب وعلماؤه وإسهاماتهم في مختلف المجالات .

- **كتاب الصلة** لابن بشكوال المتوفى سنة (578هـ/1182مـ) من أهم كتب التراجم جمع فيه صاحبه تراجم أعيان علماء الأندلس مرتباً أسمائهم ترتيباً أبجدياً، ومعه كتاب "**صلة الصلة**" لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي المتوفى سنة (708هـ/1308مـ)، ساعدني هذا الكتاب في الحصول على معلومات مهمة وقيّمة أَثْرَتْ البحث حيث كشف لي كثير مما يخص المذهب الظاهري، فصاحبه قدّم فيه تراجم وافية لفقهاء المذهب كما قدّم لي معلومات هامة عن واقع المذهب بالمنطقة الذي أغفلته كتب التاريخ العام .

- كتاب **أزهار الرياض في أخبار عياض** للمقري شهاب الدين التلمساني، يعتبر من أهم الكتب استفدت منه كثيرا في الحصول على معلومات قيّمة عن بعض الفقهاء والأعلام الواردة أسماؤهم في الدراسة .

- كتاب **طبقات الفقهاء** للشرازي أبي إسحاق الشافعي، شيخ الشافعية في وقته المتوفى سنة (393هـ/476هـ)، أفادني هذا الكتاب في تقديم تراجم وافية عن بعض الأعلام والشخصيات الواردة في البحث .

- كتاب **الإحاطة في أخبار غرناطة** للسان الدين بن الخطيب ذي الوزارتين، يعد من أمهات كتب التاريخ الأندلسي التي عوّل عليها الباحثون، يدور موضوع الكتاب حول الحديث عن تاريخ غرناطة وهو عبارة عن موسوعة تؤرخ لكل ما يتعلق بهذه المدينة من أخبار، وأوصاف، ومعالم تاريخية، كما يغطي الجوانب الفكرية فيترجم لمجموعة كبيرة من الأعلام الذين مرّوا بها من الكتاب، والشعراء، والأدباء قدّر عددهم بحوالي خمس مائة شخصية،

أفادني في الدراسة، حيث حصلت من خلال التراجم التي قدّمها على مادة علمية قيّمة حول أعلام المذهب الظاهري .

02- كتب الفقه والحديث:

باعتبار موضوع الدراسة يتكلم عن أحد المذاهب الفقهية كان لابد من الاعتماد على بعض كتب الفقه والحديث أذكر منها:

- كتاب "**المحلى بالآثار** لابن حزم الأندلسي، يعد هذا الكتاب من أبرز كتب الفقه التي أفادتني في الدراسة، فصاحبه يعتبر رمز المذهب الظاهري في بلاد المغرب، ساعدني على تحديد أصول المذهب الظاهري، كما قدّم لي معلومات قيّمة عن الدور الديني للمذهب بالمنطقة .

- كتاب "**الذّبُّ عن مذهب مالك في غير شيء من أصوله وبعض مسائل من فروعه وكشف ما لبس به بعض أهل الخلاف، وجهله من محاج الأسلاف**" لأبي زيد القيرواني أبي محمد عبد الله المتوفى سنة (386هـ/996مـ)، قدّم لي هذا الكتاب مادة علمية لبأس بها حول أعلام المذهب الظاهري في بلاد المغرب كما ساعدني في التعرف على المناظرات العلمية التي جرت بين فقهاء المذهب المالكي وفقهاء المذهب الظاهري .

أما أبرز كتب الحديث التي اعتمدت عليها في دراستي أذكر:

- الجامع الكبير، سنن الترمذي: للترمذي المتوفى سنة (279هـ/ 892مـ)، ساعدني في تخريج مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة التي تخدم الدراسة .

– **سنن أبو داود**، يعتبر من أبرز كتب الحديث النبوي الشريف ساعدني في تخريج الأحاديث الواردة في الرسالة .

03- كتب التاريخ العام :

يأتي على رأس هذه الكتب " **كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**" لعبد الرحمن بن خلدون المتوفى سنة (808هـ/1406مـ)، هو عبارة عن موسوعة تاريخية مقسمة إلى أربعة أقسام، القسم الأول منها يمثل المقدمة، والقسم الثاني خصصه صاحبه لأخبار العرب وأجيالهم منذ الخليقة حتى عصره والشعوب التي عاصرتهم، أما القسم الثالث فخصصه للبربر وأجيالهم وما كان

لهم من دول في المغرب، والقسم الرابع خصصه لمسيرته طول حياته سماه التعريف بابن خلدون ورحلته مشرقا ومغربا، استفدت منه كثيرا في بحثي خاصة القسم الأول منه "**المقدمة**" حيث قدّم لي معلومات تاريخية مهمة عن الجانب المذهبي لبلاد المغرب، كما أفادني في الكتابة عن المناظرات العلمية، وتعريف بعض المصطلحات الواردة في الدراسة.

- **كتاب المعجب في تلخيص أخبار المغرب** لعبد الواحد المراكشي المتوفى سنة (647هـ/1250مـ) عالج الكتاب مجموعة من الأحداث التاريخية، والسياسية، والثقافية، والاجتماعية، والجغرافية لبلاد المغرب الإسلامي، قدّم لي معلومات قيّمة تخص دراستي، بحيث يعد من المصادر القليلة التي أوردت نصوصا أثبتت ظاهرية دولة الموحدين، كما استفدت منه في إبراز سياسة خلفاء بني عبد المؤمن في فرض المذهب الظاهري وخدمته .

- **رسائل ابن حزم"** أفادتني رسائل ابن حزم كثيرا في دراستي حيث قدّمت لي مادة علمية لبأس بها استطعت من خلالها توضيح أدوار المذهب الظاهري في مختلف المجالات.

04- كتب الرحلات والجغرافيا:

لهذه الكتب ميزة خاصة حيث تشترك في تشخيص الأوضاع السياسية، والأمنية، والاقتصادية، والعمرانية، والثقافية، والفكرية من أهمها أذكر:

- كتاب رحلة الوزان الحسن المعروف بليون الإفريقي المسماة " **وصف إفريقيا** " تقع في جزأين، تعتبر هذه الرحلة من كتب الجغرافيا، وهي كتاب يصف الديار، والجبال، والحياة الاجتماعية للمغرب الإسلامي، أفادتني كثيرا في التعريف ببعض حواضر بلاد المغرب الواردة في الدراسة .

- كتاب "**معجم البلدان** " لياقوت الحموي (547- 626هـ/1152-1228مـ)، موسوعة شهيرة، ساعدني هو الآخر في التعريف ببعض المناطق الجغرافية التي وردت في الرسالة .

05- كتب النوازل:

كتب النوازل هي تلك الكتب التي تحمل جملةً من القضايا والحوادث التي نزلت على الناس ورفعت إلى العلماء والفقهاء وأهل الفتوى في شكل أسئلة طلبا للفتوى بما يقتضيه الشرع الإسلامي، والعلم الذي يعنى بها هو علم النوازل .

ومن أبرز كتب النوازل التي اعتمدت عليها في دراستي كتاب " **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب** " للونشريسي أحمد بن يحيى المتوفى سنة (914هـ/1508مـ)، ساعدتني هذه الموسوعة الفقهية في إبراز دور المذهب الظاهري في المجال الاجتماعي، والاقتصادي .

كما اعتمدت في دراستي هذه على مجموعة من المراجع الحديثة التي تناولت المذهب الظاهري أو ما له علاقة به بالدراسة والتحليل مثل:

- كتاب أحمد بكير محمود **"المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب"**.
- كتاب أنخيل جنالث بالنثيا **"تاريخ الفكر الأندلسي"** .
- كتاب محمد بن محمد رفيع "**معالم الفكر الأصولي المالكي، من خلال فكر الباجي الأصولي"** .
- كتاب الإمام محمد أبو زهرة **"تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية"** .
- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي "**آداب البحث والمناظرة"** .

وحتى أثري الدراسة وأوفيها حقّها بالدراسة والتحليل اعتمدت أيضا على الدوريات العلمية المتخصصة، فالبحوث والدراسات المنشورة في المجلات العلمية الأكاديمية المحكمة تكتسي أهمية كبيرة لما تتميز به من تحليل وعمق في معالجة مختلف المواضيع، لذلك كنت جد حرص للحصول على ما صدر منها مما له صلة مباشرة بموضوع دراستي أذكر منها:

- مقال السيد عبد الباقي السيد عبد الهادي، الموسومة بـــ:" **المذهب الظاهري نشأته وتطوره بالمغرب والأندلس حتى نهاية الموحدين**"، منشورة في حولية سيمنار التاريخ الإسلامي الوسيط .
- بحثي الموسوم بـــ: "**المدرسة المالكية المغربية ما بين القرن (02هـ/08مـ – 05هـ/11مـ) بحث إحصائي من خلال كتاب جهرة الفقهاء المالكية**" المنشورة في مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية .

- مقال لإبراهيم القادري بوتشيش الموسومة بـــ:"**خطاب التقريب بين المذاهب الدينية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة حدود الإنجاز ومبادئ للتطوير**"،المنشورة في مجلة المواقف مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ الصادرة عن جامعة معسكر .

- مقال لسمير قدوري الموسومة بـــ: "**الردود على ابن حزم بالأندلس والمغرب من خلال مؤلفات علماء المالكية**"، المنشورة في مجلة الأحمدية .

كما اعتمدت في دراستي على عدد من الرسائل الجامعية "ماجستير ودكتوراه" أذكر منها:

- رسالتي لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط الموسومة بـــ:" **المدارس التعليمية بالمغرب الأوسط على العهد الزياني "633 - 962هـــ / 1235 - 1554مـــ"**، مسجلة بجامعة معسكر، الجزائر، نوقشت سنة 1432هـــ/ 2011مـــ .

- أطروحة تقدمت بها علياء هاشم ذنون المشهداني إلى مجلس كلية التربية في جامعة الموصل وهي جزء من متطلبات نيل شهادة دكتوراه فلسفة في التاريخ الإسلامي موسومة بـــ: " **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد**" .

- مذكرة صدّيقي عبد الجبار المقدّمة لنيل درجة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي الموسومة بـــ: "**سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات**"، مسجلة بقسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، بجامعة تلمسان، الجزائر .

- مذكرة يونس بحري المقدّمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تحت عنوان:"**الفقه المالكي في عصر الموحدين (515-668هـــ/1116-1269مـــ) دراسة تاريخية واجتماعية**، مسجلة بكلية العلوم الإسلامية، قسم اللّغة والحضارة، جامعة الجزائر 01 .

- مذكرة الأستاذ عبد القادر بوعقادة المقدّمة لنيل درجة الماجستير في التاريخ الوسيط، الموسومة بـــ: **المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة (08 و09 للميلاد)**، مسجلة بجامعة الجزائر 02 .

- مذكرة حمزة بوروبة قدّمها لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية تحت عنوان: "**المسائل الحديثية التي خالف فيها ابن حزم جمهور المحدثين** "، مسجلة بكلية العلوم

الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، الجزائر .

لقد اعتمدت في دراسة موضوع بحثي على خطة تم تقسيمها إلى فصل تمهيدي وخمسة فصول، إضافة إلى المقدمة والخاتمة .

جاء الفصل التمهيدي بعنوان :"**المذهب الظاهري نشأته وأصوله**"، قسمته إلى ثلاثة مباحث، خصّصت المبحث الأول للحديث عن مراحل نشأة الفقه في التاريخ الإسلامي، فذكرت مفهومه وأهميته مركزا على أهم المراحل التي مرّ بها الفقه الإسلامي في نشأته، أما المبحث الثاني فخصّصته للحديث عن نشأة المذهب الظاهري وأعلامه بالمشرق، فذكرت أبرز المذاهب الفقهية المندرسة في الإسلام على غرار مذهب الليث بن سعد، ومذهب الأوزاعي، ثم ركّزت على المذهب الظاهري فعرفت بالظاهر لغة واصطلاحا، ثم نشأته ومؤسسه، وأبرز أعلامه بالمشرق، وفي المبحث الثالث تكلمت عن أصول المذهب الظاهري التي خالف فيها بقية أئمة المذاهب الفقهية .

أما الفصل الأول فجاء بعنوان: " **عوامل انتقال المذهب الظاهري إلى المغرب الإسلامي**"، قسّمته إلى مبحثين، تكلمت في المبحث الأول عن عامل مهم ساهم في انتقال المذهب الظاهري إلى بلاد المغرب، والمتمثل في الرحلة العلمية، حيث قدّمت أمثلة كثيرة عن المغاربة الذين كانوا يرتحلون إلى المشرق الإسلامي طلبا للعلم وملاقاة أئمته وشيوخه، ووجد من بين هؤلاء من التقى بأئمة المذهب الظاهري فأخذوا عنه أصوله وكتبه ولما رجعوا إلى المغرب أدخلوه معهم أمثال: عبد الله بن قاسم بن هلال أبو محمد القرطبي المتوفى سنة (272هـ/ 775م)، ومنذر بن سعيد البلوطي، أما المبحث الثاني فقد خصصته للحديث عن عامل آخر لا يقل أهمية عن العامل الأول في إدخال المذهب الظاهري إلى المنطقة والمتمثل في حواضر المشرق، وقد ركزت على مدينة بغداد باعتبارها موطنا للمذهب الظاهري إضافة إلى أنّها اعتبرت من أرقى الحواضر العلمية فحجّ إليها أناس كثر من بلاد المغرب وغيره من البلدان القاصية والدانية .

وأما الفصل الثاني فجاء بعنوان: "**عوامل تثبيت المذهب الظاهري وانتشاره بالمغرب الإسلامي**"، قسّمته إلى مبحثين، تطرقت في المبحث الأول لعامل مهم كان له دور كبير في

انتشار المذهب الظاهري والمتمثل في المناظرات العلمية، حيث خاض فقهاء المذهب الظاهري مناظرات كثيرة في مقدمتهم الفقيه ابن حزم كان لها الأثر الكبير في تزايد عدد المنتسبين للمذهب، أما المبحث الثاني فخصصته للحديث عن عامل آخر لا يقل أهمية عن العامل الأول والمتمثل في دولة الموحدين، هذه الأخيرة كان لها دور كبير في انتشار المذهب بعدما تبنته مذهبا رسميا لها فكثر أتباعه بفضل سياستها .

والفصل الثالث جاء بعنوان:" **دور المذهب الظاهري سياسيا**"، قسّمته إلى مبحثين، عالجت في المبحث الأول دور المذهب الظاهري في هذا المجال من خلال تولي بعض فقهائه مناصب راقية لها صلة مباشرة بالسلطة السياسية كالقضاء، والسفارة، ومراقبة وجهة المال العام، وكل الوظائف التي تدخل ضمن السياسة الشرعية، أما المبحث الثاني عالجت فيه انعكاسات انتشار المذهب الظاهري بالمنطقة على الحالة السياسية خاصة على أيام الموحدين الذين فرضوا المذهب بالقوة الأمر الذي حمل فقهاء المذهب المالكي على الثورة ضدهم بسبب عقيدتهم ومذهبهم، كثورة القاضي عياض على سبيل المثال لا الحصر .

أما الفصل الرابع جاء بعنوان: " **دور المذهب الظاهري اجتماعيا ودينيا** "، قسمته إلى مبحثين، خصّصت المبحث الأول للحديث عن الدور الاجتماعي للمذهب الظاهري، فالسيرة الحميدة لفقهائه وأخلاقهم جعلت العامة يتأثرون بهم ويسيرون على خطاهم، ذلك التأثير ساهم في تضاعف عدد المنتمين للمذهب على حساب المذاهب الأخرى، لذلك توتّرت العلاقة الاجتماعية بينهم وبين السادة المالكية خاصة، أما المبحث الثاني فتكلمت فيه عن الدور الديني للمذهب الظاهري من خلال دفاع فقهائه عن الإسلام اتجاه المشككين في عقيدته، إضافة إلى خدمتهم للكتاب، والسنة، والفقه، وبقية العلوم الدينية.

وأما الفصل الأخير فجاء بعنوان :" **دور المذهب الظاهري علميا وفكريا** "، قسّمته إلى مبحثين، عالجت في المبحث الأول دور التأليف والكتابة في خدمة الحياة العلمية والفكرية، حيث كثرت مؤلفات الظاهرية في مختلف فنون العلم بناءً على ظاهريتهم، تلك المؤلفات أثارت فقهاء المذهب المالكي فراحوا يردّون عليهم بالتأليف، فانعكس ذلك إيجابا على الحياة العلمية بالمنطقة. وفي المبحث الثاني تطرقت لعامل آخر ساهم في تنشيط الحياة العلمية والمتمثل في المناظرات العلمية والجدل، حيث خاض فقهاء المذهب الظاهري وفي

مقدمتهم ابن حزم مجموعة من المناظرات مع فقهاء المذهب المالكي، تلك المناظرات كان لها أثر إيجابي على الحياة العلمية، فأهل المغرب لم تكن لهم دراية بهذا العلم لكن بعد مناظرات ابن حزم أصبحوا بارعين فيه بعدما فرض عليهم تعلمها والإلمام بمجموعة من العلوم الأخرى.

لقد واجهتني صعوبات عديدة اعترضت طريقي في إنجاز هذه الدراسة، يمكنني إيجازها فيما يلي:

- صعوبة البحث التاريخي في المذاهب الفقهية .
- صعوبة وتعذر الحصول على مخطوط" **شذوذ ابن حزم**" للقاضي عيسى بن سهل .
- تعذر الحصول على مصدر مهم يخص تاريخ الأندلس " كتاب **فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس**" لأبي عبد الله محمد الكاتب الوزير بن غالب االبلنسي (767هـ/1365مـ).
- تعذر الحصول على دراسة توفيق الغلبزوني الموسومة بـ:" **المدرسة الظاهرية بالمغرب والأندلس نشأتها – أعلامها – أصولها وأثرها**".
- كثرة الشخصيات الواردة في المتن وصعوبة التعريف بها كاملة .
- نقص المادة العلمية التاريخية الخاصة بالمذهب الظاهري، مع صعوبة هذا النوع من الدراسات أي الدراسات المتعلقة بالجانب المذهبي .

لكن رغم هذه الصعوبات إلا أنني مضيت في إنجاز هذه الدراسة وأرجو أن أكون قد وفقت في ذلك، ولا شك أنّ هذه الدراسة شأنها شأن أي دراسة لا تخلو من الثغرات، لكن المرجو أن يكون صواب هذا العمل هو الغالب وخطؤه هو النادر، فهذه ثمرة المبتدئ وحصيلة الدراسة، فما كان في الرسالة من صواب فهو من فضل الله وكرمه وهو ما أهدف إليه، وما كان فيها من زلل أو تقصير فهو من هفوات النفس والكمال لله تعالى، وحسبي أني توخيت الدقة والصواب وبذلت جهدا وصرفت وقتا لإخراج هذا العمل إلى النور، وقد تابعته منذ أن كان بذرة إلى أن أصبح ثمرة، أرجو أن يستفيد منه طلبة العلم والله من وراء القصد وهو نعم المولى ونعم النصير.

الفصل التمهيدي: المذهب الظاهري نشأته وأصوله .

01- مراحل نشأة الفقه في التاريخ الإسلامي .

02- المذهب الظاهري نشأته وأعلامه بالمشرق .

03 – أصول المذهب الظاهري .

تداول المسلمون صنفين من العلوم الصنف الطبيعي[1]، يدخل ضمنه علم الرياضيات، والحساب، والهندسة، والصنف النقلي[2]، ويشمل علم التفسير، وعلم القراءات، وعلم الحديث، وعلم أصول الفقه، وعلم الفقه .

إنّ الفقه جزء من أطروحتي التي تدور حول أحد المذاهب الفقهية في الغرب الإسلامي- المذهب الظاهري- هذا الأخير يعتبر حلقة مهمة من حلقات التاريخ المذهبي بالمنطقة .

في مستهل هذه الدراسة وقبل الحديث عن المذهب الظاهري سأتطرق إلى مراحل نشأة الفقه في التاريخ الإسلامي وأشهر مذاهبه، ثم أقدم نماذج من المذهب الفقهية المندرسة قبل الحديث عن نشأة المذهب الظاهري، وأعلامه، وأبرز أصوله .

01- مراحل نشأة الفقه في التاريخ الإسلامي:

الفقه عمل عقلي بديع، لغة يعني الفهم، قال صاحب لسان العرب: " الفقه في الأصل الفهم"، ويقال: "أوتي فلان فِقْهًا في الدين، أي فهمًا فيه"، لقوله تعالى:"**لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ**"[3] أي ليكونوا علماء به، ويقال:"فَقَهَ فِقْهًا": بمعنى عَلِمَهُ عِلْمًا، ويقال أيضا:"رجل فَقِيْهْ" إذا صار فقيها وساد الفقهاء" [4].

وبالتالي بناءا على النصوص التي أوردها معاجم اللّغة وقواميسها وفي مقدمتها لسان العرب فإن الفقه في اللّغة يعني الفهم والعلم .

أما شرعا فمصطلح "**فقه**" كما ورد عند الحجوي هو:" العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلتها التفصيلية، فلا يقال الفقيه إلا لمجتهد ولغيره مجاز... الفقه معرفة

---

[1]- العلوم الطبيعية هي تلك التي يهتدي إليها الإنسان بفكره وعقله وهي علوم الحكمة والفلسفة. أنظر: ابن خلدون عبد الرحمن، **مقدمة**، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004م، ص 414 .

[2]- العلوم النقلية تأخذ عمن وضعها وكلها تستند إلى الخبر عن الواضع الشرعي ولا مجال فيها للعقل إلا في إلحاق الفروع من مسائلها بالأصول. ينظر: المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[3]- سورة التوبة، الآية رقم (122) .

[4]- ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف ، النيل، القاهرة، د ت، ص 3540 .

النفس ما لها وما عليها"[1]، وأطلق أيضا على كل ما تعلق بالدين الإسلامي في مسائل العبادات والمعاملات بالوجوب، ويظهر ذلك في قوله تعالى:" **وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ** "[2] .

إنّ مقام الفقه في الدين جليل المقدار فهو غاية العلم[3]، يقول الحجوي في أهميته:" اعلم أن الفقه الإسلامي جامعة ورابطة للأمة الإسلامية وهو حياتها...وهو جزء لا يتجزأ من تاريخ حياة الأمة...وهو مفخرة من مفاخرها العظيمة...فهو جامع للمصالح الاجتماعية بل والأخلاقية..."[4] .

فلولا أهميته البالغة لما رغّب المولى عزّ وجل في تعلمه ولما خص المعتكفين عليه بميزات خاصة لم ينلها غيرهم ممن عكفوا على بقية العلوم، فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:"**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**"[5]، فبالفقه تعرف أحكام الله تعالى في كل ما يخص أحوال عباده بالوجوب، أو الحذر، أو الندب، أو الكراهة، أو الإباحة، ومصدر ذلك كله الأصلان "الكتاب والسنة"، وما استخرج منهما من أحكام شرعية سميت فقهاً[6].

---

[1]- الحجوي محمد بن الحسن الثعالبي، **كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، ابتدئ طبعه بمطبعة إدارة المعارف بالرباط عام 1340هـ، وكمل مطبعة البلدية فاس، 1345هـ، **ج 01**، ص 02 .

[2]- سورة التوبة، الآية رقم: 122 .

[3]- مبارك بشير، "**المدرسة المالكية المغربية ما بين القرن (02هـ/08مـ - 05هـ/11مـ) بحث إحصائي من خلال كتاب جهرة الفقهاء المالكية**"، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، تصدر عن مؤسسة كنوز الحكمة للنّشر والتوزيع، ع **07**، السداسي الأول 2016مـ ، ص 08 .

[4]- الحجوي، المرجع السابق، ج**01**، ص 07 .

[5]- حديث صحيح أخرجه الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفى سنة (279هـ/892مـ)، **الجامع الكبير (سنن الترمذي)**، باب إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين، حديث رقم، 2836، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه، شعيب الأرنؤوط، وهيثم عبد الغفور، دار الرسالة العالمية، ط 01، 1430هـ/2009مـ، **ج 04**، ص 589. / - البغدادي أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (392هـ/462هـ- 1001مـ / 1069مـ)، **كتاب الفقه والمتفقهة**، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، ط 01، 1996 مـ، **ج 01**، ص 72 .

[6]- ابن خلدون عبد الرحمن، المصدر السابق، ص- ص، 427 – 428 .

لقد اتسعت رقعة الفقه ونمت فروعه، فالفقيه أصبح غير قادر على الإحاطة بها من دون عناء ومشقة، لذلك قسّم إلى مجموعات كبيرة سميت بالفقه المذهبي، فلكل مذهب فروعه وكتبه وأحكامه يقول الباحث أحسن زقور: "هذه فروع مذهب كذا، وهذه كتب فقه كذا، واختلفت الكتب من حيث كثرة الفروع أو قلتها، ومن حيث اعتماد أحكامها وعدم اعتمادها، ومن حيث اشتهارها وعدم اشتهارها، فقد جعل لكل مذهب فقهي أمهات كتبه ودواوين تكون أساسا له"[1].

بناءا على ذلك رُتّبت المذاهب الفقهية السنية في الإسلام على النحو التالي، الفقه المالكي أوسع فقه على الإطلاق كماً وكيفاً بلغت أصوله مجملة ستة عشرة أصلا، ويأتي في المرتبة الثانية من حيث عدد الأصول وتنوعها المذهب الحنفي، ثم يليه المذهب الشافعي[2] .

من خلال ما سبق نلاحظ أن فقه الإمام مالك تفوق على باقي المذاهب الفقهية وذلك راجع لعدة اعتبارات هي: أن كثرة أصوله المرتبة على النحو الآتي:"الكتاب، والسنة، والإجماع، وعمل أهل المدينة، والقياس، والاستحسان، والاستقراء، وقول الصحابي، وشرع من قبلنا، والاستصحاب، والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، والعرف، وعمل أهل المدينة، ومراعاة الخلاف قد أغنت الفقه المالكي وجعلته سلسا، استعان بها فقهاء المذهب كأدوات رئيسة في استنباط الأحكام الشرعية، عكس بعض المذاهب الفقهية التي أخذت ببعض الأصول وردّت بعضها الآخر، فمثلا نجد المذهب الظاهري أخذ فقهائه بأربعة أصول في حين ردّوا باقي الأصول، وإن قبلوا الإجماع وخبر الواحد بشروط خالفوا فيها أئمة المذاهب الأخرى .

إنّ نواة تشكل الفقه في الإسلام مرتبطا ارتباطا وثيقا بنزول الوحي يقول الباحث مصطفى الهروس:" ... الفقه الإسلامي لم يظهر للوجود إلا بعد نزول الوحي وتبيين رسول

[1] – أحسن زقور، **عالمية الفقه المالكي وهيمنته على سائر الفقه**، منشورات دار الأديب، وهران، د ت، ص 06 .

[2] – أحسن زقور، المرجع نفسه، ص 32 .

الله صلى الله عليه وسلم سبب نزوله، لأن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة هما المصدران والأصلان اللذان يرجع إليهما كل فقيه في استنباط أحكامه قبل الأصول الأخرى"[1] .

إذن إنّ الرسول صلى الله عليه وسلم كان مصدر التشريع في حياته فعلّم أصحابه وحكم بينهم، وبعد وفاته عمل الصحابة رضي الله عنهم بما تركه لهم، فاجتهدوا فيما لا نص فيه، وبعد اتساع رقعة البلاد الإسلامية عقب الفتوحات الإسلامية قلّد أهل تلك البلاد الصحابة، وبمجيء التابعين وتابعي التابعين وتابعيهم أصبح العمل وفق آراء الفقهاء أمثال:"مالك بن أنس بالمدينة المنورة، وأبو حنيفة والثوري بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، والأوزاعي بالشام والأندلس، والشافعي بمصر، وأحمد بن حنبل ببغداد"[2] .

وبذلك يظهر جليا أنه بعد اتساع حدود الدولة الإسلامية ودخول الأعاجم إلى الدين الجديد بعادات وتقاليد مختلفة عن عادات العرب احتاج هؤلاء إلى من يقضِ بينهم فرجعوا إلى الأصلين"القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة" فاستنبطوا منهما أحكاما شرعية سميت فقهاً .

إذن الفقه الإسلامي لم يتكون جملةً واحدة، وإنّما تدرج في تكوينه حتى بلغ ما هو عليه، وقد اختلف الباحثون حول مراحل نشأته فمثلا نجد الباحث علي جمعة قد أورد في دراسته الموسومة بـــ:" **المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية**" ثلاث آراء، الرأي الأول قال أن الفقه في نشأته مرّ بستة مراحل، والرأي الثاني قال أنه مرّ بأربع مراحل، أما الرأي الأخير فذهب إلى القول أنه مرّ بثلاثة مراحل[3] .

للإشارة اختلفت أيضا تسمية مراحل نشأة الفقه الإسلامي في الآراء الثلاثة وللتوسع أكثر حولها يمكن الرجوع إلى الدراسة السابقة (دراسة علي جمعة) .

---

[1]- مصطفى الهروس، **المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص**، مطبعة فضالة، زنقة ابن زيدون، المحمدية، المغرب الأقصى،1418هـــ/1997مـــ، ص 367 .

[2]- أحمد بكير محمود، **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، 1990م، ص 07- 08 .

[3]- علي جمعة محمد، **المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، القاهرة، ط 04، 2012مـــ، ص 433 – 334 .

إنّ أحسن وأفضل تصنيف لمراحل نشأة الفقه في رأيي أورده صاحب كتاب "**الفكر السامي**" بحيث جعل نشأته في أربع أطوار، سمى الطور الأول بطور الطفولية ويبدأ من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم إلى وفاته، علّق على هذا الطور فاروق النبهان قائلا:"...ينبغي أن تكون منفصلة عن المراحل التاريخية، لأنه عصر متميز عن جميع العصور...وإنّما هو عصر النشأة المتكاملة للتشريع الإسلامي..."[1] .

من مميزات هذا الطور أنّ ما نزل من سور في مكة كان بعيد عن الفقه إذ هدف إلى إدخال الناس في الدين الجديد عن طريق الدعوة إلى عبادة الله وحده لا شريك له، والقضاء على المعتقدات الفاسدة في شبه الجزيرة العربية "...إنّ جل ما نزل من قرآن بمكة قبل الهجرة كان في التوحيد ورد العقائد الفاسدة وبيان حجج إثبات وجود الله ووحدانيته، وإثبات النبوة وأخبار تاريخ من مضى من الأمم..."[2]، أما ما نزل من سور قرآنية بعد الهجرة النبوية من مكة إلى المدينة المنورة فجلها متعلق بمواضيع الفقه "...لكن بعد الهجرة صارت تنزل أحكام الحلال والحرام في العبادات والمعاملات وهي مباحث علم الفقه..."[3] .

وسمى الطور الثاني بطور الشباب[4]، وفيه صار الفقه شابا قويا كاملا، حصر مدته الزمنية ما بين وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى آخر القرن الثاني للهجرة وهي فترة التابعين وتابعيهم، فيه تمّت أصوله و لم يبق سوى استنباط الأحكام الشرعية عن طريق الاجتهاد[5] .

إنّ هذه المرحلة شهدت توسع الفتوحات الإسلامية ودخول الفرس والروم إلى الدين الجديد فكثرت النوازل طلبا للفتوى الأمر الذي أدى إلى شيوع الاجتهاد من قبل الفقهاء، يقول الحجوي:"...لينضبط بذلك الفقه وينتظم أمر الاجتهاد لاستنباط الأحكام من القرآن

---

[1]- محمد فاروق النبهان، **المدخل للتشريع الإسلامي نشأته أدواره التاريخية مستقبله**، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، لبنان، د ت، ص102 .

[2]- الحجوي، المرجع السابق، ص 11-12 .

[3]- المرجع نفسه، ص 13 .

[4]- أطلق على هذه المرحلة اسم مرحلة الخلفاء الراشدين ومرحلة البناء. ينظر: طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عبية، **الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية نشأتها بالمشرق انتقالها إلى الأندلس دعم الأندلسيين لها تأثيرها على أوربا**، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2004م، **م 01**، ص 129.

[5]- الحجوي، المرجع السابق، مطبعة النهضة الجزيرة، عدد 11، تونس، **ج 02**، ص 03.

والسنة على ما يقتضيه الشرع الإسلامي....ففي هذا العصر بلغ الفقه غايته فأصبح شابا قويا غضا طريا يتناول الفقيه أحكام الفروع من أغصان الكتاب والسنة والإجماع والقياس...ففي هذا العصر أصبح الفقه علما عظيما وكنزا مهما فامتدت فروعه وتنوعت أبوابه وفصوله واستوى وألّفت فيه مصنفات عظام ..."[1].

إذن مقارنة بالطور الأول أخذ علم الفقه في النمو والاتساع خلال الطور الثاني، حيث وُضِعت أسسه وقواعده وتوسع فيه الاجتهاد بالرأي في ما لا نص فيه، كما توسعت أصول استنباط الأحكام الشرعية في مقدمتها الإجماع الذي لم يكن موجود زمن الرسول صلى الله عليه وسلم، خاصة وأن هذه المرحلة شهدت دخول الأعاجم إلى الإسلام فكثرت النوازل الفقهية التي احتاجت إلى فتاوى من قبل الفقهاء "ذلك أن الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم واجهوا وقائع وأحداث لم تكن على عهده صلى الله عليه وسلم، فكان لا بد من معرفة حكم الله فيها..."[2] .

أما الطور الثالث فقد سماه بطور الكهولة ويمتد من مبدأ المائة الثالثة إلى منتهى الرابعة، من أبرز خصائصه أنه حافظ على ميزات الطور السابق و لم يزد أو ينقص منها شيئا: "إذ وقف في قوته و لم يزد قوة، و لم يسرع إليه الهرم ولا وصل إلى طور الانحلال..."[3]، برز فيه كبار العلماء المجتهدين الذين ألّفوا مؤلفات عظيمة متبعين فيها طريق أئمة المذاهب الفقهية أمثال: أبو حنيفة النعمان، ومالك بن أنس، وداود بن علي الظاهري...، أي اتبعوا طريقة التقليد "...وانساقوا إلى اتخاذ أصول تلك المذاهب دوائر حصرت كل طائفة نفسها بداخلها لا تعدوها ..."[4].

وأما الطور الرابع والأخير فأطلق عليه اسم طور الشيخوخة والهرم، حصره زمنيا من أول القرن الخامس إلى القرن الرابع عشر هجري (11- 20مـــ)، فيه غاب اجتهاد العلماء

---

[1]- الحجوي، المرجع السابق، ص 03 .

[2]- مصطفى أحمد الزرقا، **كتاب الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد المدخل الفقهي العام إخراج جديد بتطوير في الترتيب والتبويب وزيادات**، دار القلم، دمشق، ط 01، 1998م، **ج01**، ص 156 .

[3]- الحجوي، المرجع السابق، **ج 03**، ص 02 .

[4]- المرجع نفسه، نفس الصفحة .

ومالوا إلى اختصار وشرح كتب من سبقهم بالعلم "...احترق وذهبت عينه و لم يبق إلا مرقه في القرن الخامس وما بعده، ذلك لأسباب منها قصور الهمم عن الاجتهاد إلى الاقتصار على الترجيح في الأقوال المذهبية، والاقتصار على النقل عن من تقدم وانصرفت همتهم لشرح كتب المتقدمين واختصارها"[1].

من خلال عرضي لأطوار نشأة الفقه الإسلامي يظهر أن الفقه لم يتكون جملة واحدة وإنّما تدرج في تكوينه، كما يتضح أن الطور الثاني طور الشباب شاع فيه الاجتهاد وتعددت الآراء الفقهية التي تبلورت منها المذاهب السنية الفقهية .

إنّ المذاهب الفقهية في الإسلام كثيرة: "اعلم أنّ لأصحاب المقالات طرقًا في تعديد الفرق الإسلامية لا على قانون مستند إلى أصل أو نص..."[2].

للإشارة إنّ كثرة المذاهب الفقهية وتعددها في الإسلام راجع إلى عدة عوامل منها الاختلاف حول طريقة استنباط الأحكام الشرعية من النصوص، حيث كثرت طرق معرفة الأحكام عند الفقهاء، فأخذ كل واحد منهم بما استقر عليه تفكيره الأمر الذي أدى إلى تعدد المذاهب الفقهية في الإسلام[3].

قبل الخوض في الحديث عن المذاهب الفقهية السنية، فضلت أن أشرح معنى مصطلح "**مذهب**"، ففي معاجم اللّغة ورد بمعنى الوضوء قال ابن منظور: "والمَذْهَبُ: المتوضأ لأنه يذهب إليه"، وورد أيضا بمعنى المعتقد:"المعتقد الذي يذهب إليه، وذهب فلان لمذهبه، أي لمذهبه الذي يذهب فيه، ويقال:" ذهب فلان مذهباً حسنا "، كما يقال: "أذهب الشيء أي طلاه بالذهب"، "والمُذْهَبُ الشيء المطلي بالذهب"[4] .

وأما في الاصطلاح فيعرّف المذهب بأنه:" العمل الفكري المستند إلى الدليل الشرعي من الكتاب، والسنة، والإجماع، والقياس وغيرها من الأدلة المبنية على قواعد وأصول أقرّها

---

[1]- الحجوي، المرجع السابق، ج **04**، ص 02 .

[2]- الشهرستاني أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبو بكر أحمد (479هـ/ 1086م ـ 548هـ/ 1153مـ)، **الملل والنحل**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2008 مـ، ص 09- 10 .

[3] - محمد أبو زهرة، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، د ت ، ص 16 .

[4]- ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف ، النيل، القاهرة، د ت، ص 1522 .

العلماء والفقهاء فيما ورد من مسائل العبادات وقضايا المعاملات واستخلصوا منها بعد الدرس والتحقيق ما ورد صحيحا للعمل به لأنفسهم ولمن اقتنع باجتهاداتهم "[1] .

في هذه العجالة سأتحدث عن المذاهب الفقهية السنية الأربعة مركزا على مؤسس كل مذهب، أصوله، والحيز الجغرافي الذي انتشر فيه كل مذهب .

أ- المذهب الحنفي: يسمى أيضا بمدرسة الكوفة أو مدرسة العراق، ينسب للإمام أبو حنيفة النعمان[2]، اسمه النّعمان بن ثابت التّيمي، كان خزازا بالكوفة[3]، فقيه العراق أحد الأئمة الأربعة أصحاب المذاهب المتّبَعَة[4]، أطلق على أتباعه أهل الرأي وأهل الدراية لأن أبا حنيفة إمام أصحاب الرأي، أصله من الكوفة نقله الخليفة أبو جعفر المنصور إلى بغداد وبها توفي[5].

---

[1]- إبراهيم القادري بوتشيش،"**خطاب التقريب بين المذاهب الدينية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة حدود الإنجاز ومبادئ للتطوير**"، المواقف مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، عدد خاص بفعاليات الملتقى الدولي الأول حول الظاهرة الدينية قراءات جديدة من منظور العلوم الاجتماعية والإنسانية أيام 14 و 15 و 16 أفريل 2008مـــ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع سيدي بلعباس الجزائر، أفريل 2008مـــ، ص 40 .

[2]- الإمام فقيه الملة عالم العراق أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي الكوفي مولى بني تيم الله بن ثعلبة، يقال أنه من أبناء الفرس، ولد سنة ثمانين في حياة الصحابة، عني بطلب الآثار وارتحل في ذلك وأما الفقه والتدقيق في الرأي فإليه المنتهى. ينظر: الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان **ت** (748هـــ/1374مـــ)، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق حسين الأسد، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط 11، (1417هـــ/ 1996مـــ)، **ج 06**، ص – ص 391-403 .

[3]- ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالورّاق، **كتاب الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنفوه من الكتب، الفن الثاني من المقالة السادسة في أخبار العلماء وأسماء ما صنفوه من الكتب في أخبار أبي حنيفة وأصحابه العراقيين**، حقيق رضا تجدد، د ت، **ج 06**، ص 255 .

[4]- ابن كثير القرشي الدمشقي الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (701- 774هـــ/ 1301- 1372مـــ)، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 01، 1419هـــ/ 1998مـــ، **ج 13**، ص 415-416 .

[5]- الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (392-463هـــ/ 1001- 1070مـــ)، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها ووارديها**، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 01، 1422هـــ/ 2001 مـــ، **م 15**، ص 445 .

تعتمد أصول مذهبه بالترتيب: على الأصلين الكتاب، والسنة ،ثم القياس، فالإجماع، ثم الاستحسان، فالرأي[1]، وقع اختلاف في سنة وفاته بين سنة (150هـ/767مـ) وهي الصحيحة، وسنة (151هـ/768مـ) وسنة (153هـ/770مـ)[2]، مات وله سبعون سنة[3].

يعتبر العراق موطن المذهب أين انتشرت أفكار أبو حنيفة، وصل مذهبه إلى الشام، والأندلس، وإفريقية كما انتشر في الهند، والصين، وبلاد ما وراء النهر، وبلاد العجم[4].

ب- المذهب المالكي: ينسب إلى مالك بن أنس[5]، ولد بالمدينة المنورة، وقع اختلاف في سنة ولادته بين سنة (90هـ/ 708مـ)، وسنة (93هـ/711مـ) وهي الأرجح، وسنة (94هـ/712مـ)، وسنة (95هـ/ 713مـ)، وسنة (96هـ/ 714مـ)، وقيل ولد في خلافة الوليد بن عبد الملك[6].

لقب مالك بإمام أهل الحجاز، وإمام دار الهجرة، انتشر مذهبه بالمدينة المنورة، وخراسان، ومصر، والأندلس، وبلاد المغرب الإسلامي[7]، لكن يعتبر أهل المغرب أكثر من اختص بالمذهب فلم يقلدوا أحدا غيره إلا قليلا، باعتبار أنّ رحلاتهم كانت غالبًا نحو الحجاز

1- أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 10 .

2- ابن كثير، المصدر السابق، ص 420 .

3- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، **م 15**، ص 452 ./ ابن النديم، المصدر السابق، **ج 06**، ص 255 .

4- ابن خلدون، المصدر السابق، ص429- 430 .

5- شيخ الإسلام وحجة الأمة إمام دار الهجرة، أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك بن أبي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، بن غيمان بن خثيل بن عمرو بن الحارث، وهو ذو أصبح بن= =عوف بن مالك بن زيد بن شداد بن زرعة، وهو حمير الأصغر الحميري ثم الأصبحي المدني، أمة عالية بنت شريك الأزدية، مولده عام (93هـ/ 711مـ) وتوفي عام (179هـ/ 795مـ) . ينظر: ابن النديم، **المقالة السادسة، الفن الأول في أخبار المالكيين وأسماء ما صنفوه من الكتب**، المصدر السابق، **ج 06**، ص 251 / الذهبي، المصدر السابق، **ج 08**، ص – ص 48 – 136 / ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين ت (799هـ/1396مـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق مأمون بن يحيى بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1996مـ، ص 56 .

6- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص 59 .

7- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 429 .

ولما رجعوا إلى أوطانهم قلّدوا مالكا ونشروا أفكاره[1]، فنتج عن ذلك تأسيس المدرسة المالكية المغربية المتميزة بأعلامها ومؤلفاتهم الضخمة على غرار الأسدية لأسد بن الفرات، والمدونة لسحنون بن سعيد التنوخي، والرسالة لأبي زيد القيرواني .

أقام مذهبه على أصول عدة منها: كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، أما أدلّته فهي نوعان: نقلية وعقلية، فالنقلية هي:"الكتاب والسنة، والإجماع، وعمل أهل المدينة، وقول الصحابة، وأما العقلية فهي:"القياس، والاستحسان، والمصالح المرسلة، والاستصحاب، وسد الذرائع، والعوائد، والاستقراء"[2]

توفي مالك سنة (179هـ/795مـ) وهو الأرجح، في حين وجدت روايات ذكرت أن وفاته كانت سنة (80هـ/699مـ)، أو سنة (98هـ/716مـ)، وهو من الأوهام كما قال صاحب الديباج[3]، دفن بالبقيع، له من الكتب كتاب الموطأ[4]، وكتاب رسالته إلى الرشيد[5]، وله أيضا رسالة في القدر ألفها للرد على القدرية، وكتاب في النجوم وحساب مدار الزمان ومنازل القمر، و رسالة في الأقضية[6] .

ت- مذهب الشافعي: ينسب لصاحبه الشافعي[7]، ولد سنة (150هـ/ 767مـ)[1]، قيل بغزة وقيل باليمن، نشأ بمكة المكرمة، حدّث ببغداد وخرج إلى مصر فنزلها إلى حين

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 431 .

[2]- موسى فاتيغا، **أصول فقه الإمام مالك أدلته العقلية**، دار التدمرية، توزيع دار ابن حزم، ط 01، 2007 م ، **م 01**، ص – ص 55- 57 .

[3]- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص 78 .

[4]- ألفه وقوفا عند طلب الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور الذي قال لمالك: " ضع للناس كتابا أحملهم عليه فكلمه مالك في ذلك، فقال: ضعه فما أحد اليوم أعلم منك فوضع الموطأ ولم يفرغ منه حتى مات أبو جعفر"، والروايات حول تأليف الموطأ كثيرة. ينظر: ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص 72 .

[5] -ابن النديم، المصدر السابق، ص 251 .

[6]- ابن فرحون المالكي، المصدر السابق، ص 75 .

[7]-أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن عبيد بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب المطلب بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب الإمام، فقيه الملة أبو عبد الله القرشي ثم المطلبي الشافعي المكي نسيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عمه، اتفق مولد الإمام بغزة، نشأ يتيما. ينظر: ابن النديم، **الفن الثالث من المقالة السادسة في أخبار الشافعي وأصحابه**، المصدر السابق، **ج 06**، ص 253 ./ الذهبي،

وفاته[2]، سمع من مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة وغيرهما[3]، كان الشافعي شديد التشيع[4] تعتبر مصر أكبر منطقة انتشرت فيها أفكاره، حيث استقرّ مقلدوه بها أكثر من أي منطقة أخرى، تلاشى المذهب بمصر بعد دخول الفاطميين إليها ثم عاد إلى الظهور من جديد بعد قيام الدولة الأيوبية[5]، يقوم المذهب على الأصول التالية:" الكتاب والسنة والإجماع والقياس"[6] .

للشافعي كتاب ذكره الخطيب البغدادي سماه بـــــ:"**القديم**" تداوله أهله ببغداد[7]، وله كتاب "**الرسالة**" صنّفه بعدما طلب منه عبد الرحمن بن مهدي أن يضع له كتاب فيه معاني القرآن[8]، وله كتاب "**المبسوط في الفقه**"[9]، توفي بمصر سنة (204هـــ/ 819مـــ) وله من العمر أربعة وخمسين سنة[10] .

ث- المذهب الحنبلي: ينسب إلى إمام المحدثين المناضل عن السنة[11] أحمد بن حنبل[12]، مرْوزي الأصل ولد ونشأ ببغداد وسمع من شيوخها، ثم رحل إلى عدد كبير من حواضر

المصدر السابق، ج **10**، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ص – ص، 05- 99 ./ ابن كثير، المصدر السابق، ج **14**، ص 132 .

[1]- الخطيب البغدادي، تحقيق محمد بن إسحاق، محمد بن الحسن، المصدر السابق، ج **02**، ص 411 .

[2]- المصدر نفسه، ص 393 .

[3]- نفسه، نفس الصفحة .

[4]- ابن النديم، المصدر السابق، ص 253 .

[5]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 430-431 .

[6]- أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 14 .

[7]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج**02**، ص 393 .

[8]- المصدر نفسه، ص 404 .

[9]-ابن النديم، المصدر السابق، ص 264 .

[10]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 411 / - ابن النديم، المصدر السابق، ص 264. / ابن كثير، المصدر السابق، ج **14**، ص 140 .

[11]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج **06**، ص 90 .

[12]- شيخ الإسلام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد بن إدريس بن عبد الله بن حيان بن عبد الله بن أنس بن عوف بن قاسط بن مازن بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي، أحد الأئمة الأعلام. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج **11**، تحقيق صالح السمر،

العالم الإسلامي" مكة، والمدينة، واليمن، والشام..."[1]، كنيته أبو عبد الله سدوسي[2]، سجن الإمام أحمد لمدة طويلة خلال خلافة المأمون، والمعتصم، والواثق بسبب قضية خلق القرآن[3].

ولد الإمام أحمد سنة (164هـ/780م)[4]، وتوفي سنة (241هـ/855م)، وله من العمر سبع وسبعون سنة[5] .

قلّ عدد المنتسبين إلى مذهبه وذلك أن صاحب المذهب كان بعيدا عن الاجتهاد، انتشر أكثر مقلدوه بالشام، والعراق، وبغداد ونواحيها[6]،

إنّ مجموع فتاويه كوّنت مدرسته الفقهية، وأصول مذهبه هي:" الكتاب والسنة، يتهرب من الرأي والحيل الشرعية، أما القياس فلا يأخذ به إلا عند الضرورة القصوى، ويفضل عليه خبر الآحاد، أو الخبر الضعيف"[7] .

هذا إضافة إلى مجموعة من المذاهب الفقهية السنية الأخرى سأتحدث عنها فيما تبقى من هذا الفصل مركزا على المذهب الظاهري محور دراستي.

=ص – ص 177 – 358 ./ الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 92-93 ./ ابن كثير، المصدر السابق، ج **14**، ص 380- 381 .

[1]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 91 .

[2]- المصدر نفسه، ص 94 .

[3]- ابن كثير، المصدر السابق، ص 393 .

[4]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج**06**، ص 95

[5]- ابن كثير، المصدر السابق، ج **14**، ص 381./ الخطيب البغدادي، المصدر السابق، 102 .

[6]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 430 .

[7]- أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 16 .

02- المذهب الظاهري نشأته وأعلامه بالمشرق:

قبل توسع الدولة الإسلامية رجع المسلمون إلى النبي صلى الله عليه وسلم في التشريع والإفتاء، ولما التحق صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى انتقل أمر التشريع من بعده إلى الصحابة رضي الله عنهم أجمعين فقدّموا فتاوى لمختلف المسائل مرتكزين في ذلك على الأصلين، أما المسائل التي لم يرد فيها نصاً اجتهدوا فيها برأيهم، ثم جاء بعدهم التابعين فازدهر أيامهم علم الفقه وتعددت مذاهبه كالمذاهب الأربعة، والمذاهب التي اصطلح عليها عند جمهور المؤرخين بالمذاهب المندرسة[1]، ومن بين تلك المذاهب أذكر على سبيل المثال لا الحصر:

أ- مذهب اللّيث: عالم الديار المصرية الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي مولاهم، كان مولى قيس بن رفاعة، وهو مولى عبد الرحمن بن مسافر الفهميّ[2]، صاحب المذهب الشهير قديما والمغمور حديثا، كنيته أبو حارث المصري، ولد بقرية قرقشندة إحدى قرى القليوبية أسفل أعمال مصر سنة (94هـ/712مـ)، وقيل ولد سنة (124هـ/741)[3] وهذا مستحيل، وقيل ولد سنة (93هـ/711مـ)، كان الليث إمام في الفقه والحديث والعربية[4] .

برزت مدرسة الليث الفقهية في حياته، وقامت على أساس العمل بالرأي والأثر، إلا أن أصابه ضيّعوا فقهه[5] توفي بمصر سنة (175هـ/791مـ)، مخلّفا وراءه عدة مؤلفات

---

[1]- لغة مشتق من الفعل " اِنْدَرَسَ، يَنْدَرِسُ، انْدِرَاسًا، فهو مُنْدَرِسْ"، فيقال:" اندرس الرسم أو الأثر: أي انمحت بقاياه وعفت"، ويقال أيضا: "اندرست أخباره، أي انطمست وذهب ذكرها"، واندثر من الاندثار، أي امّحى وزال من الوجود، انطلاقا من المعنى اللّغوي يتضح أن المقصود بالمذاهب المندرسة هي تلك المذاهب التي استمرت لفترة من الزمن ثم اندثرت، هذا الكلام يصدق على بعض المذاهب الفقهية، فبعد القرن (07هـ/13 مـ) اندثر بعضها من الوجود وانمحى وزال لأسباب أو لأخرى كمذهب الأوزاعي، في حين بقي البعض الآخر واستمر منها الأربعة المشهورة وهي: المذهب الشافعي، والحنفي، والمالكي، والحنبلي . ينظر: **المنجد الإعدادي**، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1969مـ، ص 75 ./ الأسيل، **القاموس العربي الوسيط – عربي عربي**-، دار الراتب الجامعية، د ت، ص 99.

[2]- ابن كثير، المصدر السابق، **ج 13**، ص 577 .

[3]- ابن كثير، المصدر السابق، **ج 13**، ص 577- 578 .

[4]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[5]- نفسه، ص 578 .

منها: كتاب "**التاريخ**"، وكتاب "**مسائل في الفقه**"، وله "**رسالة إلى مالك**"، وكتاب "**مجلس من فوائد الليث بن سعد**" [1] .

ب- مذهب الأوزاعي: ينسب إلى فقيه وعالم أهل الشام في الحديث والفقه، عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَد أبي عمرو أبو عمرو الأوزاعي[2]، ولد سنة (88هـ/ 706م)[3]، سكن دمشق خارج باب الفراديس بمحلة الأوزاع ثم تحول إلى بيروت إلى أن مات[4]، روى العلم عن الزهري، ويحيى بن أبي كثير وغيرهما، وروى عنه كثر منهم: شيخاه الزهري، ويحيى بن أبي كثير، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وشعبة بن الحجاج وغيرهم[5]، بقي أهل الشام وما حولها على مذهبه نحوا من مائتي سنة[6]، توفي سنة (157هـ/773م) وله من العمر سبعون سنة[7]، وأورد ابن كثير احتمالين آخرين لوفاته سنة

---

[1]- ينظر: الذهبي، المصدر السابق، تحقيق نذير حمدان، ج **08**ص- ص 136- 156/ محمد بن رزق بن الطرهوني، **سلسلة الأجزاء الحديثة جزء فيه مجلس من فوائد الليث بن سعد**، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط01، 1987م، ص- ص 06- 16 / - عبد القادر بوعقادة، **المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة (08 و09 للميلاد)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور موسى لقبال،جامعة الجزائر، 2002- 2003م ، ص 163 - 196.

[2]- الأوزاع بطن من حمير ، لم يكن من أنفسهم وإنما نزل محلة الأوزاع، وكانت قرية خارج باب الفراديس من دمشق، ينظر: ابن كثير، المصدر السابق، ج **13**، ص 443- 444 .

[3]- ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (499-571هـ/ 1105-1175م)، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها= =وأهلها**، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996م، ج **35**، ص 150 .

[4]- المصدر نفسه، ص 147.

[5]- ابن عساكر، المصدر السابق، ص 147- 148 .

[6]- ابن كثير، المصدر السابق، ج **13**، ص 443 .

[7]- ينظر: الذهبي ، المصدر السابق، أشرف على تحقيقه وخرج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، حقق هذا الجزء علي أبو زيد، ج **07** ص- ص 109 – 117/ الشيرازي، المصدر السابق، ص 76 ./ ابن عساكر، المصدر السابق، ص 150 ./ ابن كثير، المصدر السابق، ج **13**، ص 456 .

(150هـ/767م)، وسنة (156هـ/772م) [1]، لكن هذا أمر مستبعد فجل المصادر اتفقت على أن وفاته كانت سنة (157هـ/773م).

خلّف الأوزاعي ثلاثة عشر قنداقًا، والقنداق صحيفة الحساب، لكن جل مصنفاته احترقت زمن الرجفة، وهي زلزلة عظيمة أصابت الشام سنة (130هـ/747م)، انتشر مذهبه في الشام، والمغرب، وإفريقية، والأندلس، وفارس، وخراسان[2] .

– **مذهب الثوري**: ينسب إلى شيخ الإسلام وسيد العلماء أمير المؤمنين في الحديث أبي عبد الله الثوري الكوفي المجتهد، ولد سنة (97هـ/715م)، كان همّ أمّه أن ترى ابنها عالمًا يقود الأمة لصلاحها، فنصحته إلى ابتغاء طريق العلم، توفي بالبصرة سنة (161هـ/777م) وعمره أربعة وستون سنة[3] ، قال ابن كثير:" فيها توفي...سفيان بن بن سعيد بن مسروق الثوري، أحد أئمة الإسلام وعبّاده والمقتدى بهم، أبو عبد الله الكوفي..."[4]، له كتاب شهير سماه "**الجامع**"، تراجع المذهب لأن المنتسبون له أهملوا تدوين تدوين أقول إمامهم واهتموا بالحفظ، إضافة إلى الوصية التي تركها الثوري لعمار بن سيف حول كتبه فمحاها وأحرقها، وبذلك انقرض مذهبه[5].

---

[1]– ابن كثير، المصدر نفسه، ص 455 .

[2]– ابن عساكر، المصدر السابق، ص 150 . /الذهبي ، المصدر السابق، **ج 07** ص- ص 109 – 117، الشرازي أبو إسحاق الشافعي (393هـ/476هـ/1002-1083م)، **طبقات الفقهاء**، تحقيق وتقديم إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د ت، ص 76 .

[3]– ابن كثير، المصدر السابق، **ج 13**، ص 490 –َ491 .

[4]– المصدر نفسه، ص 489 .

[5]– ينظر: الذهبي، المصدر السابق، **ج 07**، ص 230 ./ عبد الحليم محمود، **أقطاب التصوف**، دار المعارف، مصر، 1976م، ص 14 ./ محمد مصطفى الأعظمي، **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدويته**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1980م، ص260 ./ أحمد فراج حسين، **تاريخ الفقه الإسلامي**، الدار الجامعية، بيروت، لبنان، ط 1989م، ص 165 - 166.

ث- مذهب سفيان بن عيينة[1]: أحد الثقات الإمام الكبير حافظ العصر، شيخ الإسلام، مولد بالكوفة سنة (107هـ/725مـ)[2]، سكن مكّة، وقدم بغداد، سمع من ابن شهاب الزهري، وعمرو بن دينار وغيرهما، روى عنه الأعمش، وشعبة، وعبد الله بن المبارك[3]، وغيرهم كثر، توفي سنة (198هـ/813مـ) ودفن بالحجون [4] .

ج- مذهب إسحاق بن راهوية[5]: أحد أئمة الإسلام جمع بين الحديث والفقه والورع[6] وقع اختلاف في سنة ولادته بين سنة (161هـ/777مـ)، وسنة (163هـ/779مـ)، وسنة (166هـ/782مـ)[7]، ذكر الخطيب البغدادي عدة روايات في سنة وفاته فقال: "توفي ابن راهوية سنة (289هـ/901مـ) بمرو، وقال توفي بعد سنة (290هـ/902مـ) بعدما قتله القرامطة وهو عائد من الحج، وذكر أيضا أنه توفي سنة

---

[1]- سفيان بن عيينة بن أبي عمران، أبو محمد مولى بني عبد الله بن رويبة، من بني هلال بن عامر بن صعصعة، وقيل مولى محمد بن مزاحم الهلالي، وعيينة أبوه هو المكنى أبا عمران . ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، **م 10**، ص 244 .

[2]- المصدر نفسه، ص 246 .

[3]- نفسه، ص 244 – 245 .

[4]- ينظر: الذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت (748هـ/1347مـ)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ت، **م 02**، ص 170-171 / ابن سعد محمد بن منيع الزهري ت (230هـ/844مـ)، **كتاب الطبقات الكبير، فيمن كان بمكة والطائف واليمن واليمامة والكوفة من الصحابة ومن كان بها بعدهم من التابعين وغيرهم من أهل الفقه والعلم**، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط01، 2001مـ، **ج 08**، ص 59- 60/ الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، المصدر السابق، **ج 08**، ص 454 - 455./ الخطيب البغدادي، المصدر السابق، **ج 10**، ص 256 .

[5]- محمد بن إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم أبو الحسن المروزي، المعروف بابن راهوية، ولد بمرو، ونشأ بنيسابور، وكتب ببلاد خراسان، وبالعراق، وبالحجاز وغيرها من بلاد الإسلام، سمع من أيه أبا إسحاق بن راهوية، روى العلم ببغداد فحدّث عنه هناك كثر منهم محمد بن مخلد الدّوري. ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، **ج 02**، ص 50 – 51 .

[6]- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608-671هـ/1211مـ - 1272مـ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق الدكتور إحسان عباس،، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت، **م 01**، ص 199./ الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 51 .

[7]- ابن خلكان، المصدر السابق، م 01، ص 200 .

(294هـ/906م) في طريق مكة"[1]، في حين ذكر ابن خلكان في وفياته سنوات مخالفة لما ذكره الخطيب البغدادي فقال أنه توفي سنة (230هـ/844م) وسنة (237هـ/851م) وسنة (238هـ/ 852م)[2]، كان ابن راهوية شديد الاهتمام بالحديث [3] .

ح- **مذهب أبي ثور:** الإمام إبراهيم بن خالد، مفتي العراق، ولد سنة (170هـ/786م)، صنّف في الحديث والفقه، توفي سنة (240هـ/853م)[4].

خ- **مذهب الطبري:** محمد بن جرير بن يزيد بن كثير أبو جعفر الطبري، ولد بآمل سنة (224هـ/838م)، واستقر ببغداد، له عدة مؤلفات منها:" **أخبار الأمم وتاريخهم، التفسير، تهذيب الآثار**"، وله في أصول الفقه وفروعه كتب كثيرة، توفي سنة (310هـ/922م)[5] .

هذا من دون أن أنسى بقية المذاهب الفقهية المندرسة، كمذهب محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى[6]، ومذهب الحسن البصري، ومذهب محمد بن سيرين، ومذهب عامر

---

[1]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 52 – 53 .

[2]- ابن خلكان، المصدر السابق، ص 200 .

[3] الذهبي، المصدر السابق، **ج 11**ص - ص 358- 364 .

[4]- ينظر: الحنبلي الدمشقي الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكريّ (1032-1089هـ/1622-1678م)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، أشرف على تحقيقة وخرج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط، حقّق وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط 01، 1988م، **م 03**، ص 180 ./ الذهبي، المصدر السابق، ، حقق هذا الجزء صالح السمر، **ج18**، ص 72- 73 .

[5]- الشرازي، المصدر السابق، ص 93 / الذهبي، المصدر السابق، ، حقق الجزء أكرم البوشي، **ج 14**، ص- ص 267 – 270 .

[6]- هو محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى بن بلال بن بليل بن أحيحة بن الجلاح بن الحريش الأنصاري قاضي الكوفة ومفتيها، تولى القضاء لبني أمية ثم لبني العباس، ورث الفقه والعلم عن أبيه، توفي سنة (148هـ/765م). ينظر: الحنبلي الدمشقي، المصدر السابق، **م 01**، ص 224- ابن سعد، المصدر السابق، **ج05**، ص 75 .

بن شراحيل الشعبي[1]، ومذهب مكحول الدمشقي[2]،ومذهب عطاء بن أبي رباح[3]، ومذهب ابن شهاب الزهري[4]، ومذهب شعبة بن الحجاج[5] .

إنّ ما يهمني في هذه الدراسة المذهب الظاهري، هذا الأخير وقع اختلاف بين الدارسين في تصنيفه أهو من المذاهب الفقهية السنّية المشهورة أم من المذاهب الفقهية السنّية المندرسة ؟ فمثلا وجدت الباحث عبد القادر بوعقادة قد صنّفه ضمن المذاهب الفقهية المندرسة في دراسته التي قدّمها لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط الموسومة بـــ:" **المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة (08 و09 للميلاد)**"، وكذلك الباحث عبد المقصور أبو عبية الذي قال أن المذهب اضمحل وزال خلال منتصف القرن الخامس للهجرة (11 م)، لكن لّما غصت في البحث عن أعلام المذهب عبر مختلف المراحل التاريخية "الوسيطة، والحديثة، والمعاصرة" مستعينا في ذلك ببعض كتب السير، والتراجم، والطبقات، وجدت أنّ أتباع المذهب ومنتحلوه وجدوا

---

[1] – عامر بن شرحيل بن عبد ذي كبار، قيل من أقيال اليمن، الإمام علامة العصر، أبو عمر الهمذاني ثم الشّعبي، ولد في عهد خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، لست سنين خلت منها، وقيل أنه ولد بعد سنة (32هـــ/652مـــ)، توفي سنة (104هـــ/722مـــ) . نفسه، ص – ص 294- 319 .

[2] – عالم أهل الشام كنيته أبا عبد الله، وقيل أبو أيوب، وقيل أبو مسلم الدمشقي، داره بطرف سوق الأحد، عداده في أوساط التابعين، قال أبو حاتم:" ما بالشام أحد أفقه من مكحول"، اختلف في سنة وفاته بين سنة (116هـــ/734مـــ) وسنة (118هـــ-736مـــ)، ينظر: الذهبي، المصدر السابق، **ج 05**، أشرف على تحقيقه شعيب الأرنؤوط، ص – ص 155- 160 .

[3] – شيخ الإسلام مفتي الحرم، القرشي، نشأ بمكة، ولد في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال عنه أبو حازم الأعرج:"فاق عطاء أهل مكة في الفتوى"، توفي سنة (114هـــ/732مـــ). ينظر: المصدر نفسه،، ص – ص 78- 88 .

[4] – محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب، حافظ زمانه أبو بكر القرشي الزهري المدني نزيل الشام، اختلف في سنة ولادته بين (50هـــ/670مـــ) وبين (51هـــ/671مـــ)، قيل أنه كان أعلم أهل المدينة، توفي سنة (124هـــ/741مـــ. ينظر: نفسه، ص – ص 326- 350 .

[5] – هو شعبة بن الحجاج بن الورد، الإمام الحافظ، أمير المؤمنين في الحديث، أبو بسطام الأزدي العتكي، عالم أهل البصرة وشيخها، ولد سنة (80هـــ/699مـــ)، كان حسن الحديث، توفي سنة (160هـــ/776مـــ) ينظر: نفسه، **ج 07**، ص – ص 202- 228 .

في كل العصور التاريخية، وبذلك لا يمكن تصنيف المذهب الظاهري ضمن المذاهب الفقهية السنّية المندرسة وهذا ما سأثبته في الفصول اللاحقة من البحث إن شاء الله.

يعتبر المذهب الظاهري من المذاهب الفقهية السنّية وضع قواعده داود الأصبهاني[1]، وبلغ ذروة اكتماله على يد الفقيه الأندلسي ابن حزم[2]، مرتكزا في ذلك على أسس عديدة في مقدمتها فصاحة اللّغة كأساس ومنهج لدراسة المنقول والمعقول[3].

قبل الحديث عن المذهب الظاهري لا بأس أن أشرح معنى مصطلح "**ظاهر**"، لغة واصطلاحا .

أما لغة فالظاهر خلاف الباطن، فيقال: "ظهر يظهر ظهورا فهو ظاهر وظهير"[4]، كما يعني البروز فيقال: "ظهر الشيء ظهورا أي تبين وبرز بعد الخفاء"[5] .

وأما في الاصطلاح فالظاهرية من الفقهاء هم المنسوبون إلى القول بالظاهر وهم أتباع داود بن علي الظاهري الأصبهاني[6] .

نشأ المذهب الظاهري ونما ببغداد في منتصف القرن (03هـ/09مـ)، ثم أخذ حيزه الجغرافي يتسع، فعمّ العراق، ووصل بلاد فارس، كما وصل عمان[7]، وانتشر في بلاد

---

[1]- لم أعرف به هنا ذلك لأني سأقدم له ترجمة وافية في ما تبقى من هذا الفصل .

[2]- لم أعرف به هنا ذلك لأني سأقدم له ترجمة وافية خلال الفصول القادمة من هذه الدراسة .

[3]- عبد المالك ابن العباس،" **أصل اللّغة وعلاقتها بالمنطق عند ابن حزم**"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، دورية محكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية ، قسنطينة، العدد 11، 2010مـ، ص 224 .

[4]- ابن منظور، المصدر السابق، ص 2767 .

[5]- شوقي ضيف وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللّغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، ط 04، 2004مـ، ص 578 .

[6]- نسبة إلى إصبهان رقعتها وضعت على مائة وعشرين فرسخا في مائة وعشرين فرسخا، حدودها كانت ما بين أطراف همذان وماه ونهاوند إلى أطراف كرمان وما بين أطراف الرّي وقومس إلى أطراف فارس وخوزستان، بها خمسة آلاف قرية وسبع مدائن، من مدنها كهثة، جار، جيّ، قه، ساروية وغيرها . ينظر: الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني، **تاريخ أصبهان (ذكر أخبار أصبهان)**، تحقيق كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1990مـ، ص 32- 33 .

[7]- عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص 227 .

المغرب والأندلس أين لقي النجاح مقارنة بباقي المناطق، فالمذهب الظاهري أعيد إحياءه من جديد هناك من قبل ابن حزم الأندلسي، ولما قامت دولة الموحدين اتخذته مذهبا رسميا لها بداية من حكم المنصور الموحدي، للإشارة قبل ذلك كان مذهبا للدولة البهارية[1] التي حكمت بلاد السند مابين (247/ 417هـ-1026/861مـ)[2]، ووصل مصر حيث وجدت بالقاهرة حارة تحمل اسم الداودية، هذه الحارة كما ذكر المقريزي استقر بها أتباع داود فاتخذت هذا الاسم[3]، وحسب ما ذكر صاحب كتاب **"تاريخ الفكر الأندلسي"** فإن فإن آخر وجود للمذهب الظاهري بمصر كان مع الفقيه أحمد البرهان (703-807هـ/1304-1405مـ) الذي اجتهد من أجل إحياء المذهب لكن من دون جدوى[4] .

عرف المذهب الظاهري رواجا بالمشرق خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والرابع هجريين (09-10مـ) حيث أصبح المذهب الرابع بعد المذهب الشافعي، والحنفي، والمالكي[5] بفعل تأثير مجموعة من العوامل منها: الإسراف في استخدام القياس، تأثُر مؤسس مؤسس المذهب الإمام داود بالإمام الشافعي في الأخذ بالنصوص[6] .

هنا يجب الإشارة إلى أنّ النجاح الذي عرفه المذهب الظاهري بالمشرق لم يصل إلى درجة نجاحه في بلاد المغرب فعدد فقهاء المذهب بالمغرب أضعاف عدد فقهائه بالمشرق، وأما

---

[1]- من قرى مرو، ويقال لها بهارين ، ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، دار صادر بيروت، لبنان، 1977 مـ، م 01، ص 514 .

[2]- عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص 227، نقلا عن (خورشيد: **دائرة المعارف الإسلامية، م 04**، ص 246) وعن (بطرس البستاني، دائرة المعارف، بيروت، **ج 05**، ص 636) .

[3]- عبد الحميد بك نافع، **ذيل خطط المقريزي**، تحقيق خالد عزب، محمد السيد حمدي، مدرسة الدار العربية للكتاب، ط 01، يناير 2006مـ، ص 67 .

[4]- أنخيل جنالث بالنثيا، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1955مـ، ص 238 .

[5]- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 511 .

[6]- عبد الباقي السيد عبد الهادي، " **المذهب الظاهري نشأته وتطوره بالمغرب والأندلس حتى نهاية الموحدين**"، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية حولية سيمنار التاريخ الإسلامي الوسيط، ع 02، 1433هـ/ 2012مـ، ص 191 .

مؤلفات المغاربة فاقت بكثير مؤلفات المشارقة فمثلا ابن حزم لوحده كتب ما يقارب مائتي مؤلف يكفينا منها كمثال موسوعته الفقهية الشهيرة الموسومة بـــــ:" **المحلى بالآثار**" التي عرفت رواجا كبيرا بين أهل العلم حيث تم تداولها قديما وحديثا، هذا من دون أن ننسى مؤلفات بقية فقهاء المذهب في مختلف فنون العلم على غرار مؤلفات منذر بن سعيد البلوطي، وأبو العباس النباتي .

واضع نواة المذهب ومؤسسه هو داود بن علي الظاهري[1]،أول من جهر بالظاهر، ونفى القياس في الأحكام قولا، واضطر إليه فعلا، فسماه دليلا[2]، يقول ابن النديم:" وهو أول من استعمل قول الظاهر وأخذ بالكتاب والسنة، وألغى ما سوى ذلك من الرأي والقياس..."[3]، عرف بالأصبهاني لأن أمّه أصبهانية، وقع اختلاف في مكان ولادته فقيل أنه ولد بالكوفة، ونشأ ببغداد[4]، وقيل أنه ولد في بلدة كاشان من منطقة أصفهان[5]، التي وردت أيضًا باسم قشان[6]، كما وقع اختلاف حول سنة ولادته فذكر الخطيب البغدادي

---

[1]- داود بن علي بن خلف الإمام، أبو سليمان البغدادي الفقيه الظاهري، أصبهاني الأصل البحر الحافظ، العلامة، عالم الوقت، المعروف بالأصبهاني، مولى أمير المؤمنين المهدي رئيس أهل الظاهر. ينظر: الخطيب البغدادي، المصدر السابق، **ج 09**، ص 342 ./ الذهبي، **ميزان الاعتدال**، المصدر السابق، **ج03**، ص 26 - الذهبي، **سير**، المصدر السابق، **ج 13**، حقق الجزء علي أبو زيد، ص 97 .

[2]- الزركلي خير الدين، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002مـــ، **ج02**، ص 333 ./ الخطيب البغدادي، المصدر السابق، **ج 09**، ص 348 .

[3]- ابن النديم، **الفن الرابع من المقالة السادسة في أخبار داود وأصحابه**، المصدر السابق، **ج 06**، ص 271 .

[4]- الذهبي، **سير**، المصدر السابق، **ج 13**، ص 98- 103 .

[5]- Omar a. Farrukh Member of the Arab Academy , Damascus(Syria), **Zaharism,A Hstory of Muslim Philosophy**, Volume 01, Book 03, Al Isllam.org published On Books On Islam and Muslims, p 68.

[6]- بالشين المعجمة وآخره نون، مدينة قرب أصبهان تذكر مع قم، ومنها تجلب الغضائر القاشاني، وأهلها كلهم شيعة إماميه، بين قم وقاشان اثنا عشرة فرسخا، وبين قاشان وأصبهان ثلاثة مراحل، ومن قاشان إلى أردستان أربع مراحل= =ينظر: ياقوت الحموي الإمام شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، ، دار صادر بيروت، لبنان، د ت، **م 04** ، ص 296- 297 .

والذهبي أنه ولد سنة (200هـ/815مـ)[1]، في حين ذكر صاحب كتاب طبقات الفقهاء أنه ولد سنة (202هـ/817مـ)[2] .

تتلمذ داود على يد مجموعة من فطاحل العلماء منهم: سليمان بن حرب، وعمرو بن مرزوق، والقعنبي، ومحمد بن كثير العبدي، ومسرهد[3]، وحدّث عنه كثر منهم: ابنه أبو بكر محمد بن داود، وزكرياء الساجي[4] .

كان عقل داود أكبر من علمه[5]، فهو " بصير بالفقه، عالم بالقرآن، حافظ للأثر، رأس في معرفة الخلاف، من أوعية العلم، له ذكاء خارق، وفيه دين متين..."[6] .

لداود مصنفات كثيرة فاقت ثمانية عشر ألف ورقة"[7]، أذكر منها على سبيل المثال لا الحصر: " كتاب "**الإيضاح**"، وكتاب "**الإفصاح**"، وكتاب "**الأصول**"، وكتاب "**الدعوى والبينات**"، وكتاب "**كبير في الفقه**"، وكتاب "**الذب عن السنة والأخبار**"، وكتاب "**الرد على أهل الإفك**"، وكتاب "**صفة أخلاق النبي**"، وكتاب "**الإجماع**"، وكتاب "**إبطال القياس**"، وكتاب "**خبر الواحد وبعضه موجب للعلم**"، وكتاب "**الإيضاح**"، وكتاب "**متاب المعرفة**"، وكتاب "**العموم والخصوص**"، وكتاب" **الحيض**"[8]، كما صنّف كتابين في فضائل الشافعي والثناء عليه[9] .

إنّ قائمة مؤلفات داود بن علي طويلة لا يتسع المجال لذكرها، دوّنها ابن النديم في الفهرست، قال محمد بن إسحاق:" قرأت بخط عتيق يوشك أن يكون كتب في زمان داود بن علي، تسمية كتب أبي سليمان داود بن علي. وقد أثبته على ترتيب ما قرأت ...

---

[1]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج **09**، ص 349/ الذهبي، المصدر السابق، ج**13**، ص 98.

[2]- الشرازي ، المصدر السابق، ص 92 .

[3]-الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 342/ الذهبي، المصدر السابق، ص 98 .

[4]- الخطيب البغدادي، المصدر نفسه، نفس الصفحة/ الذهبي، المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[5]-الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 344/ الذهبي، المصدر السابق، ص 102 .

[6]- الذهبي، المصدر السابق، ص 106- 107 .

[7]-ابن النديم، المصدر السابق، ص 271 ./ الذهبي، المصدر السابق ، ص 102.

[8]- الذهبي، المصدر السابق، ص 104 .

[9]- الشرازي ، المصدر السابق، ص 92 .

نسخت هذه الكتب من جزء عتيق بخط محمد المروزي، وأحسب هذا الرجل على مذهب داود..."[1] .

إنّ هذه المؤلفات دليل واضح على سعة عقل داود الذي كان له أثر إيجابي على الحياة الفكرية، حيث قدّم خدمة جليلة للعلم الشرعي حين اتخذ لنفسه طريقا ومنهجا مستقلا سار عليه في تدوين مصنفاته وفي استنباط الأحكام الشرعية من الأصلين خالف فيه منهج علماء زمانه، وبذلك فتح المجال أمام فقهاء بقية المذاهب لمناظرته الأمر الذي انعكس إيجابا على الحياة العلمية بالعالم الإسلامي مشرقا ومغربا .

توفي مؤسس المذهب سنة (270هـ/883مـ) [2] ودفن في مترله[3]، في حين ذكر ذكر الذهبي أنّ قبره ببغداد في الشونيزية[4]، وعمره حين توفي سبعون سنة حسب الشيرازي[5]، أما الخطيب البغدادي فقال:"...وقد بلغ فيما بلغنا ثمانيا وستين سنة"[6] .

بعد وفاة داود الأصفهاني برز ثلة من أعلام المذهب ساهموا في الدفاع عنه ونشر أصوله، يأتي في مقدمتهم ابن داود أبو بكر محمد[7]، ولد سنة (255هـ/868مـ)[8]، خلف أباه في حلقة العلم فاستصغره بعض الحضور وما عرفوا قامته العلمية إلا بعدما سألوه

---

[1]- ابن النديم، المصدر السابق، ص 271- 272 .

[2]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج **09**، ص 348- 349 / الذهبي، المصدر السابق، ج **13**، ص 107 ./ ابن النديم، المصدر السابق، ص 271 .

[3]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 348 .

[4]- مقبرة بغداد بالجانب الغربي دفن فيها جماعة كثيرة من الصحابة. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج **13**، ص 103.

[5]- الشرازي المصدر السابق، ص 92 .

[6]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 349 .

[7]- من أعلام الظاهرية بالمشرق، العلامة البارع ذو الفنون أبو بكر، حدّث عن أبيه، وعباس الدوري، وأبي قلابة الرقاشي، وأحمد بن أبي خيثمة، له بصر تام بالحديث، وبأقوال الصحابة، كان يجتهد ولا يقلد أحدا. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، ج **13**، ص 109 / ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق،م **03**، ص 412 .

[8]- الذهبي، المصدر السابق، ص 109 - 110 .

عن السكر وحدّه [1] نشر مذهب أبيه عن طريق المناظرة "...كان يناظر...أبا العباس بن سريج، وخلف أباه في حلقته..."[2]، عرف عنه نفي القياس في الفقه وإثباته في الشعر[3] .

لمحمد إسهامات كثيرة في التأليف منها: كتاب" **الإنذار والإعذار**"، وكتاب "**التقصي في الفقه**"، وكتاب "**الإيجاز ولم يتم**"، وكتاب "**الانتصار من محمد بن جرير الطبري**"، وكتاب "**الوصول إلى معرفة الأصول**"، وكتاب "**اختلاف مصاحف الصحابة**" وكتاب "**الفرائض**"، وكتاب "**المناسك**"[4]، وله أيضا كتاب " **الزهرة في الآداب والشعر**"[5]، وكتاب في "**الفرائض**"[6]، توفي ابن داود سنة (297هـ/909مـ)[7] .

ومنهم أيضاً الإمام العلامة فقيه العراق ابن المغلس[8]، إليه انتهت رئاسة الداوديين في في وقته[9]، عنه انتشر علم داود في بلاد الإسلام، له مصنفات على مذهب داود [10]، منها: منها: كتاب "**أحكام القرآن**"، وكتاب "**الموضح في الفقه**"، وكتاب" **المبهج**"، وكتاب" **الدامغ على من خالفه في الرأي**"[11]، وله كتاب" **الموضح جوابات كتاب المزني**"،و

---

[1]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج **03**، ص 159 .

[2]- الذهبي، المصدر السابق، ج **13**، ص 114 .

[3]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 167 .

[4] -ابن النديم، الفن الرابع من المقالة السادسة، في أخبار داود وأصحابه، ص 272./ الذهبي، **السير**، المصدر السابق، ص 110 .

[5]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج**03**، ص 159 .

[6]- الذهبي، المصدر السابق، ص 109 .

[7]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 167/ الذهبي، المصدر السابق، ص 110 .

[8]- أبو الحسن عبد الله بن المحدث أحمد بن محمد المغلس البغدادي الداودي الظاهري، صاحب التصانيف، حدّث عن جدّه، وجعفر بن محمد بن شاكر، وأبي قلابة الرقاش، وإسماعيل القاضي، وتفقّه على أبي بكر محمد بن داود، وعنه انتشر مذهب الظاهرية في البلاد. ينظر: ابن النديم، المصدر السابق، ص 272 ./ الذهبي، المصدر السابق، حقق الجزء إبراهيم الزيبق، ج **15**، ص 77.

[9]- ابن النديم، المصدر السابق، ص 272 .

[10]- الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ج **11**، ص 26 .

[11]- الذهبي، المصدر السابق، ص 77 .

كتاب" **المنجح**"، كتاب "**المفصح**"، كتاب" **أحكام القرآن**"، كتاب "**الطلاق**"، وكتاب "**الولاء**"[1]، توفي سنة (324هـ/935م)[2] .

ومنهم أيضا الفقيه أبو بكر محمد بن إسحاق القاساني[3]، وأبو سعيد الحسن بن عبيد عبيد النهرباني، وأبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي النحوي المعروف بنفطويه روى عن داود، وأبو علي بن عبد الله السمرقندي روى عن داود كتبه[4].

هؤلاء انتقل عنهم المذهب الظاهري إلى أبو الحسن حيدرة بن عمر الزندوردي[5]، ثم ثم انتقل بعده إلى قاضي القضاة أبو سعيد بشر بن الحسين[6]، فالقاضي أبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخرزي[7]، ثم القاضي أبو الفرج الفامي الشيرازي[8]، وغيرهم كثر لا يتسع يتسع المجال لذكرهم .

إنّ هؤلاء الأعلام كان لهم دور فعال في خدمة المذهب الظاهري بعد وفاة داود بن علي الأصفهاني؛ فعنهم انتقل المذهب إلى البلاد الإسلامية فمثلا طلبة العلم بالمغرب لم يكتفوا بما أخذوه من علمٍ عن شيوخهم فشدوا الرحال إلى المشرق ولما دخلوا بغداد التقوا

---

[1]- ابن النديم، المصدر السابق، ص 273 .

[2]-الخطيب البغدادي، المصدر السابق، ص 27./ ابن النديم، المصدر السابق، ص 273 ./ الذهبي، المصدر السابق، ص 108 .

[3]- حمل العلم عن داود، إلا أنه خالفه في مسائل كثيرة من الأصول والفروع، ونقض عليه أبو الحسن بن المغلس بكتاب سماه "**القامع للمتحامل الطامع**". ينظر: الشرازي، المصدر السابق، ص 176 .

[4]-الشيرازي، المصدر السابق، ص176- 177 .

[5]- توفي سنة (358هـ/968م) وقبره في مقبرة خيزران وعن أبي الحسن حيدرة أخذ البغداديون مذهب داود، أخذ مبادئ المذهب عن أبي الحسن بن المغلس علي بن محمد البغدادي، بعدما أعتقه محمد بن صالح المنصوري، فأخذ عنه ببغداد ثم عاد إلى المنصورة. ينظر: الشرازي، المصدر السابق، ص 177 .

[6]- أبرز أصحاب داود أخذ العلم عن علي بن محمد البغدادي صاحب ابن المغلس، خرج إلى فارس وأخذ عنه أبو سعد بشر بن الحسين. ينظر: المصدر نفسه، ص 177- 178 .

[7]- أخذ العلم عن بشر بن الحسين كان نظارًا، أخذ عنه القاضي أبو بكر محمد بن عمر بن محمد بن إسماعيل بن عبيد الله بن الأخضر، كان من أجلاء شهود قاضي القضاة ببغداد، وعن أبي الحسن الخرزي أخذ القاضي أبو علي الداودي قاضي فيروز أباد. ينظر: المصدر نفسه، ص 178 – 179 .

[8]- أخذ العلم عن بشر بن الحسين، كان إمامًا على مذهب داود وعنه أخذ فقهاء شيراز مبادئ المذهب، كان رأسًا في الكلام على مذهب المعتزلة . ينظر: الشرازي، المصدر السابق، ص، ص 179 .

بهؤلاء الأعلام فأخذوا عنهم مختلف فنون العلم،كما أخذوا عنهم أصول مذهب داود ولما رجعوا إلى بلدانهم نشروا ما أخذوه من علم.

زيادة على هذا كان لهؤلاء الأعلام تأثير على بعض فقهاء المذاهب الأخرى فنصوص التاريخ وخاصة منها كتب التراجم أوردت مجموعة من الأسماء التي كانت على مذهب مالك فاضطرت لتركه وانتحلت المذهب الظاهري مثل أبا نصر يوسف[1] انتقل في آخر حياته من مذهب مالك إلى مذهب داود الظاهري فتقدم فيه وتّمم كتاب "**الإيجاز**" لمحمد بن داود[2]، وجعفر بن مسرور أبو القاسم الأجزاري المعروف بابن المشاط قال عياض:" كان يحسن الرد على الملحدين وكان يذهب مذهب مالك ويجيده، ثم انتقل إلى المذهب الشافعي ثم إلى مذهب داود، ثم قول ابن سريج، ثم قول أبو بكر بن داود، ثم قول ابن المغلس وعليه مات، حتى قال بعضهم فيه: ابن المشاط يطلب مذهبه ولم يجده، توفي سنة (349هـ/960مـ)"[3] .

إنّ هؤلاء الفقهاء رغم ما قدّموه من خدمة للمذهب الظاهري إلاّ أن شهرتهم لم تصل إلى الشهرة التي وصلها داود بن علي الأصبهاني، وابن حزم الأندلسي باعث المذهب ومدونه بالأندلس .

---

[1]- أبا نصر يوسف بن عمر بن محمد بن يوسف، ولد سنة (305هـ/917مـ)، وتوفي سنة (356هـ/966مـ)، من أسرة آل حماد، قاضي بغداد وآخر من ولى القضاء بها من ولد حماد بن زيد، كان بارعًا في الأدب والكتابة حسن الفصاحة واسع العلم باللّغة والشعر. ينظر: القاضي عياض بن موسى بن عياض السبتي ت (544هـ/1149مـ)، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق الدكتور محمد بن شريف، د ت، ص – ص 261- 263 / الشرازي، المصدر السابق، ص 179 .

[2]- القاضي عياض، المصدر السابق، ص 263 .

[3]- القاضي عياض أبي الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (476- 544هـ / 1083-1149مـ)، **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، الحلقة الأولى رجال المالكية من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، رتبه واختصره وهذّبه الدكتور قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط 01، 2002مـ، **ج 01**، ص 378 .

03- أصول المذهب الظاهري:

اختلف العلماء والفقهاء حول اعتماد مصادر التشريع، أو تقديم أحدها على الآخر، أو عدم قبول بعضها في استنباط الأحكام الشرعية، علما أن كل المذاهب الفقهية اجتمعت حول اعتماد الأصلين– القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة كمصدرين في التشريع لا ينبغي الاستغناء عنهما، وما يهمني في دراستي مصادر التشريع المعتمدة في الفقه الظاهري .

إنّ مؤسس المذهب الظاهري داود بن علي أقام مذهبه على أساس خاص خالف فيه سواد أئمة المذاهب الفقهية، إذ عمل بظاهر النصوص- القران الكريم والسنة النبوية الشريفة - في المقام الأول وعندما لا يتوفر نص في أحد المسائل الفقهية مال إلى الإجماع، ورفض القياس بحجة: "أن في نصوص القرآن والسنة ما يفي بكل جواب"[1] .

هذه الأصول الثلاث" القرآن، والسنة، والإجماع" أقرّها ابن حزم الأندلسي وزاد عليها خبر الواحد في قوله:" :" إنّ دين الإسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ إلاّ من القرآن أو مما صحّ من الرسول صلى الله عليه وسلم، إما برواية علماء الأمة عنه وهو الإجماع، وإما بنقل جماعة عنه وهو نقل كافة وإما برواية الثقات واحد عن واحد حتى يبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم"[2] .

إذن حسب داود بن علي وابن حزم فإن أصول المذهب الظاهري المعتمدة في استنباط الأحكام الشرعية أربعة: (الكتاب، والسنة، والإجماع، وخبر الواحد)، إذ لم يأخذا ببقية الأصول المعتمدة عند بقية أئمة المذاهب الفقهية السنية الأخرى، وسار على نهجهما من جاء بعدهم من فقهاء المذهب.

إنّ اعتماد فقهاء المذهب الظاهري على الأصول الأربعة سابقة ذكر قد عطّل أحد أهم وسائل الاجتهاد- القياس- المعتمد في استنباط الأحكام الشرعية، كما خالفوهم في طريقة فهم النص .

---

[1]- طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عبية، المرجع السابق، **م 01**، ص 156 .

[2]- ابن حزم علي بن سعيد الأندلسي ت (457هـ/1064م)، **المحلى بالآثار**، تحقيق عبد الغفار سليمان البندراني، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، د ت، **ج 01**، ص 50 .

هذا الواقع – رفض القياس –انجر عنه عقد مناظرات علمية بين فقهاء المذهب الظاهري وبقية أئمة المذاهب في مقدمتهم أئمة المذهب المالكي، فانعكس ذلك إيجابا على الحياة الفكرية في بلاد الإسلام مشرقا ومغربا .

إذن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يأتيان في مقدمة مصادر التشريع المعتمدة عند الظاهرية يقول ابن حزم:" إنّ دين الإسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ إلاّ من القرآن أو مما صحّ من الرسول صلى الله عليه وسلم، ..."[1]، هذا مبرر عندهم بحيث:" اعتبروا السّنة النبوية وحياً، فقالوا يجوز نسخ القرآن بالسنة لأن كلاهما وحي" [2]، واستدلوا في ذلك بالوصية لقوله تعالى:" **كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ**"[3]، هذه الآية نُسِخت بالحديث الشريف **"لا وصية لوارث"**[4] .

هذان المصدران (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) أصلان ثابتان لا تُقدم عليهما بقية الأصول في استنباط الأحكام الشرعية عند كل أئمة المذاهب الفقهية، في حين بقية الأصول وقع اختلاف في تقديم أحدهما على الآخر كما سنرى لاحقاً .

بعد القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة يأتي الإجماع[5] في المرتبة الثالثة كأصل ثابت لاستنباط الأحكام الشرعية في الفقه الظاهري، قال ابن حزم: " إنّ دين الإسلام اللازم لكل أحد لا يؤخذ إلاّ من القرآن أو مما صحّ من الرسول صلى الله عليه وسلم، إما برواية علماء الأمة عنه وهو الإجماع..."[6]، وفي نص أخر لابن حزم نجده يؤكد على ضرورة

---

[1]- ابن حزم علي الأندلسي، **المحلى**، المصدر السابق، **ج 01**، ص 50 .

[2]- عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص 211 .

[3]- سورة البقرة، الآية رقم: 180.

[4]- حديث صحيح رواه الترمذي، **كتاب الوصايا عن رسول الله، باب ما جاء لا وصية لوارث، الحديث** رقم، 2121، **ج 04**، ص 434 .

[5]- إنّ شروط قبول الإجماع عند الظاهرية هو إجماع الصحابة فقط دون غيرهم، وهذا مخالف لجمهور العلماء ومخالف لتعريف الإجماع أي أن اتفاق أمة محمد صلى الله عليه وسلم في عصر من العصور على واقعة من الوقائع. ينظر: عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص 212 .

[6]- ابن حزم ، **المحلى، المصدر السابق، ج01**، ص 50 .

الاعتماد على الإجماع في استنباط الأحكام الشرعية في**قول:** " اتفقنا نحن وأكثر المخالفين لنا أنّ الإجماع من علماء أهل الإسلام حجّة وحقّ مقطوع به في دين الله عز وجل..."[1] .

لكن رغم تأكيد ابن حزم على ضرورة الاعتماد على الإجماع في استنباط الأحكام الشرعية إلا أنه يتشدد في شروط قبوله، فمثلا لا يقبله إلا في حالة واحدة وهي أن يكون الإجماع على شيء منصوص وما عدا ذلك فهو مرفوض:"...وقلنا هذا باطل ولا يمكن البتة أن يكون إجماعاً من علماء الأمة من غير نص..."[2] .

بعد الإجماع يأتي في المرتبة الرابعة خبر الواحد يقول ابن حزم: " ...وإما بنقل جماعة عنه وهو نقل كافة وإما برواية الثقات واحد عن واحد حتى يبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم"[3] .

بناءً على الترتيب الذي قدمته لأصول المذاهب الفقهية المشهورة والأصول الأربعة المعتمدة في المذهب الظاهري يظهر أن الظاهرية من الفقهاء قد خالفوا أئمة الفقه، حيث أخذوا ببعض الأصول ورفضوا بقية الأصول التي تعتبر وسائل هامة في استنباط الأحكام الشرعية .

إنّ القياس[4] يأتي في مقدمة الأصول التي رفض الظاهرية الاعتماد عليها في استنباط أحكام المسائل الشرعية، يقول ابن خلدون:" كان الحديث قليلاً في أهل العراق...فاستكثروا من القياس ومهروا فيه فلذلك قيل أهل الرأي ومقدم جماعتهم الذي استقر المذهب فيه وفي

1- ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، منشورات دار آفاق، بيروت، لبنان، 1980 مـــ، **ج 04**، ص 128.

2- ابن حزم، **الإحكام**، المصدر السابق، ص 128.

3- ابن حزم، **المحلى**، ص 50 .

4- لغة مأخوذ من "جمع القوس قياس"، ويقال كذلك:" قست الشيء بغيره وعلى غيره، أقيسُ قيساً فانْقاس، إذا قدرته على مثاله والمقدار مقياس، فيقال: "قُستُ الشيء: قِستُهُ، وأهل المدينة يقولون: لا يجوز هذا في القَوس يريدون القياس ". (ابن منظور، المصدر السابق، ص 3773- 3774)، أما المدلول الفقهي للقياس فهو: "حمل فرع على أصل لعلّة مشتركة بينهما كالحكم بتحريم شراب مسكر حملا على الخمر لاشتراكهما في علة تحريم الإسكار" (شوقي ضيف وآخرون، المرجع السابق، ص770)، وفي الاصطلاح القياس دليل شرعي كبقية الأدلة التي أحدثها الشارع مثل الكتاب، والسنة، والإجماع وعبّروا عنه بأنه مساواة أو استواء. (فاتيغا موسى، المرجع السابق، ص 82- 83)، وعرّفه صاحب كتاب"**الحدود**" قائلاً:" حمل أحد المعلومين على الآخر في إثبات حكم أو إسقاطه بأمر يجمع بينهما" ينظر: ابن خلف أبي الوليد سليمان، **كتاب الحدود**، تحقيق تربة حماد، مؤسسة الزعبي، د ت، ص 215).

أصحابه أبو حنيفة وإمام أهل الحجاز مالك، والشافعي من بعده، ثم أنكر القياس طائفة من العلماء وأبطلوا العمل به وهم الظاهرية..."[1]، وقد دعّم الشهرستاني كلام ابن خلدون قائلا: "إنّ السادة الظاهرية رفضوا القياس وعملوا بالنصوص: الكتاب والسنة والإجماع فقط، ومنعوا أن يكون القياس أصلا من الأصول مؤكدا مقولة داود أن أول من قاس إبليس ..."[2].

لقد قدّم الظاهرية أدلة من الكتاب والسنة وما أثر عن الصحابة لإبطال العمل بالقياس، فمن القرآن أوردوا مجموعة من الآيات منها قوله تعالى: "**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً**"[3] .

ومن السنة النبوية الشريفة أوردوا مجموعة من الأحاديث النبوية منها حديث أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " **تعمل هذه الأمة برهة بكتاب الله وبرهة بسنة رسوله وبرهة بالرأي فإذا عقلوا ذلك فقد أضلوا** "[4].

أما ما أثر عن الصحابة فقد ذكروا قولا لأمير المؤمنين خليفة رسول الله أبو بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال:"**أي سماء تظلني وأي أرض تقلني إذا قلت في كتاب الله بغير علم**"[5] .

إنّ رفض الظاهرية للقياس عارضهم فيه أئمة المذهب الحنفي والمالكي الذين يرون القياس مصدر أساسي لاستنباط الأحكام الشرعية لا ينبغي الاستغناء عنه فأوردوا في مشروعيته آيات قرآنية كثيرة منها قوله تعالى في معاملة الوالدين: " **وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا**

---

[1]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 428 .

[2]- الشهرستاني، المصدر السابق، ص 122 .

[3]- سورة النساء، الآية رقم :59 .

[4]- حديث صحيح أخرجه ابن حزم في **الإحكام**، **ج06**، ص 219- 220 .

[5]- حديث صحيح أخرجه ابن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي أبي عمر يوسف ت (463هـ/1070م)، **جامع بيان العلم وفضله**، ، وقف على طبعه وتصحيحه وتقييد حواشيه إدارة الطباعة المنيرية، **ج02**، ص 52 .

إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا "[1] .

من خلال الآية الكريمة يتضح أنّ المولى عز وجل حرّم على الأبناء التأفق على الوالدين، والتأفق أقل ضرا من الضرب، وبالتالي فإن ضربهما محرم قياساً على تحريم التأفق .

أما عن مشروعيته من السنة فنجد أنّ هؤلاء استدلوا بأحاديث كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم في حديث معاذ رضي الله عنه لما بعث معاذا إلى اليمن قال له: " **إن عرض لك قضاء ؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله، قال: أجتهد رأي، قال: فضرب بيده في صدري وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضاه رسول الله**"[2] .

يتضح من خلال ما سبق أن الخلاف موجود بين أئمة الفقه حول اعتماد القياس من عدمه، فكل طرف أورد أدلّة من القرآن والسنة تُدَعم قوله الذي ذهب إليه، لكن شخصياً أرجح الرأي الذي يعتبر القياس من أهم المصادر المعتمدة في استنباط أحكام المسائل التي لم يرد فيها نص، فما من واقعة تقع أو نازلة تنزل على الناس طلبا للفتوى إلاّ ولها حكمها الشرعي ما إن تمّ الاعتماد على القياس، قال الشهرستاني: "...ولم تنضبط قط شريعة من الشرائع إلا باقتران الاجتهاد بها، لأن من ضرورة الانتشار في العالم الحكم بأن الاجتهاد معتبر، وقد رأينا الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين كيف اجتهدوا وكم قاسوا في مسائل المواريث..."[3] .

إنّ الظاهرية لم يبطلوا العمل بالقياس فقط بل أنكروا كذلك العمل بالاستحسان والمصالح المرسلة، وسد الذرائع، وعمل أهل المدينة [4]، وبذلك عطلوا كثير من وسائل الاجتهاد .

---

[1]- سورة الإسراء، الآية رقم: 23 .

[2]- حديث صحيح أخرجه ابن عبد البر **في جامع بيان العلم، ج 02**، ص 55- 56 .

[3]- الشهرستاني، المصدر السابق، ص 122 .

[4]- أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 22 .

في الأخير يمكنني القول أن المذاهب الفقهية في الإسلام عديدة ومتنوعة منها ما استمر كالمذاهب الأربعة المشهورة، ومنها ما اندثر وزال كمذهب الأوزاعي، ومذهب الطبري، ومنها من تناقص أتباعه لكن استمر في الوجود كالمذهب الظاهري، هذا الأخير وضع أسسه داود بن علي الأصفهاني بالمشرق، ثم خدمه ابنه وتلامذته من بعده، بحيث كان لهم دور في نقل أصوله المخالفة لبقية المذاهب إلى طلبة العلم الوافدين على بغداد من مختلف حواضر البلاد الإسلامية ويأتي في مقدمة هؤلاء طلبة المغرب والأندلس، في هذه الرقعة الجغرافية عرف المذهب الظاهري نجاحا كبيرا بعدما بعثه ودوّنه ابن حزم الأندلسي بعد الركود الذي عرفه بالمشرق، ثم تأسست دولة الموحدين التي تبنته مذهبا رسميا لها .

الفصل الأول: عوامل انتقال المذهب الظاهري إلى المغرب الإسلامي.

01- رحلات المغاربة إلى المشرق في طلب العلم.

02- دور بغداد موطن نشأة المذهب الظاهري.

عرفت بلاد المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط تواجد مجموعة من المذاهب الفقهية السنية في مقدمتها المذهب الحنفي، والمذهبي المالكي، ومذهب الأوزاعي، إضافة إلى المذهب الظاهري محور دراستي .

لقد تضافرت مجموعة من العوامل أدت إلى دخول المذهب الظاهري للمنطقة أذكر منها الرحلة[1]، خاصة تلك التي ارتحل فيها المغاربة والأندلسيون إلى بلاد المشرق بهدف النهل من علومه ولقاء كبار مشايخه وعلماءه، إضافة إلى عامل آخر لا يقل تأثيرا وأهمية عن العامل الأول والمتمثل في فضل حواضر المشرق وبالأخص حواضر العراق وفي مقدمتها بغداد موطن نشأة المذهب .

01 – رحلات المغاربة إلى المشرق في طلب العلم :

عُرِفَ المسلمون بالحل والترحال، حيث كان لهم شغف كبير بحب المعرفة، والإطلاع، والمغامرة، والاغتراب[2]، وقد تباينت أهداف رحلاتهم، فكانت إما لطلب العلم، أو الاستطلاع، أو السفر، أو الحج، فجابوا الأرض متحدين الأهوال والمخاطر فسجّلوا ما وقع تحت أعينهم وتفانوا في جمع المعلومات الجغرافية والتاريخية والحضارية[3] .

إنّ تلك الرحلات وأخص بالذكر منها الرحلات العلمية كان لها أثر وفضل كبيرين في ازدهار الحياة الفكرية والثقافية وتنوع المذاهب في أقطار الدولة الإسلاميةّ، فهؤلاء الرحالة لما عادوا إلى بلدانهم أدخلوا ما أخذوه من علم على يد المشايخ الذين قابلوهم في تلك

---

[1]- الرحلة مشتقة من "الرُحْلَة، والرَحْلَة، والرِحْلَة"، اسم للارتحال والمسير، قال البعض:"الرحلة، الارتحال، والرحلة بالضم: الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، مثل قولك:"أنتم رحلتي أي الذين أرتحل إليهم"، ويقال:"رجل مُرَحَلْ أي له رواحل كثيرة"، "والرَحيل القوي على الارتحال والسير. ينظر: (ابن منظور، المصدر السابق، **ج17**، ص-ص1609-1611 .) / ويقال:"رحل الرجل إذا سار"، فالرحلة هنا بمعنى السير والضرب في الأرض، وجاءت الرحلة بمعنى الارتحال أي الانتقال من مكان لآخر ، كما جاءت بمعنى الجهة التي يقصدها الإنسان . (عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة**، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996مـــ، ص 40) .

[2]- مبارك بشير، **المدارس التعليمية بالمغرب الأوسط على العهد الزياني633 – 962هـــ/1235– 1554مـــ**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة معسكر، الجزائر، 2010- 2011مـــ ، ص 55 .

[3]- مبارك بشير، المرجع السابق، ص 55 .

البلاد، فأصبح بذلك العالم الإسلامي في كثير من نقاطه عالماً موحدا فكريا، وثقافيا، ودينيا، ومذهبيا .

فديننا الحنيف لم يترك أي وسيلة تفيد المجتمع الإسلامي إلا وحثّ عليها ومن ذلك الرحلة. فقد ورد في القرآن الكريم قصص كثيرة في هذا الباب منها قصة سيدنا موسى عليه السلام والخضر العبد الصالح، حيث خاطب نبي الله الخضر طالبا منه أن يتبعه ليتعلم منه رغم منزلة موسى عند الله – نبي الله وكليمه- ويظهر هذا في قوله تعالى: " **قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلۡ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمۡتَ رُشۡدٗا** "[1] .

كما وردت أحاديث كثيرة عن الرسول صلى الله عليه وسلم دعت صراحة إلى الرحلة لطلب العلم منها على سبيل المثال حديث أبو الدرداء رضي الله عنه قال: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال:" **من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر**"[2] .

إنّ كمال التعليم وتوسيع الثقافة لا يتم إلا بملاقاة للشيوخ والمباشرة في الأخذ عنهم فذلك أفضل من طريقة التلقين والمحاكاة "...إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشدّ احتكاما وأقوى رسوخا فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها... فالرحلة لا بد منها في طلب العلم..."[3] .

إذن لا غرابة أن نجد المسلمون قد اهتموا كثيرا بالرحلة في طلب العلم خاصة بعد الفترة التي تلت الفتوحات الإسلامية، حيث كثر الوافدين على الدين من غير العرب (الفرس

---

[1] – سورة الكهف، الآية رقم : 66 .

[2]– حديث صحيح أخرجه الأزدي أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، كتاب العلم، باب الحثّ على طلب العلم، الحديث رقم 3641، إعداد وتعليق عزّت عبيد الدعاس وعادل اليد، دار ابن حزم، د ت، ج **04**، ص 39-40 .

[3]– ابن خلدون، المصدر السابق، ص، 559 – 560 .

والعجم) هؤلاء فيهم من حسن إسلامه، وفيهم من وجد في ذلك طريقا لدسّ سمومه، فوضعوا أحاديث كذبوا فيها عن رسول الله، حين ذاك ازداد اهتمام المسلمين بالرحلة طلبا للحديث النبوي الشريف من مصادره الأصلية فبرز في هذا المجال الإمامين مسلم، والبخاري صاحبي الصحيحين ليسدّوا الطريق على الكذابين والواضعين، ضف إلى ذلك فإنّ طالب العلم لا يمكنه أن يعتمد على شيخ واحد في تلقي العلم بل يتوجب عليه مخالطة الشيوخ بلقائهم والرحلة إليهم .

لقد اهتم المغاربة بالرحلة في طلب العلم فمعظم طلبة المنطقة كانت لهم رحلات علمية إلى المشرق بغية لقاء المشايخ وجمع المؤلفات المدونة في مختلف فنون العلوم أو توسيع المعارف وتنقيحها .

إنّ المغاربة جعلوا من الرحلة وسيلة لتسجيل أسماء مشايخهم ومروياتهم وأسانيدهم[1] من جهة، ومن جهة أخرى كانت بمثابة أداة سهّلت عليهم عملية الإطلاع على أشهر وأكبر خزانات المشرق فساهموا من خلالها في جلب أنفس الكتب، يقول أبو حامد الغرناطي[2]:"...ومنذ اغتربت عن المغرب الأقصى عام (557هـ/1161م) شاهدت من الأئمة الكرام، ما لا يعد ولا يحصى، وأولاني الله عز وجل على أيديهم من أنواع النعم ما لا يقدر على إحصائها إنسان"[3] .

---

[1]- عواطف محمد يوسف نواب، المرجع السابق، ص 72 .

[2]- هو أبو عبد الله ويقال أبو حامد محمد بن عبد الرحيم المازني، القيسي، الغرناطي، ولد سنة (473هـ/1080مـ)، رحل إلى الإسكندرية وسمع بها من أبي عبد الله الرازي، وبمصر من أبي صادق مرشد بن يحي المديني وأبو الحسن الفراء وغيرهم، وسمع ببغداد سنة (556هـ/1160مـ) ودخل خراسان، ثم رجع إلى الشام وأقام بحلب سنين، وسكن دمشق وبها حدّث، كان حافظا عالما وأديبا، توفي بدمشق في صفر (565هـ/1169مـ). ينظر:المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1968مـ، **م 02**، ص 235.

[3]- أبو حامد الغرناطي، **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993مـ، ص 46 .

لقد زودتنا نصوص التاريخ بأحد أشهر رحلات المغاربة العلمية -رحلة المهدي بن تومرت-[1] مؤسس دولة الموحدين إلى المشرق:"رحل إلى المشرق على رأس المائة الخامسة..."[2] .

إنّ ابن تومرت في رحلته لاق كبار العلماء أبرزهم أبو حامد الغزالي[3]، ولما رجع إلى المغرب عاد بعلم غزير "... وانطوى هذا الإمام راجعًا إلى المغرب بحرًا متفجرًا من العلم، وشهابًا واريًا من الدين..."[4].

كان للرحلة دور كبير في توحيد المذاهب الفقهية بين المشرق والمغرب، حيث ساعدت على مد جسور التواصل بين المنطقتين وساعدت على تبادل مختلف الأفكار والمصنفات، فالعديد من المذاهب نشأت بالمشرق ثم انتقلت إلى المغرب بفضل الرحلة كالمذهب الحنفي، والمالكي، والظاهري وغيرها من المذاهب.

إنّ ما يهمني في دراستي أثر الرحلة في إدخال المذهب الظاهري إلى بلاد المغرب، فكيف تم ذلك ؟ .

---

[1]- محمد بن تومرت صاحب دولة الموحدين المشتهر بالمهدي، أصله من هرغة من بطون المصامدة ، أبوه عبد الله، لقب في صغره بأمغار، وهو محمد بن عبد الله بن وجليد بن أمصال بن حمزة بن عيسى ، زعم الكثيرون أن نسبه في آل البيت، وأنه محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد من ولد سليمان بن عبد الله بن الحسن بن الحسين بن علي بن أبي طالب أخي إدريس الأكبر. ينظر:ابن خلدون عبد الرحمن (732-808هـ/1332-1406مـ)، **تاريخ ابن خلدون المسمى بـ: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000مـ، **ج 06**، ص 301 .

[2]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[3]- الشيخ الإمام البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، الشافعي، الغزالي، صاحب التصانيف، تفقه ببلده، ثم تحول إلى نيسابور، برع في الفقه، ومهر في الكلام والجدل، من أشهر مؤلفاته كتاب " **الإحياء**" وكتاب " **الأربعين**" وكتاب" **القسطاس**". ينظر: الذهبي، المصدر السابق، **ج 19**، ص – ص 322 - 345 .

[4]- ابن خلدون، **العبر**، المصدر السابق، ص 302 .

لقد لعبت الرحلة دورا كبيرا في إدخال المذهب الظاهري إلى بلاد المغرب، فكتب التراجم زودتنا بعدد كبير من علماء المغرب والأندلس الذين أدخلوا أصول المذهب ومصنفات فقهائه إلى المنطقة بعد عودتهم إلى بلدانهم ومن بين هؤلاء أذكر على سبيل المثال:

- **عبد الله بن قاسم**[1]: هو عبد الله بن قاسم بن هلال بن يزيد بن عمران القيسي، أبو محمد القرطبي من أهل الأندلس، اشتهر بالرحلة، فقيه جليل مال إلى القول بالظاهر[2]، أول من أدخل مذهب داود إلى بلاد المغرب بعدما صحب داود بن علي لما زار العراق "وإذا نعتنا عبد الله بن قاسم بن هلال، ومنذر بن سعيد، لم نجار بهما إلا أبا الحسن بن المغلس، والخلال، والديباجي، ورويم بن أحمد، وقد شركهم عبد الله في أبي سليمان وصحبته، يعني داود بن علي"[3]، يضيف ابن الفرضي: " رحل ودخل العراق ولقي أبا سليمان داود بن سليمان القياسي..."[4]، نظر في مذهب مالك لكن غلب عليه علم داود بن علي الأصفهاني الظاهري[5]، خلال رحلته إلى العراق دون كل كتب داود ثم أدخلها الأندلس فانتفع بها أهلها[6].

---

[1]- أحد النبلاء، ذو فضل وعلم رحل بغداد ولقي داود بن علي، وأدخل أكثر كتبه، قال فيه قاسم بن أصبغ البياني عن رحلته غلى العراق نقلا عن ابن العنادي:" ما حبب إلي الرحلة في طلب العلم إلا عبد الله بن محمد بن قاسم بن هلال الأندلسي فإنه قدم علينا من إفريقية منصرفا من المشرق فرأيت من نبله وحسن فهمه وأصرت به إلى الرحلة" . ينظر: الخشني محمد بن حارث ت (361هـ/971م)، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي، 1992، ص 217- 218 .

[2]- الحميدي أبي عبد الله ت (488هـ/1095م)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 01، 2008م، **ج 07**، ص 379 ./ الضبي (599هـ/1203م)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصري، القاهرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط 01، 1980م،، **ج 02**، ص 453 .

[3]- الحميدي، المصدر السابق، ص 379 . / الضبي، المصدر السابق، 454 .

[4]- ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي ت (403هـ/1012م)، **تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)**، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميو، بيروت، لبنان، ط 01، 1997م، ص 180 .

[5]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 181 .

[6]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

وقع اختلاف في سنة وفاته فذكر ابن الفرضي أنه توفي سنة (272هـ/ 885مـ)[1]، في حين ذكر كل من الخشني، والحميدي، والضبي أنه توفي سنة (292هـ/ 904مـ)[2].

بعد وفاة عبد الله بن قاسم برز عدد من المغاربة الذين رحلوا إلى المشرق ولما عادوا مهّدوا للفقه الظاهري أبرزهم: محمد بن عبد الملك بن أيمن، ومحمد بن قاسم[3]، وبقي بن مخلد، وأبو عبد الله محمد بن وضاح، وقاسم بن أصبغ[4]، ومسعود بن سليمان بن مفلت أبو أبو الخيار الفقيه العالم الزاهد الشديد الميل إلى القول بالظاهر[5] المتوفى سنة (421هـ/1030مـ) تتلمذ عليه ابن حزم وأخذ عنه أصول المذهب الظاهري[6].

هؤلاء الأعلام كان لهم إسهاما كبيرا في إدخال أصول المذهب الظاهري إلى المغرب والأندلس بعدما عادوا من رحلتهم التي قادتهم إلى العراق، فعرفوا به، وبكتبه عن طريق حلقات العلم والجدل .

بعد هؤلاء النفر من العلماء برز علماء آخرون على رأسهم منذر بن سعيد أبو الحكم، النفزي، البلوطي، القرطبي، الأندلسي[7] قاضي قضاة الأندلس في عصره[8]، يقال له

---

[1]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 181 .

[2]-الخشني، المصدر السابق، ص 218,/ الحميدي، المصدر السابق، ص 379./ الضبي، المصدر السابق، 454 .

[3]- ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 181 .

[4]- الخشني، المصدر السابق، ص 217 ./ حسين يوسف دويدار، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي" 138-422هـ/755- 1030مـ"**، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، ط 01، 1994مـ ، ص 157 .

[5]- الحميدي أبي عبد الله، المصدر السابق، **ج 09**، ص 516 .

[6]- حسين يوسف دويدار، المرجع السابق، ص 158 .

[7]- ياقوت الحموي الرومي، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط01، 1993مـ، **ج 05**، ص 2717 . / يوسف فرحات ويوسف عيد، **معجم الحضارة الأندلسية**، دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2000مـ، ص 49- 50 .

[8]- الزركلي خير الدين، المصدر السابق، **ج 07**، ص 294 .

له الكزني نسبة إلى فخذ من البربر يسمى كزنة[1] وهو موضع قريب من قرطبة يقال له فحص البلوط[2] .

ولد منذر سنة (265هـ/878مـ)[3]، تتلمذ بالأندلس على يد فطاحل من العلماء أبرزهم عبيد الله بن يحيى اللّيثي، مال إلى المذهب الظاهري ومذهب النظر والجدل[4]، والجدل[4]، برز في الفقه والخطابة والجدل والشعر[5]، فأعجب به الناصر "...وكان الناصر أشدهم تعجبا به، فسأل عنه ابنه الحكم، ولم يكن يعرفه، فقال له هذا منذر بن سعيد البلوطي..." [6] .

إنّ الخليفة الناصر لما عرف مكانته العلمية قرّبه إليه وولاه على الصلاة والخطابة بمسجد الزهراء، كما عيّنه قاضيا للجماعة بقرطبة سنة (339هـ/950مـ) ، بعدما كان مجرد قاضٍ على ماردة وما ولاها [7] ، واستمر في منصبه مع الحكم المستنصر خليفة الناصر،ولم يحفظ عليه جور في قضية ولا قسم بغير سوية ولا ميل بهوى[8] .

لمنذر مؤلفات عديدة منها: "**كتاب أحكام القرآن**"، و" **كتاب الناسخ والمنسوخ**"، وله:"**رسائل وخطب مجموعة وأشعار متفرقة مطبوعة**"[9]، وكتاب" **الإنباه على استنباط**

---

[1]- الزركلي خير الدين، المصدر السابق، **ج 07**، ص 294 .

[2]- فحص البلوط بالأندلس من ناحية قرطبة، منه القاضي أبو الحكم منذر بن سعيد البلوطي. ينظر: الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 01، 1975مـ، ط 02، 1984م، ص 95 .- الذهبي، **سير، ج 16**، تحقيق أكرم البوشي، ص 173 .

[3]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 2717 ./ الذهبي، **السير**، المصدر السابق، ص 178 .

[4]- الحنبلي الدمشقي المصدر السابق، **م 04**، ص 289 ./ الذهبي، المصدر السابق، ص 174 – 175 .

[5]- الزركلي خير الدين، المصدر السابق، ص 294 . / الذهبي، المصدر السابق، ص 174 .

[6]- ياقوت الحموي الرومي، المصدر السابق، ص 2717 – 2718 .

[7]- ياقوت الحموي الرومي، المصدر السابق، ص 2717 – 2718 ./ الزركلي خير الدين، المصدر السابق، 294 .

[8]- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبطه وحقّقه وعلّق عليه، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، د ت، **ج 02**، ص 295 .

[9]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 2718 .

الأحكام من كتاب الله"، وكتاب" **الإبانة عن حقائق أصول الديانة**"[1]، كما وضع مقامات انتقد فيها السلطان الناصر على إسراف المال العالم في بناء مدينة الزهراء[2] .

عُرِفَ منذر بكثرة الترحال فحج سنة (308هـ/920م)[3]، وطاف في أغلب حواضر المشرق في مدة فاقت ثلاث سنين (أربعون شهرا)[4]، لقي فيها كبار العلماء أخذ عنهم مختلف فنون العلم، "وقد كانت له رحلة كتب فيها وطلب، وسمع من ابن ولاد بمصر "**كتاب العين**" للخليل بن أحمد، ومن أبي بكر بن المنذر "**كتاب الإشراف**" [5] .

لقد ساهم منذر بعد عودته إلى الأندلس في استمرار المذهب الظاهري ببلاد المغرب بعدما تلقى في رحلته أصول المذهب، حيث لعب دورا كبيرا في بثه وخدمته بالمنطقة[6]، فالدعوة الظاهرية كما قال الباحث طه عبد المقصور لم تجد من يقوم بها بعد وفاة ابن هلال حتى ظهر منذر بن سعيد البلوطي[7] .

حقيقة المذهب الظاهري بالمغرب قد تدعم بشخص منذر الظاهري، لكن الواقع يقول عكس ما ذكرته النصوص، فرغم ميول منذر للمذهب الظاهري واحتجاجه لقول داود بن علي إلا أن خدمته للمذهب كان محدودا، فمعروف أن المذهب المالكي كان هو السائد بالأندلس وعلى أصوله تسير أمور الدولة والعامة، فلما تعين الحكومة أي فقيه في منصب القضاء تفرض عليه أن تجري أحكامه على المذهب الفقهي الذي تتبناه، وهذا ما حدث مع الفقيه الظاهري منذر بن سعيد "....فإذا جلس للحكومة قضى بمذهب الإمام مالك وأصحابه، بالذي استقر عليه العمل في بلدهم، وحمل عليه السلطان أهل مملكته"[8] .

---

[1]- الزركلي خير الدين، المصدر السابق، 294 .

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 2720 .

[3]- الزركلي خير الدين، المصدر السابق، ص، 294 / يوسف فرحات ويوسف عيد، المرجع السابق، ص 49- 50.

[4]- الزركلي، المصدر نفسه، نفس الصفحة. / Omar a. Farrukh, opcit, p : 71 .

[5]- الحميدي أبي عبد الله، المصدر السابق، ص 514 .

[6]- المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، المصدر السابق، ص 294 .

[7]- طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عبية، المرجع السابق، ص 559 .

[8]- المقري شهاب الدين، **أزهار الرياض**، المصدر السابق، ص 295 .

مع ذلك لا يمكننا استصغار العمل الذي قدّمه خدمةً للمذهب الظاهري فيكفي أنه مال إلى الظاهر ودافع عن أصوله وحمل نفسه وأهله عليه، فجهوده هذه كانت مقدمة لازدهار المذهب في بلاد المغرب .

توفي منذر سنة (355هـ/965م)[1]، عن عمر ناهز اثنان وثمانون سنة[2]، دفن بمقبرة قريش بالربض الغربي من قرطبة جوفي مسجد السيدة الكبرى بقرب داره[3] .

وبالقيروان برز أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري الفرضي الشهيد، الفقيه رحل إلى العراق وسمع فيها من محمد بن نصر صاحب يحي بن معين، وصاحب على المديني، كان له دور في إدخال مؤلفات داود بن علي الأصفهاني بعد عودته إلى القيروان[4] .

.

إنّ وفاته لم تكن طبيعية حيث قتل بعد وشاية من قاضي الشيعة محمد بن عمر المروذ إلى عبيد الله المهدي، هذا الأخير أمر الحسين بن أبي خنزير بقتله، فعذبه إلى أن مات[5].

من دون شك أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري بمجرد عودته إلى المغرب ودخوله القيروان أخذ يعرف أهلها بداود الأصفهاني، ومذهبه، وشرح مؤلفاته لأهلها، وبذلك لعب دورا كبيرا في نشر المذهب واستمراره في المنطقة .

بعد هذه المرحلة ظل المذهب الظاهري يراوح مكانه دهرا من الزمن، حتى ظهر ابن حزم[6] مؤسس المدرسة الظاهرية بالمغرب الإسلامي وباعث المذهب ومدونه من جديد [1]،

---

[1]- ياقوت الحموي الرومي، المصدر السابق، ص 2722 ، الذهبي، المصدر السابق، ص 178 .

[2]- ابن عماد الحنبلي، المصدر السابق، ص 289 .

[3]- المقري، المصدر السابق، ص 295 .

[4]- الدبّاغ أبو زيد عبد الرحمن محمد الأنصاري الأسيدي (605- 696هـ/1208-1296م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق محمد الأحمدي أبو نور و محمد ماضيور، مكتبة الخانجي مصر، المكتبة العتيقة، بتونس، 1972م، **ج 02**، ص 288- 289 .

[5]- الدباغ، المصدر السابق، ص 289 .

[6]- أبو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صلح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الفارسي، مولى يزيد بن أبي سفيان بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي، أصل أبائه الأدنيين من قرية من إقليم لبلة من غرب الأندلس. ينظر: المراكشي عبد الواحد ت (647هـ/1249م)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**،

[1]، ولد بقرطبة يوم الأربعاء آخر يوم من شهر رمضان من سنة (384هـ/994مـ)[2]، الفقيه، الحافظ، المتكلم، الأديب، الوزير الظاهري، صاحب التصانيف[3]، عرف باسم الأندلسي الظاهري[4]، عاصر أواخر أيام بني أمية بالأندلس[5] .

يرجع نسبه إلى أسرة ذات علم وجاه، فجدّه أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب أبرز رجال العلم والأدب في قرطبة [6]، أما أبوه فكان من وزراء المنصور محمد بن أبي عامر[7] .

قبل إقباله على قراءة العلوم اشتغل وزيرا لعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار بن الناصر الملقب بالمستظهر بالله[8] .

كان ابن حزم شافعيا قبل انتقاله إلى القول بالظاهر فأفرط فيه، وله مصنفات كثيرة فاقت أربع مائة مجلد[9] .

لقد دارت جل مؤلفاته حول المذهب الظاهري، أما البقية فكانت في الفقه، والحديث، والأصول، والنحل والملل، والتاريخ، والنسب رجع إليها العلماء قديما وحديثا

وضع حواشيه حليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2005مـ، ص 34.

[1] -Omar a. Farrukh, opcit, p: 71 .

[2]- الذهبي، المصدر السابق، ج **18**، تحقيق محمد نعيم العرقسوسي، ص 185 .

- Samir Kadouri, Dissimulation des opinions politiques sou contrôle Le cas d'Ibn Hazm à Séville, Al-QAntara,xxxv 01, enoro- junio 2014, p 136.

[3]- الذهبي، المصدر السابق، ص 184 .

[4] - Khadijah Mohd Khambali, **Ibn Hazm on Christianity : An Analysis to His Religious Approaches**, World Journal of Islamic History and civilization, IDOSI Publication, 2011, p : 242 .

[5]-Salim Al-Hassani, Salah Zaimeche, **Ibn Hazm's philosophy and thoughts on scieence**, Victoria park, Manchester, United Kingdom, fstc limited, 2003- 2004, p; 02 .

[6]- ابن بشكوال ت (578هـ/1182مـ)، **كتاب الصلة**، تحقيق شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، ط 01، 2008مـ، **م 01**، ص 51 .

[7]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 35 .

[8]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[9]- نفسه، نفس الصفحة .

فاقتبسوا منها كثيرا" يظهر الاقتباس من كتابات ابن حزم عند ابن تيمية، وابن القيم الجوزية، وحتى عند أصحاب الدراسات الحديثة..."[1] .

إنّ النصوص لا تذكر سبب انتقال ابن حزم من المذهب الشافعي إلى المذهب الظاهري، لكن لا يستبعد تأثره بمؤلفات داود الأصفهاني التي دخلت إلى الأندلس بفضل عبد الله بن قاسم، ومنذر، وابن خيرون وغيرهم، فكانت سببا في انتقاله إلى القول بالظاهر فدافع عنه وأحياه من جديد عن طريق التأليف والمناظرة "...ثم عدل إلى قول أصحاب الظاهر فنقّحه وجادل عنه وثبت عليه إلى أن مات وكان يحمل علنه هذا ويجادل عنه من خالفه، على استرسال في طباعه..."[2].

وبذلك فقد كان لابن حزم دور كبير في نشر المذهب في بلاد المغرب حيث كثر المنتسبون له خاصة من تلامذته الذين أصحبوا معنيون بالدفاع عنه أمثال: ابن عبد البر القرطبي، والحميدي صاحب جذوة المقتبس وغيرهم فتحول بذلك المذهب من العمل الفردي إلى العمل الجماعي .

رغم ما قدّمه ابن حزم من خدمة للعلم إلا أنه امتحن من قبل حاكم اشبيلية[3] فشرد فشرد وطرد عن وطنه، وأحرقت مجلدات من كتبه وتحول إلى بادية لبلة[4]بتهمة تجريحه لعلماء عصره من المالكية، والمتصوفة، والفلاسفة فقد قيل: " لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين"[5] .

توفي ابن حزم سنة(456هـ - 1063م)[6]، مخلفا وراءه مادة علمية لبأس بها شملت مختلف فنون العلم استفاد منها العلماء قديما وحديثا .

---

[1] - Camilla Adang, Maribel Fierro, Sabine Schmidtke, **Ibn Hazm Of Cordoba The Life and Works of a Controversial Thinker**, BRILL, Leiden. BOSTON , 2013, P: 603 .

[2]- الذهبي، المصدر السابق، ص 200 .

[3]-Samir Kadouri, opcit, p: 135 .

[4]- قصبة كورة بالأندلس يتصل عملها بعمل أكشونية إلى الشرق منها والغرب من قرطبة، ينظر: الذهبي، **ج 18**، المصدر السابق، ص 198 .

[5]- المصدر نفسه، ص 199 .

[6]- نفسه، ص 211 .

02- دور بغداد موطن نشأة المذهب الظاهري:

كانت بلاد المغرب خلال العصر الوسيط على صلة دائمة بمراكز العلم والحضارة بالمشرق موطن نشأة مختلف التيارات الفكرية والمذهبية التي انتقلت إلى المغرب تحت تأثير جملة من العوامل، فتداولها أهله مقلدين المشارقة في البداية ومع مرور الزمن أضافوا إليها فصبغوها بصبغة محلية مغربية، هذا الكلام ينطبق على المذهب الظاهري الذي شقّ طريقه من المشرق (بغداد) نحو المغرب والأندلس، فخاض المغاربة في أصوله ومبادئه بالدراسة والمناظرة والجدل والتأليف، فبرزت بذلك المدرسة الظاهرية المغربية التي أرسى قواعدها ابن حزم الأندلسي .

إذن كيف ساهمت بغداد في انتقال المذهب الظاهري إلى المغرب ؟

لقد شاعت رحلات المغاربة من العلماء والفقهاء وطلبة العلم إلى المشرق، ذلك أن المشرق تفوق على المغرب في جميع المجالات، فبلاد المغرب ارتكزت بدرجة كبيرة على المنتوج الحضاري للمشرق في تأسيس حضارتها، إذ العطاء الحضاري يأتي من المركز الأكثر حضارة إلى المركز الأقل تحضرا، فمثلا الإسلام لم يكن ليصل إلى بلاد المغرب لولا فضل الله أولاً وفضل المشارقة من المسلمين الفاتحين ثانيا بعد استتباب عملية الفتوحات الإسلامية في المنطقة، فقادة الفتح اهتموا بنشر تعاليم الدين عن طريق تشييد مؤسسات خاصة كمسجد القيروان الذي أقامه الفاتح عقبة بن نافع الفهري .

لقد أضحت بلاد المغرب بعد الفتوحات جزءً لا يتجزأ من العالم الإسلامي تتأثر بكل ما يدور فيه من أحداث سياسية وعلمية وفكرية، فالإنتاج الحضاري للمغاربة هو من صنع المشارقة بأفكارهم وثقافتهم[1]، إذ استطاع طلبة المغرب بفعل تنقلهم المستمر بين حواضر المشرق أن ينقلوا مختلف العلوم والمؤلفات إلى المغرب والأندلس، فعلماء القيروان

[1]- عبد المقصور عبد الرحمن أبو عبية، المرجع السابق، ص 477 .

مثلاً سمعوا "**المستخرجة**" أحد أبرز كتب المذهب المالكي لأول مرة من يحي بن عبد العزيز الخزار حينما خرج حاجًا سنة (252هـ/866مـ)[1] .

إذن إنّ الرحلات العلمية قد سهّلت عملية التواصل الحضاري بين المشرق والمغرب، فقرطبة حاضرة الأندلس ودار مملكتها اعتمدت على الإنتاج الحضاري الذي أفرزته الحركة العلمية في المشرق (بغداد) لتأسيس تراثها الفكري [2] .

إنّ تركيزي على قرطبة دون سواها من حواضر المغرب راجع إلى أنّها مثلت أرض الأندلس كلها، فكانت من أعظم مدائنها وقاعدتها، ومنبعا لأهل العلم، ومقرا لأئمة الإسلام على اختلاف مشاربهم الفكرية[3] .

إذن من الطبيعي أن يدخل قرطبة أي جديد قبل باقي الحواضر والمدن، فالمذهب الظاهري انتقل من بغداد[4] ودخل قرطبة أولا قبل أن ينتشر في باقي مدن الأندلس والمغرب.

أما تركيزي على بغداد دون سواها من حواضر المشرق فلا يمكن تفسيره إلاّ بالرجوع إلى المادة المصدرية التي تحدثت عن المدينة، حيث اتفقت على نعتها بحاضرة المشرق ورائدة الحركة العلمية والفكرية، ومهد مختلف الأفكار والمذاهب والعلوم .

فبغداد مثّلت آنذاك المشرق الإسلامي بحيث اعتبرت أم المدائن، وكعبة العلوم والآداب، إضافة إلى موقعها الاستراتيجي:"مدينة عظمى ليس لها نظير في مشارق الأرض ولا

---

[1]- علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، إشراف مزاحم علاوي الشاهري، 2003مـ، ص 76 .

[2]- طه عبد المقصور أبو عبية، المرجع السابق، **م 01**، ص 09 .

[3]- أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، ت (732هـ/1331مـ)، **تقويم البلدان**، دار صادر بيروت، لبنان، طبع بمدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية، 1830مـ ، ص 173 ./ ياقوت الحموي الرومي، المصدر السابق، **م 04**، ص 324- 325 ./ المقري ، **نفح الطيب**،المصدر السابق، **م01**، ص – ص 456- 459 .

[4]- شرع المنصور في تشييدها ثم أتمها من بعده الرشيد، شهد وحضر بنائها كبار العلماء والفقهاء أمثال: أبو حنيفة النعمان، بدأ الشروع في تأسيسها سنة (145هـ/ 762مـ)، قامت خطة بنائها على =أساس أن تحتوي المدينة كل ما يحتاجه أهلها وزوارها من مرافق. ينظر: الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، توفي أواسط القرن السادس الهجري، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد مصر، د ت، ص 52 . / ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 457 ./ الحميري محمد بن عبد المنعم، المصدر السابق، ص 111 .

في مغاربها ... انتقل إليها من جميع البلدان القاصية والدانية... يجري في حافيتها النهران الأعظمان دجلة والفورات، فتأتيها التجارة والميرة برا وبحرا... فإنه يحمل إليها من، وسائر البلدان القاصية والدانية..."[1] .

أحسن العباسيون تخطيطها وجعلوها عاصمة لدولتهم فكانت بذلك قِبْلَة للزوار " فكان القاصد من الشرق يدخل من باب خراسان، والقاصد من الحجاز يدخل من باب الكوفة، والقاصد من المغرب يدخل من باب الشام، والقاصد من فارس، والأهواز، وواسط ،والبصرة، واليمامة، والبحرين يدخل من باب البصرة"[2]، لذلك قيل فيها لم يكن لبغداد في الدنيا نظير[3]، فهي جنة الأرض، ومدينة السلام، وأم الدنيا، وسيدة البلاد[4].

وما زاد في أهميتها علماء العراق وبغداد، هؤلاء كانت لهم عناية شديدة بمختلف فنون العلم، فكان لهم فضل في علم نقط المصاحف والقراءات في مراحله الأولى[5]، وبرعوافي علم رسم المصاحف وأشهرهم على الإطلاق في هذا العلم الكسائي[6] والفرّاء[7]، والفرّاء[7]، كما برزوا في علم الحديث، والفقه فأول اتجاه فقهي في الإسلام- مدرسة الرأي- الرأي- ظهر ببغداد[1].

---

[1] - المقري التلمساني أحمد بن محمد، المصدر السابق، **م01**، ص 111 .

[2]- ياقوت الحموي، المصدر السابق، **م 01**، ص-ص 459 – 461 .

[3]- فيليب حتي، **العرب تاريخ موجز**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، إعادة ط 06، 1991 مـــ، ص 116.

[4]- ياقوت الحموي الرومي، المصدر السابق، **م 01**، ص 456 .

[5]- محمد نصيف الجنابي، **علوم القرآن الكريم**، بحث ضمن كتاب حضارة العراق، دار الحرية للطباعة بغداد، 1985مـــ، **ج 07**، ص 07 .

[6]- الإمام شيخ القراءة والعربية، أبو الحسن عليّ بن حمزة، بن عبد الله ، بن بهمن، بن فيروز الأسدي، مولاهم الكوفي، الملقب بالكسائي لكساء أحرم فيه، تلا على ابن أبي ليلى وعلى حمزة، وحدّث عن جعفر الصادق، والأعمش، واختار قراءة اشتهرت وصارت إحدى السبع، جالس في النحو الخليل، وسافر للحجاز مدّة للعربية، قال الشافعي فيه: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيالٌ على الكسائي، فهو أعلم الناس في النحو، له عدة تصانيف منها: معاني القرآن، وكتاب في القراءات، وكتاب النوادر الكبير، ومختصر في النحو وغير ذلك، توفي بالري بقرية أَرَنْبَوِيَّة سنة (189هـــ/ 804مـــ) . ينظر: الذهبي، المصدر السابق، أشرف على تحقيق الجزء وتخريج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، وحقّق الجزء كامل الخّراط، **ج 09**، ص – ص 131 -134 .

[7]- العلامة صاحب التصانيف، أبو زكرياء، يحيى بن زياد بن عبد الله، ابن منظور الأسدي مولاهم الكوفي، صاحب الكسائي، روى عن قيس بن الربيع وأبي الأحوص، وعلي بن حمزة الكسائي، وروى عنه سلمة بن عاصم وغيره، من

إن اهتمام خلفاء بني العباس بالمدينة وبأهل العلم فيها (إقدام هارون الرشيد على تأسيس بيت الحكمة)[2]، ونبوغ كثير من أهلها في مختلف العلوم أهلا لتبرز كحاضرة علمية لا مثيل لها بالمشرق والمغرب، فأصبح طلبة العلم والفقهاء في العالم الإسلامي يطمحون لزيارتها باعتبارها موطن نشأة كثير من المذاهب الفقهية، لذلك لا نستغرب انجذاب الناس نحوها من كافة أقطار الدولة الإسلامية .

لقد ازدهرت حركة الفقه ببغداد مهد كثير من المذاهب (الحنفي، الشافعي، الحنبلي، الظاهري، الطبري، الثوري....) باستثناء مذهب سفيان بن عينية الذي كان بمكة المكرمة، ومذهب مالك بن أنس بالمدينة المنورة، ومذهب الأوزاعي بالشام، ومذهب الليث بن سعد بمصر، ومذهب إسحاق بن راهوية بنيسابور، كما وضحنا ذلك في الفصل التمهيدي .

كان لزاما على المغاربة من طلبة العلم أثناء زيارتهم المشرق دخول بغداد في الأعم والغالب[3]، فهي قبلة العلم والعلماء[4]، كان لها فضل كبير على حضارة الأندلس فحياتها الفكرية تفتحت تحت تأثير الفن البغدادي[5] .

مؤلفاته " **معاني القرآن**"، من أبرز النحاة المسلمين، فكان زمانه في النحو سوى الكسائي، وله كتاب البهي، قيل مقدار مؤلفاته ثلاثة آلاف ورقة، مات الفراء بطريق الحج سنة (207هـ/822مـ). ينظر: الذهبي، المصدر السابق، **ج 10**، ص – ص 118 – 121 .

[1] – رشدي محمد عليان، **الفقه الإسلامي**، بحث ضمن كتاب حضارة العراق، دار الحرية للطباعة بغداد، 1985مـ، **ج07**، ص 155 .

[2]– كما كثرت بها مراكز التعليم كالمساجد، ومنازل العلماء ، والكتاتيب، والمدارس التعليمية . ينظر: حسين أمين:" **المعاهد والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي**"، **مجلة الثقافة العربية**،ع**10**، أكتوبر 1980 مـ، ص 47 ./ مبارك بشير، **المدارس التعليمية**، المرجع السابق، ص 14/ أحمد عبد الرزاق أحمد، **الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى العلوم العقلية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط01، 1991 مـ، ص 18 .

[3]– طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عبية، المرجع السابق، ص 07 .

[4]– وجدان فريق عناد،" **بغداد مدينة الحوار الحضاري رحلة ابن فضلان أنموذجا الدوافع والنتائج**"، مجلة كان التاريخية، ع 28، يونيو 2015مـ، السنة الثامنة، ص 11 .

[5]–كارل بروكلمون، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 05، 1968مـ، ص 300 .

لقد سلك هؤلاء طرق عديدة للوصول إلى بغداد أبرزها طريق شمال إفريقيا المار بمصر، فالشام، ثم العراق، كما استعمل طريق البحر، فركبوه وصولا إلى مصر ومنها إلى الشام[1] .

إذن إنّ طلبة بلاد المغرب لم يكتفوا بما أخذوه من علم في بلدانهم، فكانت وجهتم المشرق بغية لقاء كبار مشايخه، فدخلوا أبرز حواضره –بغداد– بعدما عرفوا مكانتها العلمية، وسمعوا من علمائها مروياتهم وزاروا خزائنها المملوءة بالكتب النفيسة، ولما عادوا إلى المغرب أدخلوا معهم ما تلقوه من علم، وبذلك فإن بلاد المغرب ارتكزت بدرجة كبيرة على بغداد في تأسيس حركتها العلمية .

تلك العلوم التي عاد بها المغاربة في مختلف فنون العلم دخلت إلى قرطبة بالأندلس والقيروان بالمغرب أولاً قبل باقي حواضر المنطقة .

إنّ تركيزي سينصب على حاضرتي (قرطبة والقيروان) دون ذكر بقية الحواضر على غرار بجاية[2]، وتلمسان[3]، وفاس[1]، ومراكش[2] التي لا تقل أهمية عنهما، وهذا راجع لاعتبارين هما :

---

[1]– عبد الواحد ذنون طه، المرجع السابق، ص 192 .

[2]– بالكسر وتخفيف الجيم، وألف، وياء، وهاء: مدينة على ساحل البحر بين إفريقية والمغرب، كان أول من اختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين، في حدود سنة (457هـ/1064م) بينها وبين جزيرة بني مزغناي أربعة أيام، كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت المدينة، وهي في لحف جبل شاهق وفي قبلتها جبال كانت قاعدة ملك بني حماد تسمى الناصرية باسم بانيها. ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، المصدر السابق، **م 01**، ص 339.

[3]– أوردت كتب الجغرافيا وكتب التاريخ العام عدة تعاريف لها سأذكر بعضها، اسم تلمسان بربري وهو تحريف صيغة جمع وهو تلمسان أو تلمسن بكسر التاء وسكون اللام وكسر الميم ومفردة ومعناها جيب ماء أو ينبوع فيكون معنى اسم تلمسان مدينة الينابيع وهذا المعنى يتلائم مع إقليم تلمسان لكثرة مائها، هذه المدينة قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن زعم بعض سكانها أنها أزلية البناء وأن الجدار الذي ذكر في القرآن في= =قصة الخضر وموسى عليه السلام بناحية أقادير منها، اسمها في لغة زناتة مركب من " تلم و سين" ومعناها تجمع بين اثنين يعنون بين البر والبحر، أو الصحراء والتل ويقال" تلشان" وهو مركب من " تل" ومعناه لها و"شان" أي لها شأن، لها خمسة أبواب " قبلة باب الجياد، وشرقا باب العقبة، وشمالا باب الحلوي، وباب القرميدين، وغربا باب كشوط. ينظر: ابن مريم المديوني التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م– لسان الدين ابن الخطيب التلمساني (713- 776هـ/ 1313-1374م)، **كتاب معيار الإختيار في ذكر المعاهد**

01- المدينتان (قرطبة والقيروان) كانتا مهد المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي موضوع دراستي قبل انتشاره في باقي الحواضر.

02 – عُرِفت الحاضرتان بعلاقاتها الثقافية الوطيدة مع بغداد موطن نشأة المذهب الظاهري .

أما قرطبة[3] اعتبرت في العصور الوسطى حاضرة بلاد المغرب، شهدت خلال القرن الرابع للهجرة (10مـــ) نموا حضريا وحضاريا في أقصى مستوياته رغم بروز حواضر أخرى كفاس وسجلماسة[4]، إلا أن المنطقة لم تعرف لها مثيل[5].

هذه المدينة لم تكن عند الفتح الإسلامي سوى مدينة صغيرة يحيط بها سور حصين، تحولت إلى مدينة حقيقية في عصر الخلافة[6]، ثم أصبحت عاصمتها واحتضنت جل سواد

=**والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المغرب، المحمدية، د ت، ص 183-184-، العبدري محمد، **الرحلة المغربية**، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط 01، 2007، ص27-28 .

[1]- مدينة فاس: حاضرة المغرب اجتمع فيها علم القيروان وقرطبة، توافد إليها العلماء من قرطبة حاضرة الأندلس باضطراب أحوال بني أمية بعد موت أبي عامر، ومن القيروان بعدما عاث فيها العرب، وهي متوسطة بين مدن المغرب الأقصى، منها إلى كل مدينة: مراكش، وسبتة، وسجلماسة، تلمسان. ينظر: المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص257 .

[2]- حاضرة المغرب الأقصى بناها يوسف بن تاشفين في أرض صحراوية حيث جلب لها الماء. ينظر: ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى، **كتاب الجغرافيا**، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 1982مـــ ، ص 125 .

[3]- موقعها بجنوب مدريد وشرقي غرناطة الشمالي، يحيط بها بساتين عديدة ومزارع الزيتون من كل جانب، أهم منشآتها العمرانية جامعها الواقع على طرف القنطرة مما يلي الجانب الممصر من المدينة، اعتبر في وقت من الأوقات من عجائب الدنيا بعد سقوط الأندلس تحول إلى كنيسة . ينظر: علي بن سالم الورداني، **الرحلة الأندلسية**، تحقيق عبد الجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، الدار التونسية للنشر، مارس 1984مـــ ، ص / ص 66 /68 .

[4]- بكسر أوّله وثانيه، وسكون اللام، وبعد الألف سين مهملة مدينة في جنوب المغرب في طرف بلاد السودان، بينها وبين فاس عشرة أيام تلقاء الجنوب، وهي في منقطع جبل درنيمر، بها نهر كبير غرسوا عليه بساتين مد البصر، أكثر أقوات أهلها من التمر. ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، **م 03**، ص 192 .

[5]- أحمد الطاهري، **دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصر الخلافة والطوائف**، ط 01، 1993مـــ، ص 79، بحث بعنوان:" **قرطبة في عصر الخلافة النموذج الأمثل للنمو الحضري بالغرب الإسلامي**"،نشر هذا العمل ضمن أشغال ندوة: **المدينة في تاريخ المغرب العربي**: منشورات كلية الآداب ابن مسيك، الدار البيضاء، 1988مـــ.

[6]- أحمد الطاهري، المرجع السابق، ص 80 .

الناس بالمغرب الإسلامي: " خلق لا يحصيهم إلاّ خالقهم"[1]، وكانت بمثابة مجمع العلماء والحكماء[2]، اشتهرت بحاضرة الأندلس بعدما ازدهرت فيها الحياة العلمية، فقد عُلّم بها القرآن الكريم في كل ربض من أرباضها[3] .

كان للمدينة علاقات ثقافية وفكرية متينة مع بغداد، فسواد أهلها رحلوا إلى مدينة السلام طلبا للعلم لمميزاتها التي ذكرتها سابقا، فقرطبة اعتمدت في بناء تراثها الفكري على الإنتاج العلمي الذي أفرزته الحركة العلمية في بغداد خاصة والمشرق عامة[4] .

متانة تلك العلاقات ساهمت السلطة السياسية في دفع عجلتها، بحيث شجّع الأمويين العلم في الأندلس عن طريق إرسال البعثات العلمية إلى المشرق وبغداد، إضافة إلى عدم وجود حدود سياسية بين أقطار الدولة الإسلامية خلال العصور الوسطى تعيق تنقل الأشخاص الذين كانت لهم الحرية التامة في التنقل إلا في حالات نادرة .

إنّ كلامي عن متانة العلاقات العلمية والثقافية بين قرطبة وبغداد له ما يدعمه بالحجة والبرهان. فأكثر الأندلسيين الذين رحلوا إلى المشرق كانوا من أهل قرطبة، هؤلاء كان لهم السبق في نقل الفكر المشرقي إلى الأندلس، وهم الذين أنتجوا أرقى ما وصلت إليه الحضارة في مجال العلم والفكر[5] أمثال ابن الفرضي[6] القرطبي الذي عاش ما بين (351-403هـ/962- 1012م) وهو فقيه وشاعر رحل إلى المشرق سنة (383هـ/993م) فحج وسمع من علماء مكة والمدينة ومصر[7] وغيره كثر .

---

[1]- المرجع نفسه، ص 82 .

[2]- علي بن سالم الورداني، المصدر السابق، ص 65 .

[3]- أحمد الطاهري، المرجع السابق، ص 114 .

[4]- طه عبد المقصور أبو عبية، المرجع السابق، **م 01**، ص 09 .

[5]- المرجع نفسه، نفس الصفحة .

[6]- هو عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي، أبو الوليد القرطبي المعروف بابن الفرضي، محدث وفقيه ومؤرخ، رحل إلى المشرق وكان في قرطبة يوم دخلها البربر في عهد الفتنة فقتلوه في داره سنة (403هـ/1012م) من مؤلفاته: "**تاريخ علماء الأندلس**"، و"**أخبار شعراء الأندلس**" . ينظر: ابن الفرضي، المصدر السابق، ص 06 .

[7]- يوسف فرحات ويوسف عيد، المرجع السابق، ص 20- 21 .

إنّ تلك العلاقات جمعت وقرّبت المسافة بين المدينتان، فأي ما جديد ظهر ببغداد إلا ودخل قرطبة في الغالب، ولنا في المذهب الظاهري مثال كاف، حيث نشأ في بغداد وبفعل تضافر جملة من العوامل منها التقارب الثقافي بين الحاضرتان دخلت أصوله وكتبه قرطبة ثم انتشر تدريجيا في باقي مدن المنطقة. فكيف تم ذلك ؟

إنّ جل طلبة العلم بقرطبة الذين شدّوا الرحال نحو بغداد والمشرق كان لهم أثر كبير في إدخال أصول وكتب المذهب الظاهري إليها فقد زودتنا كتب التراجم بمادة علمية هامة عن قامات علمية من أهلها تأثروا بحضارة بغداد فتاقوا لزيارتها فتم لهم ذلك، وبعدما خالطوا علمائها وفقهائها تأثروا بتوجهاتهم الفكرية والمذهبية (المذهب الظاهري)، ومن بين هؤلاء أذكر:

– **عبد الله بن قاسم بن هلال أبو محمد القرطبي:** المتوفى سنة (272هـ/ 775م) المذكور سابقا[1]، ولع بالرقي الحضاري الذي وصلت إليه مدينة السلام فعزم على زيارتها وهناك التقى بمجموعة من العلماء وصحبهم في مقدمتهم داود الظاهري مؤسس المذهب فدوّن كتبه ولما عاد إلى قرطبة أدخل معه أصول المذهب وأمهات كتبه فكان أول من فعل ذلك ممهدا الطريق لمن سيأتي بعده لخدمة المذهب الظاهري، حيث أخذ عنه أصوله مجموعة منهم قاسم بن أصبغ البياني .

–**الفقيه منذر بن سعيد أبو الحكم البلوطي الأندلسي القرطبي:** [2]:"البلوطي منذر بن سعيد بن عبد الله بن عبد الرحمن النفزي القرطبي، قاضي قضاة الأندلس في عصره"[3]، تأثر منذر بن سعيد البلوطي بالحضارة المشرقية عامة وبحضارة بغداد خاصة، كان كثير الترحال، علما أن المصادر لا تذكر صراحة زيارته بغداد واكتفت بذكر كثرة حله وترحاله نحو المشرق:" زار أقطار المشرق الإسلامي حين قرّر أداء فريضة الحج سنة

[1]- الخشني، المصدر السابق، ص 217- 218 .

[2]- ياقوت الحموي الرومي، **معجم الأدباء**، المصدر السابق، ج**05**، ص 2717 .

[3]- الزركلي خير الدين، المرجع السابق، ج **07**، ص 294 .

(308هـ/920مـ)"[1]، "فطاف في أغلب حواضر هذا الشطر من العالم الإسلامي وأقام في رحلته حسب ما ذكرت المصادر أربعين شهرا"[2] .

إنّ هذا لا يمنعني من القول أنّ منذر زار بغداد، وإلاّ كيف تأثر بأصول المذهب الظاهري ؟ خاصة وأن المدينة كانت موطن نشأة المذهب، وما يدعم كلامي ما ذكره الباحث طه عبد المقصور:" وكان قد تلقى في هذه الرحلة أصول المذهب الظاهري"[3]، وحين عاد إلى مسقط رأسه أدخل معه مجموعة من المصنفات أبرزها: "**كتاب الأشراف في اختلاف العلماء**" رواية عن مؤلفه ابن المنذر النيسابوري ، وكتاب "**العين**" للخليل رواية أبي العباس ابن ولاد، واتصل بعبد الرحمن الناصر فحظي عنده، ثم عند ابن عبد الحكم من بعده[4].

هذا عن دور الرقي الحضاري الذي شهدته بغداد ومتانة علاقات الثقافية مع قرطبة ودور ذلك في إدخال المذهب الظاهري إلى المغرب الإسلامي. فماذا عن القيروان وكيف ساهمت في إدخال أصول ومصنفات المذهب إلى المنطقة ؟

إنّ ما قيل عن قرطبة وانبهار طلبتها بحضارة بغداد يقال على طلبة القيروان الذين انبهروا برقي وازدهار عاصمة العراق (مدينة السلام) فوفدوا عليها باستمرار بأعداد كبيرة مساهمين بذلك في بروزها كمركز إشعاع علمي في بلاد المغرب حيث دخلت إليها مختلف العلوم والأفكار والمذاهب قبل بقية مدن المنطقة .

للقيروان مكانة تاريخية وعلمية في بلاد المغرب فيكفي أنها أول مدينة إسلامية أسست بالمنطقة أثناء عملية الفتوحات الإسلامية، فهي مدينة أصيلة حاضرة المغرب الأدنى أسسها عقبة بن نافع الفهري لضرورة استراتيجيه حربية[5].

---

[1]- الزركلي خير الدين، المرجع السابق، **ج 07**، ص 294

[2]- نفسه، نفس الصفحة .

[3]- طه عبد المقصور عبد الحميد أبو عبية، المرجع السابق، ص 559 .

[4]- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء**، المصدر السابق، **ج05**، ص 2717 .

[5]- محمد محمد زيتون، **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 01، 1988مـ، ص 71 – 72 .

عُرفت المدينة بمتانة علاقاتها الثقافية والفكرية مع أبرز مراكز الفكر والحضارة في العالم الإسلامي مشرقاً ومغرباً، هذا الاتصال جعلها في نمو فكري مستمر "حيث أخذت ومدّت وبذلك نمت الحركة الفكرية والعلمية بها فأصبحت منارة مشعة من منارات الفكر في العالم الإسلامي، ازدهرت بها العلوم الإسلامية بل إن معظم فقهاء افريقية تخرجوا منها"[1].

لقد ذكرت النصوص أنّ طلبة وعلماء القيروان شدّوا الرحال إلى مكة والمدينة لأداء فريضة الحج واغتنموا الفرصة للتحصيل العلمي فزاروا حواضر العراق (البصرة، والكوفة، وبغداد) أمثال عبد الله بن فروخ[2]، وأسد بن الفرات[3] وغيرهم كثر[4] .

إنّ علماء القيروان كان لهم دور بارز في توطيد العلاقات العلمية مع بغداد، وما زاد في متانتها اهتمام سلطتها السياسية بإرسال البعثات العلمية إليها " كما اتصلت القيروان ببغداد عن طريق إرسال البعثات بالأموال إلى بغداد بغية شراء نفائس الكتب الموجودة بها"[5] .

---

[1]- ليون الإفريقي الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 02، 1983مـــ، **ج 02**، ص- ص 87- 91 .

[2]- أبو محمد الفارسي ثم المغربي، فقيه القيروان وزاهدها، ولد سنة (115هـــ/733مـــ) أخذ عن الأعمش وغيره كثر، ولي القضاء رغم رفضه له، ثم أعفي مات بعد انصرافه من الحج سنة(175هـــ/791مـــ). ينظر: الذهبي شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت (748هـــ/1347مـــ)، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1411هـــ/1990مـــ، **ج 11**، ص 215 – 216.

[3]- مولى بني سليم من قيس الخرساني النيسابوري ولد بحيران ثم الإفريقي، القاضي الفقيه، فاتح صقلية، سمع من مالك الموطأ، وسمع منه سحنون بن سعيد، وتفقه بعلي بن زياد التونسي، كتابه في الفقه مشهور المسمى "**بالأسدية**" ولد بحران سنة (145هـــ/762مـــ)، وتوفي في حصار سرقوسة من غزوة صقلية، وهو أمير الجيش وقاضيه سنة (213هـــ/828مـــ). ينظر: القاضي عياض أبو الفضل اليحصبي السبتي (476هـــ/544هـــ)، **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية الحلقة الأولى رجال المالكية من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مالك**، بقلم الدكتور قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط 01، 2002 مـــ، **ج 01**. ص – ص 318- 321 .

[4]- محمد محمد زيتون، المرجع السابق، ص 424- 425 .

[5]- المرجع نفسه، ص 426 .

إنّ صاحب كتاب معالم الإيمان أورد معلومات قيّمة نادرة لم تذكرها نصوص أخرى حول رغبة أحد فطاحل علماء القيروان جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري، الأندلسي الفرضي الشهيد[1]، لزيارة بغداد لِما وصله عنها من رقي، وازدهار، وحضارة .

هذا الأخير (محمد بن خيرون المعافري) عزم على زيارتها "رحل ابن خيرون إلى العراق وسمع فيها من محمد بن نصر صاحب يحيى بن معين وصاحب علي المديني ثم عاد إلى القيروان"[2]، وهناك التقى كبار علمائها فسمع منهم ولما رجع إل القيروان أدخل معه بعض كتب داود بن علي الظاهري "وبعد رحلته هذه أدخل بعض كتب داود الظاهري الأصفهاني إلى القيروان"[3]، تلك المصنفات كان لها دور في التعريف بالمذهب الظاهري في بلاد المغرب.

يظهر أن النص الذي أورده الدباغ لا يذكر فقهاء المذهب الظاهري الذين سمع منهم ابن خيرون أو التقاهم وأخذ عنهم كتب المذهب التي أدخلها إلى القيروان، وهنا أرجح فكرة شراءه لها من خزائن وحوانيت بغداد .

إذن لعبت الرحلة دورا رائداً في ازدهار الحياة الفكرية والمذهبية بالمغرب الإسلامي، فجل العلماء والفقهاء انطلقوا منه إلى باقي الأقطار الإسلامية أين أخذوا العلم متحملين مشاق وعناء السفر في سبيل الدرس والتحصيل العلمي حتى أصبحوا شيوخا وعلماء مساهمين بذلك في إدخال العديد من الأفكار المشرقية في مقدمتها المذاهب الفقهية كالمذهب الظاهري، هذا من جهة ومن جهة أخرى كان لبغداد موطن نشأة المذهب دور بارز في إدخال أصوله إلى بلاد المغرب بعد أن شهدت طفرة علمية لا مثيل لها في العالم الإسلامي جعلت طلبة علم وعلماء المغرب والأندلس يتوقون لزيارتها، وبذلك لا يوجد حاجز يمنعنا من تأكيد الدور الريادي الذي لعبته الرحلات العلمية، وحاضرة بغداد في إدخال أصول المذهب الظاهري ومؤلفاته إلى بلاد المغرب فأضحى مذهبا منافساً للمذهب المالكي خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الرابع والسابع للهجرة (10- 13 مـــ) .

---

[1]- الدبّاغ ، المصدر السابق، ص 288-289 .

[2]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[3]- نفسه، نفس الصفحة .

الفصل الثاني: عوامل انتشار المذهب الظاهري وسيادته بالمغرب الإسلامي.

01- مناظرات ابن حزم الظاهري .

02- موقف دولة الموحدين من المذهب الظاهري.

تضافرت مجموعة من العوامل ساعدت على استمرار المذهب الظاهري وانتشاره في بلاد المغرب خلال الفترة الممتدة ما بين القرن (04-07هـ/ 10-13مـ)، إذ مثلت هذه الفترة أزهى فتراته في المنطقة (فترة ابن حزم وفترة دولة الموحدين)، فالمرحلة التي تلتها عرفت تراجع واضح في أتباع المذهب بعدما سقطت دولة الموحدين. فمعروف تاريخيا أن أي مذهب فقهي إذ تبنته سلطة سياسية فأكيد سيكتب له النجاح، فالمذهب الظاهري بعد القرن السابع هجري (10مـ) لم يجد من يقوم به كما كان عليه أيام خلفاء بني عبد المؤمن.

إنّ سيادة المذهب بالمنطقة تأثر بعاملين رئيسيين هما: المناظرات العلمية وموقف دولة الموحدين منه، وفي هذا الفصل سأحاول أن أبين ذلك بما توفر لدي من مادة مصدرية .

01- مناظرات ابن حزم الظاهري:

من حكمه عزّ وجل أن جعل الناس يختلفون عن بعضهم البعض في الذكاء والعقل والتفكير والنظر السليم، وجعل ملكة البعض الآخر قاصرة فلا يستطيعون الإحاطة التامة بالموضوعات التي تطرح عليهم، وذلك لعدم توفرهم على عاملي الجّد والاجتهاد بغية فهم الأمور ومناقشتها[1]

عن طريق الجدل والمناظرة[2] بعيدا عن نظرة الأشخاص العاديين الذين يرون فيها – المناظرة- نزاعاً حاداً بين طرفيها، فهي عندهم أمر مزعج تتضمن شيء من الاختلاف

---

[1]- فرج الله عبد الباري، **مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة**، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط01، 2004مـ، ص 139 .

[2]- وردت المناظرة بأسماء عدة منها الجدل والخلافيات، قال الباجي:"الكلمة الجامعة جدل أو حتى "النظر" يمكن إرجاعها إلى أنواع المجادلة الواقعة تحت جنس كلمة (الجدل) هذه الكلمة يُعَبَرْ عنها بثلاث كلمات مختلفة، فيمكننا أن نطلق كلمة جدل على أصول الفقه، وكلمة الخلافيات لفروع الفقه، وعبارة آداب البحث لشروط المناظرة وقواعدها.(أبو الوليد الباجي (403-474هـ/1112-1081مـ)، **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02، 1987مـ، ص 07.)/ أركانها هي: موضوع المناظرة، وجود طرفي المناظرة، العلم بموضوعها، معرفة قوانينها وقواعدها، أن تكون بما هو متعارف عليه، فإذا كان الكلام على عرف الفقهاء، فلا يتم التناظر إلى عرف النحاة أو الفلاسفة وغيرهم. (علي حبرشية، **آداب الحوار والمناظرة**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط01، 1989مـ، ، ص65- 66). / تهدف المناظرة إلى عدم تتبع=

في المذهب أو الرأي. لكن في الحقيقة هي مصدرا للإقناع وإثبات صحة الأفكار والمنهج للخصوم والمعارضين [1] .

إنّ المناظرات العلمية تكتسي أهمية كبيرة رغم ما فيها من خلاف وتعارض في الأفكار الذي ربما يؤدي إلى المناوشات، لكن الاختلاف رحمة فالمناظرات لها قيمة تاريخية وعلمية بحيث يخوض أطوارها كبار العلماء بغية طرح الأفكار التي تحتاج إلى تصويب وبها تبنى المناهج العلمية الصحيحة .

تعود نشأة المناظرة عند المسلمين إلى ظهور علم الكلام وفرقه[2] خلال العصر العباسي الأول، تحت تأثير جملة من العوامل منها تشكيك أصحاب الديانات المحرفة والوضعية في عقائد الإسلام فاضطر المسلمون إلى تعلم تقنياتها للدفاع عن دينهم بتفنيد حجج المشككين، حتى أصبحت وسيلة ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها في إثبات صحة عقائد المسلمين من جهة وفي مناقشة الخلافات المذهبية من جهة أخرى، كما استعملت كطريقة في التعليم [3] .

قبل الحديث عن دور المناظرة في انتشار المذهب الظاهري وسيادته بالمغرب أفضل التعريف بها لغةً واصطلاحاً، ثم أبين مشروعيتها، ومبادئها.

– **لغةً:** المناظرة مأخوذة من النظر أو النظير[4] أي المقابلة بين اثنين كل منهما ينظر إلى الآخر بمعنى يفكر بتفكير مؤدي إلى علم[5].

=سقطات المتناظرين، بيان الحجج والبراهين حول المسائل المطروحة (السيد الجميلي، **مناظرات ابن تيمية مع فقهاء عصره**، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط 01، 1985مـ، ص12) .

[1]- ستيفن الجنسون، **من أجل التفوق في المناظرات دليل خوض المناظرات على نمط بطولات العالم لمناظرات الجامعات**، المؤسسة الدولية لتعليم المناظرة، نيويورك، 2009مـ، ص 16 .

[2]- علياء هاشم ذنون المشهداني، المرجع السابق، ص 124 .

[3]- مفتاح يونس الرباصي، **المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول (132-232هـ/749-846مـ)**، منشورات جامعة 07 أكتوبر الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات والنشر، مصراتة، ليبيا، ط 01، 2010مـ، ص 202- 203 .

[4]- محمد الأمين الشنقيطي، **آداب البحث والمناظرة**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د ت، **ق 01**، ص 03.

[5]- المرجع نفسه، نفس الصفحة .

– **اصطلاحا:** للمناظرة عدة مفاهيم أذكر منها تعريف الباجي الذي رفع من شأنها وجعلها ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها لتصحيح العلوم فقال: "وهذا العلم من أرفع العلوم وأعظمها شأنًا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا علم صحيح من السقيم ولا المُعوج من المستقيم"[1]، أما ابن خلدون فقد صنّفها في خانة العلوم الأكثر فائدة "وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة مآخذ الأئمة وأدلتهم وميزات المطالعين له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه.."[2] .

من خلال مفهومها الاصطلاحي يظهر أن للمناظرة فائدة عظيمة لا يمكن الاستغناء عنها خاصة في العلم الشرعي (الفقه) فبها يظهر الغلط من الصواب وتدفع الشبهات عن طريق ذكر حجج وبراهين قطعية .

لقد شرّع الإسلام المناظرة في قوله تعالى: "**ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ١٢٥**" [3] وقوله أيضًا: "**وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٤٦**" [4] .

إن التراث الإسلامي مليئ بنماذج لا تعد ولا تحصى من المناظرات، منها مجموع المناظرات التي جرت بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين كفار مكة، فأبو سفيان بن حرب

---

[1]– أبو الوليد الباجي، المصدر السابق، ص 08 .

[2]– ابن خلدون، **مقدمة**، المصدر السابق، ص 439 .

[3]– سورة النحل، الآية رقم: 125 .

[4]– سورة العنكبوت، الآية رقم :46.

وغيره لما ضاقوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ذرعا عزموا على مقابلته علّه يكف عن سب آلهتهم مقابل المال والجاه والمنصب والشرف[1] .

أما العدد الأكبر من المناظرات فقد دارت بين أئمة المذاهب الفقهية في بلاد الإسلام، فكل إمام دافع عن آرائه التي شكلت أصول المذهب الذي ينتمي إليه، إذ دارت غالبية مواضيعها حول أبواب الفقه "...وأجريت في مسائل الشريعة كلها وفي كل باب من أبواب الفقه: فتارة يكون الخلاف بين الشافعي ومالك، وأبو حنيفة يوافق أحدهما، وتارة بين مالك وأبو حنيفة، والشافعي يوافق أحدهما، وتارة بين الشافعي وأبي حنيفة، ومالك يوافق أحدهما"[2] .

إنّ اختلاف مصادر استنباط الأحكام الشرعية لدى أئمة الفقه كان وراء عقدهم لمناظرات علمية بغية ترجيح آرائهم وبيان صوابها ودحض حجج مخالفيهم وتبعهم في ذلك الأتباع والمريدين .

نفس المنهج سار عليه فقهاء المذهب الظاهري الذين اعتمدوا على المناظرة والجدل بغية الدفاع عن أصول مذهبهم ودحض حجج مخالفيهم من المالكية .

ما يهمني في دراستي المناظرات العلمية التي عقدت ببلاد المغرب، حيث جرت مناظرات في فترة مبكرة على عهد الأغالبة بين الحنفية والمالكية كتلك التي جرت بين الفقيه الحنفي أبو محرز بن عبد الله، والفقيه المالكي أسد بن الفرات حول موضوع تحريم النبيذ[3]، كما جرت مناظرات بين الشيعة والمالكية أيام العبيديين حيث ناظر الفقيه المالكي أبو عثمان سعيد بن الحداد[4] أحد علماء الشيعة [1] أبو العباس المعجوقي أخ أبو عبد الله الشيعي، فلم

---

[1]- للإطلاع على نص المناظرة راجع: ابن هشام، **السيرة النبوية**، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، د ت، **ق 01**، ص/ ص 295-297 .

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 438 .

[3]- علياء هاشم ذنون المشهداني، المرجع السابق، ص 138 .

[4]- شيخ المالكية، أبو عثمان، سعيد بن محمد بن صبيح بن الحدّاد المغربي، صاحب سحنون، وهو أحد المجتهدين، كان بحرا في الفروع، ورأسا في لسان العرب، بصرا بالسنن، ذمّ التقليد، له مواقف جليلة للذب عن الإسلام والسنة، حيث ناظر أبا العباس المعجوقي الشيعي، قيل أنّه صنّف في الردّ على المدونة، توفي سنة (302هـ/914م) وله ثلاث وثمانون سنة . ينظر: الذهبي، **سير** ، المصدر السابق، **ج 14**، ص – ص 205- 214 .

يهب أسياده وناظره مناظرة العلماء فكان جهور الصوت، فصيح اللسان، من سمعه تتمنى أن لا يسكت [2] .

أما بالأندلس فالأمثلة كثيرة منها المناظرات التي كان يعقدها الفقيه أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن المكوي[3] في قرطبة أسبوعيا، فخصّص يوم الاثنين مجلسا مناظرة في الموطأ، ويوم الثلاثاء مجلس مناظرة في المدونة والمستخرجة[4] .

لو تكلمت عن كل المناظرات التي عقدت ببلاد المغرب والأندلس لطال الحديث عنها، لذلك سأركز على نماذج من المناظرات العلمية التي عقدها فقهاء المذهب الظاهري في بلاد المغرب دفاعا عن أصول مذهبهم وتثبيتا لاستمرارية وجوده في المنطقة.

تعتبر المناظرة من الوسائل الأكثر اعتمادا في الدفاع عن الأفكار وبثها من جهة، ومن جهة أخرى لعبت دور كبير في ردّ حجج الخصوم والمعارضين، فقد دعت آي القرآن الكريم لجدال المشككين في صحة عقائد الإسلام بشرط أن تكون بالتي هي أحسن قال تعالى:" **وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ** "[5] .

لّما كانت المناظرة من الوسائل الرئيسة في الدفاع عن الأفكار اعتمد عليها فقهاء المذهب الظاهري في بلاد المغرب لنشر مذهبهم فعقدوا لذلك مناظرات مع خصومهم كان لها دور كبير في سيادته بالمنطقة، فأئمة المذهب المالكي جهلوا أسسها ومبادئها هذا ما سهّل مهمة الداوديين والحزميين فكثر عدد المنتسبين لهم .

---

[1] – علياء هاشم ذنون المشهداني، المرجع السابق، ص 140 .

[2] – الذهبي، المصدر السابق، **ج 14**، ص 207 .

[3] – عالم الأندلس، وشيخ المالكية، أبو عمر، أحمد بن عبد الملك بن هاشم، الاشبيلي، ابن المكوي، تفقه على إسحاق بن إبراهيم الفقيه، انتهت إليه معرفة المذهب وغوامضه مع الصلابة في الدين، صنّف مشاركة مع العلامة أبو بكر المُعَيطي كتاب" الاستيعاب في المذهب في مائة جزء لصاحب الأندلس المنتصر، مات فجأة في جمادى الأولى سنة (401هـ/1010مـ). ينظر: الذهبي، نفسه، حقق الجزء شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوسي، **ج 17**، ص 206 – 207 .

[4] – علياء هاشم ذنون المشهداني، المرجع السابق، ص 133- 134 .

[5] – سورة العنكبوت ، الآية رقم: 46 .

لتوضيح دور المناظرات في تثبيت المذهب الظاهري في بلاد المغرب سأركز على المناظرات التي عقدها ابن حزم مع خصومه من فقهاء، وفلاسفة، ومتصوفة، ذلك أن ابن حزم لعب دوارا كبيرا في إعادة إحياء المذهب وتدوينه بعدما ظل يراوح مكانه فترة من الزمن فرتّب أصوله ودافع عنه بعد ضعفه في بغداد على الرغم من المعارضة الشديدة التي لاقاها من فقهاء عصره .

إن تركيزي على ذكر مناظرات ابن حزم دون بقية فقهاء المذهب راجع إلى وفرة المادة العلمية التي ترجمت لابن حزم وتطرقت للمناظرات التي خاضها، أما باقي فقهاء المذهب فكتب التراجم لم تقدم لهم تراجم وافية واكتفت بذكر أسمائهم، ومواطن سكناهم، وانتحالهم للمذهب الظاهري و لم تتطرق لخوضهم المناظرات إلا في القليل النادر .

كان ابن حزم بعيد عن المناظرة في سن السادسة عشرة لا يعرف عنها شيء فاضطر خوضها بعد حضوره أحد الحلقات العلمية ببلنسية وفيها سأل الحاضرين في مسألة فقهية ثم أجاب عليها فاعترض لقوله أحدهم مقللا من شأنه، حينئذ اعتكف على دراسة العلم لشهور ثم عاد لنفس الموضع – مجلس العلم ببلنسية – فناظر وأبدع[1]، وفي رواية أخرى قيل أنه عكف على دراسة العلوم لما صلى في المسجد ركعتين بعد صلاة العصر فوجهت له انتقادات، فانصرف إلى التعلم مدة تزيد عن ثلاث سنوات معتكفا على موطأ مالك وغيره، ولما نبغ أصبح يناظر مناظرة العلماء[2] .

بعد أحداث بلنسية استوى عود ابن حزم في العلم وأصبح يتقن المناظرة والجدل، فأخذ ينتقل في الأندلس ينشر فيها آرائه الفقهية (المذهب الظاهري) فنقّح المذهب وجادل عنه، وناظر من خالفه فيه إلى أن مات[3]، وقد نجح في ذلك نجاحا كبيرا حيث عجز فقهاء المذهب المالكي عن مجاراته .

---

[1]- الذهبي، المصدر السابق، ج**18**، ص 191 .

[2]- المصدر نفسه، ص 199 .

[3]- نفسه، ص 200 .

إنّ نجاح ابن حزم في المناظرات يمكن ردّه إلى جملة من العوامل منها: غزارة علمه، وحكمته، وفصاحة لسانه، ومعرفته لطرق الجدل[1] فذاعت شهرته في الأندلس كفقيه ومحدث[2] .

هذه الميزات استطاع من خلالها ابن حزم جذب الشباب إليه وإلى مذهبه في كل مكان، فأخذوا عنه أفكاره وآرائه التي كان لها أثر في توجهاتهم المذهبية[3]. فالفقيه الظاهري استطاع أن يبعث الحيوية في مذهبه ومكّن له من البقاء دهرا طويلا رغم إنكار بعض الفقهاء له ولمذهبه خاصة المالكيين منهم عن طريق المناظرة والتدوين .

لقد سجّلت النصوص مناظرات اضطر ابن حزم لخوضها مع الفقهاء دفاعاً عن آرائه ودحراً لحجج معارضية بغية تثبيت أفكاره وكسب الأنصار إلى جانبه، فارتكز على أسلوب راقي تميز بالوضوح وعدم التكلف ومحاولة الوصول إلى هدفه قائم على أساس الاسترسال في الرد على مخالفيه بتكرار الحجج، أما ما أعيب عليه في الجدال الحدة والعنف والسخرية، فكان سليط اللسان مع مخالفيه من المالكية وأهل الكتاب[4] فمعروف عنه الحماس الزائد فهو مناظر عنيد لا يرحم خصومه يستهدف من وراء ذلك خدمة أفكاره وآرائه[5] .

كان ابن حزم وراء دعوة خصومه للمناظرة بأسلوب فيه تقليل من شأنهم حيث خاطبهم قائلاً: " فمن استطاع إنكارا فليبرز صفحته وليناظر مناظرة العلماء فمن عجز عن ذلك فليسأل سؤال المتعلمين أو ليسكت سكوت أهل الجهل"[6]، لذلك قالوا أن لسانه

---

[1]- ابن بشكوال ، المصدر السابق، **م 02**، ص 58 .

[2]- المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 34 .

[3]- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 521 .

[4]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم- الخزرجي)**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ت، ص 39 .

[5]- عبد المجيد تركي، **مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين الباجي وابن حزم**، ترجمة وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مراجعة محمد عبد الحليم محمود، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 01، 1986مـــ، ص 59.

[6]- ابن حزم علي بن سعيد، **الرد على ابن النغرلة اليهودي ورسائل أخرى**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960مـــ، ص 148 .

وسيف الحجاج شقيقان[1]، فابن حزم لم يتأدب مع خصومه في الجدال بل استعمل معهم عبارات قاسية .

أسلوبه هذا أدخله في صدامات مع خصومه المالكية الذين اتهمهم بالتقليد فكان الجدال بين الطرفين محتدما، فجاءت حججه قوية في حين جاءت حجج خصومه ضعيفة فعجزوا على مناظرته نتيجة جهلهم طرق الجدل"...ولم يكن بالأندلس من يشتغل بعلمه، فقصرت ألسنة الفقهاء عن مجادلته وكلامه..." [2]

إنّ مناظرات ابن حزم مع المالكية كثيرة لذلك سأكتفي بذكر نماذج جرت بأرض الأندلس منها:

المناظرة التي دارت بينه وبين الفقيه المالكي أبو الوليد بن البارية[3] حول أتباع مالك[4] هذا الأخير عارض أفكار ابن حزم في ميورقة وحاول الحد من نفوذه بعد دخوله إليها سنة (430هـ/1038مـ)[5]، فجرت بينهما دارت مَجرياتها في مجلس أبي العباس أحمد بن رشيق حاكم المدينة، تفوق فيها ابن حزم[6]، بعدما وقع الفقيه المالكي في زلة، فأمر فأمر والي المدينة بسجنه ثم عفا عنه[7] .

إن هذه المناظرة وغيرها ساعدت على انتشار المذهب الظاهري في ميورقة بمساعدة حاكمه ابن رشيق "وبعد دخول أبو محمد ابن حزم ميورقة بسعي أبي العباس بن رشيق في ذلك ففشا مذهبه"[8] .

---

[1]- الذهبي، المصدر السابق، **ج 18**، ص 199 .

[2]- المصدر نفسه، ص 540.

[3]- أبو عبد الله بن عوف من أهل ميورقة، فقيه على مذهب مالك وعليه دارت الفتيا. ينظر: ابن الأبار أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي، **كتاب التكملة لكتاب الصلة**، طبع في مدينة مجريط بمطبع رسارة، 1889مـ، **م 02**، ص 523 .

[4]- القاضي عياض. **ترتيب المدارك**، المصدر السابق، تحقيق سعيد أحمد أعراب، 1983مـ، **ج 08**، ص 258 .

[5]- عبد المجيد تركي، المرجع السابق، ص 53- 54 .

[6] - علياء هاشم ذنون المشهداني، المرجع السابق، ص 142 .

[7]- القاضي عياض، المصدر السابق، **ج08**، ص 158 ./ عبد المجيد تركي، المرجع السابق، ص 53- 54 .

[8]- ابن الأبار، المصدر السابق ، **م 02**، ص 523 .

والمناظرتان التي جرتا بينه وبين الفقيه المالكي مكي بن أبي طالب[1] بقرطبة، دارت الأولى حول مسألة هل أسقط عثمان بن عفان رضي الله عنه ستة أحرف من جملة الأحرف السبعة المترلة ؟ فأجاب ابن حزم إجابة طويلة شافية هذا مختصرها:" وأما دعواهم أن عثمان رضي الله عنه أسقط ستة أحرف من جملة الأحرف السبعة المترل بها القرآن من عند الله عز وجل فعظيمة من عظائم الإفك والكذب، ويعيد الله عثمان رضي الله عنه من الردة بعد الإسلام ولقد أنكر أهل التعسف على عثمان رضي الله عنه أقل من هذا مما لا نكره فيه أصلا فكيف لو ظفروا له بمثل هذه العظيمة ومعاذ الله من ذلك..." [2] .

أما الثانية فكان حول مسألة (مَنْ أفضل الخلق كله بعد الملائكة والنبيين؟)، طرح ابن حزم هذه المسألة للنقاش مع معارضه الفقيه المالكي مكي بن أبي طالب "واعترض علينا مكي بن أبي طالب المقرئ بأن قال: يلزم على هذا أن تكون امرأة أبي بكر أفضل من علي، لأن امرأة أبي بكر مع أبي بكر في الجنة في درجة واحدة، وهي أعلى درجة من علي، فمترلة امرأة أبي بكر أعلى من مترلة علي، فهي أفضل من علي"[3] .

لقد قدّم ابن حزم ردا حول هذه المسألة لاق بمقامه كفقيه خلص فيه أن أمهات المؤمنين زوجات رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الخلق كله بعد الملائكة والنبيين عليهم السلام هذا مختصره: " فأجبناه بأن قلنا له وبالله تعالى نتأيد أن هذا الاعتراض ليس بشيء لوجوه: أحدهما: أن ما بين درجة أبي بكر ودرجة علي في الفضل الموجب لعلو درجته في الجنة على درجة علي، ليست من التباين بحيث هو ما بين درجة النبي صلى الله

---

[1]- بن حيوس بن محمد بن مختار أبو محمد القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي، الإمام المحقق أستاذ القراء والمجودين، ولد سنة (355هـ/965م)، له مؤلفات عدة في علوم القرآن منها :" التبصرة في القرآات، مشكل إعراب القرآن، الرعاية في التجويد...) توفي 437هـ/1045م). ينظر: ابن الجزري الدمشقي الشافعي، ت (833هـ/1429م)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط 01، 2006م، ج 02، ص 270- 271 .

[2]- ابن حزم الأندلسي، **الإحكام** ، المصدر السابق، تحقيق أحمد محمد شاكر، تقديم إحسان عباس، دار الأوقاف الجديدة، بيروت، لبنان، ج04، ص 162./ سمير قدوري، "**الردود على ابن حزم بالأندلس والمغرب من خلال مؤلفات علماء المالكية**"، مجلة الأحمدية، العدد الثالث عشر، محرم 1424هـ/2003م، ص 286- 287 .

[3]- ابن حزم الأندلسي، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق محمد إبراهيم نصر، و وعبد الرحمن بن عميرة، دار الجيل بيروت، لبنان، ط 02، 1996م، **ج 04**، ص 199 .

عليه وسلم وبين درجة أبي بكر في الفضل الموجب لعلو درجته عليه السلام على درجات سائر الصحابة رضي الله عنهم..."[1] .

إضافة إلى مناظرته للقاضي والفقيه المالكي الليث بن أحمد بن حريش العبدري القرطبي[2]، اختلف حول موضوعها بين الباحثين فقيل كان حول إتباع مالك بن أنس[3]، وقيل دار حول تعامل الفقيه بالحديث النبوي الشريف[4]، لكن بعد رجوعي إلى كتاب الإحكام أشاطر الرأي الثاني القائل بأن موضوعها دار حول تعامل الفقيه بالحديث النبوي "قال أبو محمد وقد قال بعضهم قد صح ترك جماعات من الصحابة والتابعين لكثير مما بلغهم من حديث النبي صلى الله عليه وسلم فلا يخلو من أن يكونوا تركوه مستخفين به وهذا كفر من فاعله أو يكونوا تركوه لفضل علم كان عندهم فهذا أولى أن يظن بهم ...لوجب أن يكون من فعل ذلك ملعونا بلعنة الله عز وجل..."[5] .

لقد ردّ ابن حزم على هذه المسألة قائلا:" فنحن نقول لعن الله كل من كان عنده علم من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وكتمه عن الناس كائنا من كان ومن نسب هذا إلى الصحابة رضوان الله عليهم فقد نسبهم إلى الإدخال في الدين وكيد الشريعة وهذا أشد ما يكون من الكفر ..."[6] .

إنّ رد ابن حزم هذا خالف فيه الفقيه المالكي الليث بن أحمد بن حريش[7] في مجلس القاضي عبد الرحمن بن أحمد بن بشر بحضور كبير لفقهاء المذهب المالكي، لكن لم يعارضه أحد بل صمتوا والقليل منهم صدّقوه، قال ابن حزم:" وذلك أني قلت له لقد نسبت إلى مالك رضي الله عنه ما لو صح عنه لكان أفسق الناس وذلك أنك تصفه بأنه أبدى إلى

---

[1]- ابن حزم الأندلسي، **الفصل** ،المصدر السابق، **ج 04**، ص/ ص 199 – 202 ./ سمير قدوري، المرجع السابق، ص 287- 288 .

[2]- من أهل قرطبة يكنى بأبي الوليد، عالما في الرأي والحديث، استقضى بالمرية، ولد سنة (305هـ/917م) وتوفي سنة (428م/1036م). ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، م 02، ص 119.

[3] – سمير قدوري، المرجع السابق، ص 288 .

[4] – علياء هاشم ذنون المشهداني، المرجع السابق، ص141 – 142 .

[5]- ابن حزم، **الإحكام**، المصدر السابق، **ج02**، ص 121 – 122 .

[6]- المصدر نفسه، ص 122 .

[7]- ورد اسمه في الإحكام الليث بن حرفش العبدي. ينظر: المصدر نفسه، نفس الصفحة .

الناس المعلول والمتروك والمنسوخ من روايته وكتمهم المستعمل والسالم والناسخ حتى مات...وهذه صفة من يقصد إفساد الإسلام والتدليس على أهله وقد أعاذه الله من ذلك بل كان عندنا أحد الأئمة الناصحين لهذه الملة ..."[1] .

إضافة إلى مجموعة من المناظرات التي لا يتسع المجال لذكرها كتلك التي كانت مع الفقيه والقاضي أبو عبد الله بن عوف، والفقيه محمد بن سعيد، هذا الأخير طلب المعونة من الفقيه أبي الوليد الباجي في مناظرة ابن حزم[2]، بعدما عجز على مقارعته ومجاراته .

من خلال النماذج التي قدمتها حول مناظرات ابن حزم في بلاد المغرب يظهر أنها كانت مع فقهاء المذهب المالكي فالنصوص لم تذكر مناظراته مع غير المالكية، ذلك أن المذهب المالكي كان سائدا بالمغرب والأندلس أيام ابن حزم من جهة، ومن جهة أخرى الاختلاف الجوهري في التوجه الفكري للمدرستين الظاهرية والمالكية تولد عنه معارضة التي تحولت بدورها إلى جدال صراع .

كما نستنتج من تلك النماذج قصور ملكة فقهاء المذهب المالكي في المناظرة، فلم يكن لديهم إلمام شامل بفنون العلم لذلك عجزوا تماما أما ابن حزم فقابلوا كلامه بالسكوت ومن تكلم منهم صدّقه وهذا ما اعترف بها كبير فقهاء المذهب المالكي أبو الوليد الباجي[3]: الباجي[3]: " فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين في ما لم يبلغهم علمه و لم يحصل لهم فهمه، مرتبكين ارتباك الطالب لأمر ، والقاصد إلى نهج لا يهتدي طريقه، أزمعت على أن أجمع كتابا في الجدل يشتمل على جمل

---

[1]- ابن حزم، **الإحكام**، المصدر السابق، **ج02**، ص 122.

[2]- عبد المجيد تركي، المرجع السابق، ص 54 .

[3]- هو سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي الباجي المالكي الحافظ، من أهل قرطبة سكن شرق الأندلس، يكنى بأبي الوليد، روى بقرطبة عن القاضي يونس بن عبد الله، وأبي محمد مكي ابن أبي طالب المقرئ، الإمام العلامة ذو الفنون القاضي صاحب التصانيف، أ صله من مدينة بطليوس ثم تحول جده إلى بلدة باجة بليدة قرب اشبيلية، ثم رحل إلى المشرق سنة (426هـ/1034مـ)، ولد ببطليوس سنة (403هـ/ 1012مـ) وتوفي بالمرية سنة (474هـ/1081مـ)، الفقيه المالكي الوحيد الذي استطاع أن ينتصر على ابن حزم في المناظرة والجدل، بعدما عجز بقية الفقهاء أمامه . ينظر: ابن بشكوال، المصدر السابق، **م 01**، ص 228 – 229 ./ الذهبي، المصدر السابق، **ج 18**، ص 535- 536 .

أبوابه وفروع أقسامه وضروب أسئلته وأنواع أجوبته، وأعفيته من التطويل الممل للمريد والاختصار ..."[1] .

إذن إنّ مناظرات ابن حزم كان لها دورا كبيرا في انتشار المذهب الظاهري في بلاد المغرب حيث تزايد وتضاعف عدد المنتسبين لمذهبه في حياته وبعد وفاته، على أيديهم انتشر فكره وحفظت كتبه فلولاهم لما وصلت إلينا رغم ضياع الكثير منها لسبب أو لآخر، كما كان لها دور في شهرته ليس بالأندلس فقط بل بالعالم الإسلامي كله .

إن أتباع ابن حزم الذين تأثروا بفكره بعد تلك المناظرات حافظوا على استمرار تواجد المذهب في المنطقة حيث خدموه عن طريق التعريف به وبأمهات كتبه، ودافعوا عنه، ولقّنوا تلامذتهم أصوله "...وأصبح المذهب الظاهري الحزمي حركة فكرية كبرى دافع عنها أنصارها وحاربها خصومها حتى بداية العصر الموحدي..."[2] .

والقائمة الآتية توضح أبرز من تأثروا بالمذهب الظاهري الحزمي في بلاد المغرب والأندلس وسعوا في خدمته والدفاع عنه ما بقوا على قيد الحياة ومن هؤلاء:

- محمد بن عبد الله بن طالب الظاهري المتوفى بعد سنة (423هـ/1031م) كان على مذهب داود القياسي[3].

- مسعود بن سليمان أبو الخيار الشنتريني المتوفى سنة (426هـ/1034م) داودي المذهب لا يرى التقليد[1].

---

[1]- أبو الوليد الباجي (403هـ - 474هـ /1012-1081م)، **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان، ط 03، 2001م، ص 07 .

[2]- عادل عبد العزيز غيث عبد الخالق، **الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية في الأندلس وموقف ملوك الطوائف حياله (ابن حزم الظاهري أنموذجا)**، المجلة الليبية العالمية، جامعة بنغازي، كلية التربية، المرج، ع 02، مارس 2015م، ص – ص 01- 23، نقلا عن :

- Urvoy Dominique : Lavie Intellectually et Spiritually dans les balers muscleman's Allandale's, 1972, p 102 .

[3]- أبو زيد القيرواني أبو محمد عبد الله ت (386هـ/996م)، **الذّبُّ عن مذهب مالك في غير شيء من أصوله وبعض مسائل من فروعه وكشف ما لبس به بعض أهل الخلاف، وجهله من محاج الأسلاف**، دراسة وتحقيق محمد العلمي، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعمل، الرباط، المغرب الأقصى، ط 01 2011م، م **01**، ص 61 .

- هشام بن غالب الغافقي أبو الوليد الوثائقي المتوفى سنة (438هـ/1046مـ)،" مال لمذهب داود بن علي الأصفهاني[2] .

- ابن الريوالي القاسم بن الفتح بن محمد أبو محمد المتوفى سنة (451هـ/1059مـ)[3].

- عبد الرحمن بن أحمد بن خلف أبو أحمد بن الحوات المتوفى سنة (460هـ/1067)[4].

- الإمام الظاهري ابن الإمام أبو محمد سفيان بن أحمد بن عبد الله المتوفى سنة (465هـ/1072مـ)[5].

- فضل بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم من أهل قرطبة يكنى أبا رافع، وهو ولد الحافظ أبو محمد بن حزم توفي سنة (479هـ/1086مـ)[6] .

- فرج بن حديدة المقرئ الظاهري، توفي سنة (480هـ/1087مـ)[7].

- الحميدي[8] من ميورقة أصله من قرطبة اختص بابن حزم وروى عنه: "روى عن أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري، واختص به، وأكثر عنه، وشهر بصحبته..."[9]، صاحب كتاب "**جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**" من أكثر المتأثرين بفكر شيخه ابن حزم [10] توفي ببغداد سنة (488هـ/1095مـ)[11].

---

[1]- أبو زيد القيرواني، المصدر السابق، ص 61.

[2]- ابن بشكوال، المصدر السابق، **م 02**، ص 287- 288 .- أبو زيد القيرواني، المصدر السابق، **م 01**، ص 61.

[3]- أبو زيد القيرواني، المصدر السابق، **م 01**، ص 62 .

[4]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[5]- أبو زيد القيرواني، المصدر السابق، **م 01**، ص 62 .

[6]- ابن بشكوال، المصدر السابق، **م 02**، ص 104 .

[7]- المصدر نفسه، ص 102.

[8]- هو أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد بن يصل الحميدي، عربي الأصل سكنت عائلته محل الرُّصافة بقرطبة، تحول والده منها إلى جزيرة ميورقة أحد جزر البليار في البحر الرومي حيث ولد هناك سنة (420هـ/1029مـ)، ولما امتحن ابن حزم رحل إلى المشرق وزار عديد الحواضر وانتهى به المطاف ببغداد التي استوطنها واتصل بالمظفر أبو الفتح بن علي بن الحسن بن أحمد المعروف بابن السلمة نائب الوزارة في خلافة المقتدي، ينظر: الحميدي أبو عبد الله ، المصدر السابق، **ج 01**، ص- ص 06- 09 .

[9]- ابن بشكوال المصدر السابق، **م 02**، ص 199 .

[10]- الحميدي أبي عبد الله، المصدر السابق، **ج 01**، ص 07 .

[11]- ابن بشكوال ، المصدر السابق، **م 02**، ص 200 .

- علي بن سعيد العبدري أبو الحسن الميورقي، أخذ عن أبو محمد بن حزم، رحل إلى المشرق كان ظاهري المذهب[1]، إن ما لفت انتباهي هو اختلاف النصوص حول وفاته، فقيل أنه توفي سنة (491هـ/1097م) وقيل أنه كان حيا سنة (491هـ/1097م)[2].

- عبد الله بن إسماعيل أبو محمد الاشبيلي المتوفى سنة (497هـ/1103م) مال لفقه النص وظاهر الحديث[3].

- داود بن إبراهيم بن يوسف بن كثير الأصبهاني، من أهل القرن الخامس الهجري (11م)، يكنى أبا سليمان، من أهل العلم على مذهب داود، أشار ابن خزر إلى كتاباته قائلا:" أجاز بخطه سنة خمس وعشرين وأربع مائة باشبيلية، وكتبت عنه بعض ما رواه"[4].

- محمد بن عبد الله بن طالب البصري الظاهري، دخل الأندلس تاجرًا سنة (420هـ/1029م)[5] .

- محمد بن سليمان بن محمود الخولاني الظاهري، يكنى بأبي سالم، قدم الأندلس تاجرًا سنة (423هـ/1031م)، تبع مذهب داود[6] .

- يعقوب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم، من أهل قرطبة يكنى أبا أسامة، ولد سنة (440هـ/1048م) وتوفي سنة (503هـ/1109م)[7].

- أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي الأموي من أهل قرطبة، كنيته أبو القاسم، مال إلى الظاهر، ولد سنة (537هـ/1142م) وتوفي سنة (625هـ/1227م)[8].

- ابن بقي أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن أبو القاسم المتوفى سنة (625هـ/1227م)[1].

---

[1]- أبو زيد القيرواني، المصدر السابق، **م 01**، ص 62 .

[2]- ابن بشكوال، المصدر السابق، **م 02**، ص 63 – 64 .

[3]- أبو زيد القيرواني، المصدر السابقي، **م 01**، ص 62 .

[4]- ابن بشكوال، المصدر السابق، **م 01**، ص 209 .

[5]- المصدر نفسه، **م 02**، ص 233 .

[6]- نفسه، ص 234 .

[7]- نفسه، **م 01**، ص 322 .

[8]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص 48- 49 .

- ابن الخطاب أبو علي بن يوسف المعافري الاشبيلي المتوفى سنة (629هـ/1231م) من الفقهاء المحدثين، شديد الميل للمذهب الظاهري[2].

- أحمد بن طاهر بن علي أبو العباس الخزرجي المتوفى سنة (632هـ/1234م)[3].

- ابن دحية عمر بن الحسن بن علي المتوفى سنة (633هـ/1235م) ظاهري المذهب[4].

- ابن الرومية أحمد بن محمد بن مفرج أبو العباس، المتوفى سنة (637هـ/1239م) كان فقيها ظاهريا متعصبا لمذهب ابن حزم بعدما كان مالكيا[5].

- ابن رشد محمد بن عمر أبو عبد الله السبتي المتوفى سنة (721هـ/1321م)، شديد الميل لمذهب داود[6].

- أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف النفزي المتوفى سنة (745هـ/1344م) مال للمذهب الظاهري[7].

وفيهم من لم تقدم لنا كتب التراجم تاريخ ولادتهم ووفاتهم أمثال:

- عبد الصمد بن أحمد بن سعيد أبو محمد الأموي تلميذ أبو علي الغساني مال إلى المذهب الظاهري[8] .

- ابن المالقي إبراهيم بن محمد بن يوسف الأنصاري أبو إسحاق الاشبيلي فقيها من فقهاء المذهب الظاهري[9] .

- بكر بن خلف بن سعيد بن كوثر أبو عمر الغافقي من الفقهاء الذين لا يرون التقليد، انتحل المذهب الظاهري[1] .

---

[1]- أبو زيد القيرواني،المصدر السابق، م **01**، ص 63 .

[2]- المصدر نفسه، نفسه الصفحة .

[3]- نفسه، نفس الصفحة .

[4]- نفسه، نفس الصفحة .

[5]- نفسه، نفس الصفحة .

[6]- نفسه، نفس الصفحة .

[7]- نفسه، ص 64 .

[8]- نفسه، ص 62 .

[9]- نفسه، ص 64 .

– جابر بن غلب بن سليمان أبو محمد الجذامي، روى عن أبو الحسن شريح، كان محدثا على مذهب أهل الظاهر، ومحمد بن الحسين بن أحمد بن يحيى أبو أحمد الخزرجي الظاهري[2].

هذا ما استطعت الوصول إليه من فقهاء وطلبة العلم بما توفر لدي من مادة علمية، هؤلاء تأثروا بالفكر الظاهري الحزمي في بلاد الغرب الإسلامي وسعوا في خدمته والدفاع عنه، والجدول والرسم البياني أسفله يوضحان تطور عدد فقهاء المذهب خلال الفترة الزمنية الممتدة مابين القرن (05 - 08هـ/ 11-14 مـ):

– جدول رقم 01: يمثل تطور عدد فقهاء المذهب الظاهري خلال الفترة الممتدة مابين القرن (05 – 08هـ/ 11–14 مـ) .

الفترة الزمنية	ق05هـ/11م (مـ)	بداية ق06هـ/12مـ	ق07هـ/13م مـ	ق08هـ/14م مـ
عدد الفقهاء	13	01	07	02

– تحويل أرقام الجدول الأول إلى رسم بياني:

[1]– أبو زيد القيرواني،المصدر السابق، م **01**،ص 64.

[2]– المصدر نفسه، ص 65 .

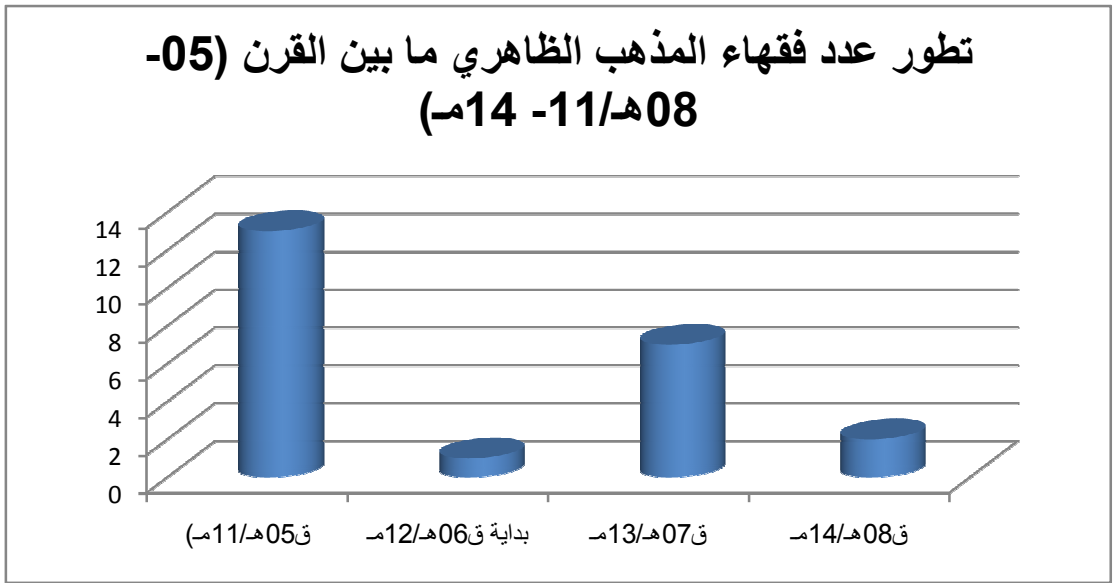

من الرسم البياني يتضح أنّ فقهاء المذهب الظاهري تواجدوا بكثرة خلال القرن الخامس الهجري (11مـــ)، حيث بلغ عددهم ثلاثة عشر فقيها باعتبار أن الإمام ابن حزم قد عاش خلال هذه الفترة فكثرت مناظراته ومؤلفاته التي جلبت إليه العديد من الأتباع الذين تأثروا بفكره فساروا عليه وانتسبوا إلى مذهبه، في حين تراجع عددهم كثيرا مع بداية القرن السادس الهجري (12مـــ) حيث سجلنا فقيها واحدا فقط، ذلك راجع إلى عودة الفقه المالكي بقوة أيام المرابطين، أما خلال القرن السابع الهجري (13مـــ)، فقد ارتفع عددهم إلى سبعة فقهاء وهو رقم مقبول مقارنة بالفترة السابقة حيث سقطت دولة المرابطين المالكية وقامت على أنقاضها دولة الموحدين التي اهتمت بالمذهب الظاهري ومكّنت له في بلاد المغرب، بعد هذه المرحلة تراجع عدد فقهاء المذهب فخلال القرن الثامن الهجري (14مـــ) بلغ عددهم فقيهين فقط، ذلك راجع إلى سقوط دولة الموحدين وقيام الدولة الحفصية، والزيانية، والمرينية التي تبنت المذهب المالكي ومكّنت له في بلاد المغرب .

إذن كان لابن حزم دور في خدمة المذهب الظاهري فنشره، ودوّنه، ودافع عنه، لكن هذا لا ينفي مشاركته في تراجعه ببلاد المغرب، فابن حزم كان سليط اللسان مع معارضيه فلم يتأدب معهم ما جعل البعض يُعْرِض عن مصنفاته، والبعض الآخر أقدم على إحراقها، واتجه كثير منهم إلى التأليف انتقادا للمذهب وأئمته كأبو بكر بن العربي الذي شنّع على الظاهرية وابن حزم في كتابه (**العواصم من القواصم**)" الظاهرية أمة سخيفة تسورت

على مرتبة ليست لها وتكلمت بكلام لم نفهمه... ولما عدت وجدت القول بالظاهر قد ملأ به المغرب سخيف كان من بادية اشبيلية يعرف بابن حزم..."[1] .

بيّن أبو بكر بن العربي في كتابه هذا كرهه الشديد للظاهرية وبالأخص ابن حزم حين شنع عليه، في رأيي مثل هذه الانتقادات لا تليق بعالم كابن حزم خاصة عندما وصفه بالسخيف فإن كان كذلك فوالد ابن العربي هو الآخر سخيف لأنه صاحب ابن حزم وحاشا أن يكون علماء الأمة من هذا الصنف، فعلمائنا اجتهدوا فإن أصابوا فلهم أجران وإن أخطئوا فلهم أجر، فابن حزم صنع لنفسه طريقا خاصا في الاجتهاد خالف فيه أئمة الفقه خدمة للشريعة الإسلامية فمؤلفاته وأقوال كبار العلماء فيه تشهد على رجاحة عقله .

[1] - الذهبي، **سير**، المصدر السابق، **ج 18**، ص 188- 189 .

-02- موقف دولة الموحدين من المذهب الظاهري:

قامت دولة الموحدين بالمغرب الإسلامي على أنقاض دولة المرابطين خلال الفترة الممتدة ما بين (515-674 هـ/ 1121- 1275م)[1]، كانت بدايتها مع واضع نواتها محمد بن تومرت الهرغي[2]، الذي دار جدل كثير حول نسبه ومذهبه، ثم تولى أمرها من بعده عبد المؤمن بن علي[3] وبنوه بعده .

هؤلاء الحكام قدّموا خدمة جليلة لدولة الموحدين التي سطع نجمها في العالم الإسلامي، فكانت ولا تزال الخلافة الوحيدة قديما وحديثا التي استطاعت توحيد بلاد المغرب تحت رايتها سياسيا وفكريا ومذهبيا.

إنّ ما يهمني في دراستي الجانب المذهبي للدولة حيث دار حوله جدل كبير كالجدل الذي دار حول ابن تومرت، فأمراءها ساهموا في تقويض أركان المذهب المالكي وفي المقابل دعوا للمذهب الظاهري .

---

[1]- مبارك بن محمد الهلالي الميلي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1963م، **ج 02**، ص 280.

[2]-الإمام المهدي محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن ابن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رباح بن محمد بن سليمان ابن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم ، هكذا ذكر نسبه الزركشي، ارتحل إلى المشرق عن طريق البحر في رأس السنة الخامسة (500-501هـ/1106-1107م) فزار الإسكندرية والبقاع المقدسة ثم حل بالعراق وأقام ببغداد، وبعدها عاد إلى بلاد المغرب سنة (510هـ/1116م) فزار أهم حواضره كطرابلس، والمهدية، وتونس، وبجاية، مارس فيها مهنة التدريس والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . ينظر: الزركشي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط 02، 1966م، ص03. / - البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، **كتاب أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974م، ص 33 .

[3]- هو عبد المؤمن بن علي بن علوي الكومي، أمه كومية أيضا من قوم يقال لهم بنو مجبر، مولده بضيعة من أعمال تلمسان تعرف بتاجرا، ولد سنة (487هـ/1094م) توفي في جمادى الآخرة من سنة (558هـ/1189م)، ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 139 .

لقد نتج عن سياستهم هذه إقصاء وتهميش المالكية من الفقهاء بحيث لم تعد لهم الحظوة والتأييد الرسمي الذي نعموا به أيام المرابطين[1]، علما أن ابن تومرت وخلفاءه لم يجاهروا بظاهريتهم حتى وصل يعقوب المنصور إلى سدة الحكم فجاهر بالمذهب وفرضه عنوة وسار على نهجه من جاء بعده من الأمراء .

إنّ آراء الباحثين تضاربت واختلفت حول موضوع ظاهرية دولة الموحدين، فالباحث عبد الباقي سيد عبد الهادي نفى تأثرها كليا بالمذهب الظاهري [2]، في حين أكدّ على ظاهريتها الباحث صدّيقي عبد الجبار فقال أن حكامها اجتهدوا كثيرا من أجل خدمة المذهب والتمكين له في بلاد المغرب وفق سياسة خاصة [3]، ونفس الرأي وجدته عند الباحث محمد عبد الله عنان في حديثه عن عقيدة ابن تومرت المتمسك بالتفسير الظاهري[4]، أما الباحث أحمد مختار العبادي فرجح ظاهرية المهدي بن تومرت الذي مزج دعوته ببعض ما أخذ به الظاهرية واستغل الجانب الفقهي من مذهبهم الذي يحارب التقليد والاحتكار[5]، يقول الباحث محمد المنوني أن ظاهرية الموحدين وخلفائهم وجدت مع ابن تومرت و لم تكن وليدة عهد المنصور:"الواقع أن مسألة الظاهرية ليست آنية من عبد المؤمن ثم يوسف فقط وإنما منشؤها الأصلي من ابن تومرت مؤسس الدولة الموحدية..."[6] .

---

[1]- مونغمري وات، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيّا)**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط 02، 1998مـــ، ص 146 .

[2]- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 203 .

[3]- صدّيقي عبد الجبار، **سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف الدكتور مكيوي محمد، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، 2013 – 2014 مـــ، ص- ص 70 / 72.

[4]- محمد عبد الله عنان، **دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 02، 1990مـــ، ص 199 .

[5]- أحمد مختار العبادي، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، د ت، ص 108 - 109 .

[6]- محمد المنوني، **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1989مـــ، ص 37 .

من خلال طرح الآراء السابقة يمكنني القول أن ظاهرية دولة الموحدين كانت جزءا من التكوين المذهبي لابن تومرت ثم خلفاءه من بعده، لكن لم تظهر إلى العلن إلاّ على عهد يعقوب المنصور الذي جاهر بها وسعى في خدمتها كما سأوضح لاحقا .

شخصيا أرجح ظاهرية دولة الموحدين بناءا على ما توفر لدي من مادة تاريخية، فإسماعيل بن الأحمر صاحب كتاب "**بيوتات فاس الكبرى**" أكّد على ظاهرية المهدي بن تومرت خلال ترجمته لبيت بني عشرين الخزرجيين فقال أن إقبال الموحدين على إحراق المدونة راجع إلى عقيدة مهديهم: "وسبب إحراق المدونة أن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم تابعين للمهدي رئيسهم الأول القائل باعتقاده الفاسد بإنكار الرأي في الفروع الفقهية والعمل على محض الظاهرية..."[1] .

ومن الذين أكّدوا على ظاهرية المهدي ودولته الشاطبي[2] المتوفى سنة (790هـ/1388م) حين قال :"وكان من رأيه ترك الرأي وإتباع مذهب الظاهرية"[3].

ويعتبر صاحب المعجب من أبرز المؤرخين الذين قالوا بظاهرية الدولة ويظهر ذلك في حديثه عن خليفة المهدي عبد المؤمن بن علي وبنيه الذين كانوا ظاهريي المذهب وسعوا في خدمته :" وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجدّه، إلاّ أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا..." [4] .

---

[1]- إسماعيل بن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص 19 .

[2]- إبراهيم بن موسى بن محمد، اللخمي الغرناطي أبو إسحاق، ناصر السنة، عرف بالشاطبي، الإمام الجليل العلامة المجتهد الأصولي المفسر المحدث الفقيه اللغوي النحوي البياني، من أفراد محققي العلماء، له تواليف جليلة في غاية النفاسة منها كتاب "**الموافقات في الأصول**"، وكتاب "**المجالس**"، وله شرح جليل على "**ألفية بن مالك**"، توفي يوم الثلاثاء ثامن شعبان سنة (790هـ/1388م). ينظر: التنبكتي أحمد بابا، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، دراسة =وتحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1421هـ/2000م، **ج 01**، ص – ص 153 – 157 .

[3]- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، ت (790هـ/1388م)، **الاعتصام**، ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1988م، **ج02**، ص 337 .

[4]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق، ص 198 .

إنّ الخليفة الموحدي يعقوب المنصور يعتبر أول حاكم جاهر بإتباع المذهب الظاهري في بلاد المغرب حيث فرضه عنوة ففترة حكمه انقطع فيها علم الفروع، كما أحرقت كتب المذهب المالكي في مقدمتها مدونة الإمام سحنون بعدما يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا إلى العمل بالقرآن والسنة أحد أهم أصول المذهب الظاهري[1] .

لقد علّق عبد الواحد المراكشي على حادثة- إحراق كتب المذهب المالكي- حيث شهد أطوارها قائلاً: "لقد شهدت منها وأنا يومئذ بمدينة فاس، يؤتى منها بالأحمال فتوضع ويطلق فيها النار..."[2] .

كما أمر الخليفة يعقوب المنصور الناس أن يبتعدوا عن الاشتغال بالرأي ومن فعل ذلك عوقب عقابا شديدا وفي هذا إشارة لترك العمل بأصول المذهب المالكي والعمل بأصول المذهب الظاهري"وتقدّم الناس في ترك الاشتغال بعلم الرأي...وتوعد ذلك بالعقوبة الشديدة"[3]، وتشير نصوص أخرى أنه قبل وفاته جمع شيوخ الدولة وأوصاهم بمجموعة من الأمور منها العمل بأصول المذهب الظاهري: "ولما وعك رحمه الله...أمر بإحضار شيوخ الموحدين ووجوه أهل بيته من صغارهم وكبارهم والأعيان من أهل خدمته...ويؤكد عليهم التزام ما كانوا عليه من طاعته، والعمل في ذلك كله بكتاب الله وسنته..."[4].

في إطار فرض يعقوب المنصور للمذهب الظاهري أمر العلماء بجمع الأحاديث من الصحيحين، والترمذي، الموطأ، وسنن أبي داود، وسنن النسائي، وسنن البزّار، ومسند ابن

---

[1]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق، ص 197- 198 .

[2]- المصدر نفسه، ص 198 .

[3]- نفسه، نفس الصفحة .

[4]- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين**، تحقيق الأساتذة محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنبير، عبد القادر رزمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 01، 1985مـ، ص 230 .

أبي شيبة، وسنن الدّرقطاني...[1]، وحتى يقدّم خدمة إضافية للمذهب اهتم بتحفيظ الحديث النبوي لأهل المغرب وقدّم الجرايات لمن حفظه منهم[2].

إنّ خدمة يعقوب المنصور للمذهب الظاهري تتضح في كلام بعض العلماء الذين دخلوا عليه، فيذكر عبد الواحد المراكشي نصاً وضّح فيه ذلك:" يشهد لذلك عندي ما أخبرني غير واحد ممن لقي الحافظ أبا بكر بن الجد[3]، أنّه أخبرهم قال: لما دخلت على أمير المؤمنين أبي يعقوب...وجدت بين يديه كتاب ابن يونس، فقال لي: يا أبا بكر، أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا، فأي هذه الأقوال هو الحق؟ وأيها يجب أن يأخذ به المقلد ؟ فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من ذلك فقال لي وقطع كلامي: يا أبا بكر، ليس إلا هذا ، وأشار إلى المصحف، أو هذا وأشار إلى كتاب سنن أبي داود، وكان عن يمينه أو السيف، فظهر في أيام يعقوب هذا ما خفي أيام أبيه وجدّه ..."[4] .

إنّ إشارة يعقوب المنصور إلى المصحف وكتاب سنن أبي داود دلالة على مجاهرة يعقوب للعمل بأصول المذهب الظاهري فالأصلان (القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة) هما أبرز أصلين عند الظاهرية، وأما إشارته للسيف فتوحي أن أهل المغرب خيرا بين أمران هما: العمل بأصول المذهب الظاهري أو السيف بين السلطة وبينهم .

فالهدف المرجو من وراء سياسته محو مذهب مالك وإحلال محله المذهب الظاهري: " وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة، وحمل الناس على

---

[1]- عبد الواحد المراكشي ، المصدر السابق، ص 198 .

[2]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[3]- الشيخ الإمام، العلامة، الفقيه، أبو بكر محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري اللبلي، ثم الاشبيلي المالكي، ولد سنة (496هـ/1102م)، انتهت إليه رياسة الحفظ في الفتيا، توفي في شوال من سنة (586هـ/1190م)، ينظر: الذهبي، **سير**، المصدر السابق، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، والدكتور محي هلال الرحمن، **ج21**، ص – ص 177-179 .

[4]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 198- 199 .

الظاهر من القرآن والحديث، وهذا المقصد بعينه كان مقصد أبيه وجدّه، إلاّ أنهما لم يظهراه وأظهره يعقوب هذا..."[1].

حقيقة هذه السياسة (فرض المذهب الظاهري بالقوة) أتت أكلها حيث كثر عدد المنتسبين للمذهب أيام الموحدين لكن بمجرد سقوط دولتهم بدأ عدد المنتسبين له في التناقص.

إنّ سياسة يعقوب في فرض المذهب الظاهري لم تنتهي بوفاته بل استمرت مع من خلفه من بني عبد المؤمن. فهذا الأمير أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي (594هـ/ 620هـ-/1197-1223م)[2] سار على نهج أبائه و لم يغير شيئا من سيرهم ومنها العمل بالمذهب الظاهري "و لم يغير أبو يعقوب هذا على الناس شيئا من سير آبائه، ولا أحدث أمرا يتميّز به عمّن كان قبله"[3] .

وبغية التمكين للمذهب الظاهري عمل حكام دولة الموحدين على تقريب فقهاء المذهب وتعيينهم في مناصب عليا كمنصب قاضي القضاة وأمرهم أن يأمروا القضاة بأن يقضوا بمحض الظاهرية، منهم بالمغرب قاضي الجماعة عبد الله بن طاهر الصقلي الحسيني[4] "أمروه أن يأمر قضاة المغرب أن يحكموا بمحض الظاهرية وطبعا قد امتثلوا أمره، وصاروا لا يحكمون إلا بمحض الظاهرية، وجروا على ذلك السّنن بطول أيامهم"[5] .

أكيد أن هؤلاء القضاة قد امتثلوا لأمر الحاكم في العمل بأصول المذهب الظاهري في القضاء والفتوى، لكن فقهاء المذهب المالكي خلال فترة حكم الناصر بن المنصور بن يوسف

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 198 .

[2]- المصدر نفسه، ص 231 .

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 235 .

[4]- الفقيه القاضي العالم المتصوف بن طاهر الحسيني من ولد الحسين بن علي رضي الله عنه، من أهل مدينة فاس، يعرف بابن الصيقل، كان أوحد عصره فصاحة ومشاركة في جميع العلوم الدينية والدنيوية، عالما، ومسائل الخلاف، عين على قضاء الجماعة للمنصور، وكان عادلا فاضلا ورعا لم يعرف له في أحكامه ميل، ولا يقبل هدية من أحد من حين ولي القضاء إلى أن مات، اتصل بالمنصور سنة (587هـ/1191م) فكانت له عنده منزلة عظيمة، واستمر في منصب قاضي الجماعة إلى أن توفي باشبيلية سنة (609هـ/1212م).ينظر: ابن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص48.

[5]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 19 .

بن عبد المؤمن أنكروا ذلك وقالوا أن المذهب الحق هو مذهب المدونة، وحتى يمكن لمذهب دولته في المنطقة أمر بجمع ما وجد من نسخ المدونة وأحرقها عن آخرها وهذه سياسة واضحة من حكام دولة الموحدين في خدمة المذهب الظاهري[1] تتضح في إقدام المنصور الموحدي على قتل أخ له لخروجه عليه ومطالبته بالخلافة اعتمادا على فتوى ابن حزم بقتل الخليفة الآخر إذا بويع لخليفتين[2] .

والأمثلة كثيرة عن قضاتهم الظاهريين أمثال: ابن مضاء القرطبي الظاهري[3] وأحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقي بن مخلد الذي تولى قضاء مراكش، ثم قرطبة وكانت أحكامه على المذهب الظاهري[4]، وابن دحية الكلبي[5].

إضافة إلى دعوة حكام الموحدين لعقد مجادلات ومحاورات لترجيح المذهب الظاهري على المذهب المالكي، فعبد المؤمن بن علي جمع علماء الظاهرية والمالكية للمناظرة حول عدة مسائل في مدونة سحنون منها مسألة إعادة الصلاة في الوقت، وهي مسألة يرفضها أهل الظاهر، انتهى المجلس بإقرار رأي الظاهرية بعد كلام دار بين ابن زرقون المالكي وأحد أعيان الظاهرية، كما أقبلوا على معاقبة كل من انتقد ابن حزم حيث صار المساس بشخصه أو نقد آراءه بمثابة الطعن في مقدسات الدولة [6].

من خلال النصوص السابقة يظهر أن أمراء بنو عبد المؤمن كانوا ظاهريي المذهب وجعلوا دولتهم ومؤسساتها كذلك حيث استغلوا الوسائل الممكنة والمتاحة لخدمة المذهب الظاهري والتمكين له في المنطقة .

إنّ سياسة الموحدين كان لها أثر إيجابي على المذهب الظاهري في بلاد المغرب حيث كثر عدد المنتسبين له أيامهم وهي سابقة لم تحدث حتى على أيام ابن حزم، ومن الذين

---

[1]- ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 19 .

[2]- عبد الهادي السيد عبد الباقي، المرجع السابق، ص 204 .

[3]- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة**، د ت، **ج 01**، ص 323 .

[4]- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 206 .

[5]- أبو زيد القيرواني، المصدر السابق، **م 01**، ص 63 .

[6]- عبد الهادي السيد عبد الباقي، المرجع السابق، ص 204 .

انتسبوا للمذهب أيامهم أذكر على سبيل المثال لا الحصر قائمة الفقهاء والعلماء المرتبة أسماؤهم ترتيباً كرونولوجياً حسب سنة الوفاة. هؤلاء ساهموا كثيرا في خدمة المذهب منهم:

– عبد الله أحمد بن سعيد بن يربوع الاشبيلي الظاهري، الفقيه المحدث، توفي سنة (522-1128مـ)[1] .

– عبد الله المتوفى سنة (532هـ/1137مـ) كان ظاهري المذهب[2].

– ابن أبو مروان أحمد بن عبد الملك أبو جعفر المتوفى سنة (549هـ/1154مـ) كان ظاهري المذهب[3].

– خضر بن محمد بن نمر أبو الحسن التجيبي المتوفى سنة (571هـ/1175مـ) من فقهاء أهل الظاهر[4].

– عبد الرحمن بن يحيى بن الحسن أبو القاسم القرشي المتوفى سنة (585هـ/1189مـ) كان شديد الميل لمذهب ابن حزم[5].

– عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال بن برجان من أهل اشبيلية، يكنى بأبي الحكم، أصله من بلاد إفريقية من أجّل رجال المغرب، كان إماما في علم الكلام بارعا في التفسير والنحو والحساب والهندسة، عارفا بمذاهب الناس متقيدا قي نظره بظواهر الكتاب والسنة، شديد التمسك بهما[6] توفي بمراكش بعد سنة (530هـ/ 1135مـ) بيسير[7].

– عبد الرحمن بن يحيى بن الحسن أبو القاسم القرشي المتوفى سنة (585هـ/1189مـ) كان شديد الميل لمذهب ابن حزم[8].

---

[1]– الضبي، المصدر السابق، **ج 02**، ص 440

[2]– أبو زيد القيرواني،المصدر السابق، **م 01**، ص 62 .

[3]– المصدر نفسه، نفس الصفحة

[4]– نفسه، ص 63 .

[5]– نفسه، ص 62 .

[6]– ابن بشكوال ، المصدر السابق، **م 03**، ص 207 .

[7]– المصدر نفسه، ص 208 .

[8]– أبو زيد القيرواني، المصدر نفسه، **م 01**، ص 62 .

– سعد السعود بن أحمد بن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبد الوهاب بن عفير الأموي بن إدريس، من أهل لبلة، كنيته أبا الوليد[1] ولد سنة (513هـ/1119مـ)[2] ظاهري المذهب شديد التمسك بالسنن[3]، توفي سنة (588هـ/1192مـ)[4] .

– الإمام ابن مضاء القرطبي أبو جعفر أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن سعد بن حرس بن عاصم، بن مضاء اللّخمي قاضي الجماعة، الجياني القرطبي، ولد بقرطبة سنة (513هـ/1119مـ)، كانت وفاته باشبيلية سنة (592هـ/1195مـ) ، ولي قضاء فاس وغيرها، فأحسن السيرة وعدل فعظم قدره، من مؤلفاته "**تنـــزيه القرآن عمّا يليق بالبيان**"، [5] و"**كتاب الرد على النحاة**"، و"**المشرق في النحو**"، صنّفهم لتأصيل مذهب جديد في النحو يعارض فيه النحو الشرقي الغارق في التأويل بناه على منهج ظاهري[6].

– علي بن عبد الله بن الخطاب من أهل اشبيلية يكنى أبا الحسن، كان أول أمره يميل إلى الظاهر ثم عزم على مذهب مالك وكان من الفضلاء توفي سنة (600هـ/1203مـ)[7].

– محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني قاضي الجماعة في عهد المنصور الموحدي، من أهل القرن السابع الهجري (13مـ)،كان والده من الأجناد، تقدم وساد وولي مدينة وهران، وبها ولد أبو عبد الله، ونشأ بتلمسان[8]، مال لعلم الظاهر، وأكثر من مطالعة كتب ابن حزم، فاشتهر بذلك، صادف انحراف المنصور عن كتب الفروع وميله إلى مذهب أهل الحديث، فتقدم عنده إلى أن ولاه قضاء قضاته[9].

---

[1]– ابن بشكوال المصدر السابق، **م 03**، ص 369 .

[2]– المصدر نفسه، ص 370 .

[3]– نفسه، نفس الصفحة .

[4]– نفسه، نفس الصفحة .

[5]– جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة**، د ت، **ج 01**، ص 323 .

[6]– عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 208 .

[7]– ابن بشكوال، المصدر السابق، **م 03**، ص 284 .

[8]– عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 207- 208 .

[9]– ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي (610-685هـ/1213-1286مـ)، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، 2009مـ، ص- ص 29-35 .

- عبد الكريم بن عبد المالك بن عبد الله البجاني من أهل القرن السابع للهجرة (13مـ)، كان معروفا عند خلفاء الموحدين وإليه كان مرجع الفتوى وعلى قوله العمل[1] .

- عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن الأنصاري الأندي القاضي المحدث العالم، يكنى أبا محمد، ولد سنة (548هـ/1153مـ)[2] أصله من أندة شرق الأندلس، كان فقيها جليلا، أصوليا، نحويا، كاتبا، أديبا، شاعرا، متفننا في العلوم، مال إلى المذهب الظاهري[3]، عظّمه ملوك الموحدين واعتنوا بها عناية كبيرة:"...فكان له عند المنصور والدهم والدهم بذلك أكرم أثره مع ما كان مشهورا به من العلم والدين والفضل"[4]، ولاّه أمراء الموحدين القضاء على اشبيلية، وقرطبة، ومرسية، وسبتة، وسلا، وميورقة[5]، توفي بغرناطة يوم الخميس الثاني من ربيع الأول من سنة (612 هـ/1215مـ)[6] .

- سعد السعود بن أحمد بن هشام أبو الوليد الأنصاري أبو أحمد الأندي، المتوفى سنة (612هـ/1215مـ) غلب عليه المذهب الظاهري اهتم به الموحدين[7].

- الحافظ إبراهيم بن خلف السنهوري الدمشقي توفي سنة (620هـ/1223مـ)، دخل الأندلس والمغرب فالتّف حوله جماعة من الظاهرية درسوا على يديه ورووا عنه[8].

- أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي الأموي من أهل قرطبة، كنيته أبو القاسم، كان يميل إلى الظاهر، ولد سنة (537هـ/1142مـ)[9] وتوفي سنة (625هـ/1227مـ)[10].

- ابن الخطاب أبو علي بن يوسف المعافري الاشبيلي المتوفى سنة(629هـ/1231مـ) من الفقهاء المحدثين شديد الميل للمذهب الظاهري[1].

---

[1]- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص ، 208 .

[2]- ابن بشكوال، المصدر السابق، م **03**، ص 98 .

[3]- المصدر نفسه، ص 96 .

[4]- نفسه ، ص 97 .

[5]- نفسه، نفس الصفحة .

[6]- نفسه، ص 97- 98 .

[7]- أبو زيد القيرواني، المصدر السابق، م **01**، ص 63 .

[8]- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 210 .

[9]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص 48- 49 .

[10]- أبو زيد القيرواني المصدر السابق، م **01**، ص 63 .

- أحمد بن طاهر بن علي أبو العباس الخزرجي المتوفى سنة (632هـ/1234م)[2].

- ابن دحية عمر بن الحسن بن علي المتوفى سنة (633هـ/1235م) ظاهري المذهب[3].

- ابن الرومية الشيخ الإمام الفقيه، الحافظ، الناقد، الطبيب، النباتي، الزهري، العشّاب، الحزمي، الظاهري، أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الاشبيلي الأموي، ولد سنة (561هـ/1165م)، من الفقهاء المتعصبين لمذهب ابن حزم بعدما كان مالكيا[4] بصيرا في الحديث ورجاله، توفي سنة (637هـ/1239م)[5].

- ابن سيد الناس الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس اليعمري الأندلسي الاشبيلي، ولد سنة (557هـ/1161م)، توفي بتونس سنة (659هـ/1260م)، كان ظاهريا على طريقة أبي العباس النباتي[6] .

- الفقيه قاضي القضاة بمراكش عند الموحدين عبد الله بن طاهر الصقلي الحسيني الظاهري المذكور سابقا، عيّنه الموحدون في منصب قاضي القضاة في دولتهم إلى أن توفي"[7] وأمروه أن يأمر القضاة بالمغرب أن يحكموا بمحصل الظاهرية، فامتثلوا أمرهم وصاروا لا يحكمون إلا بمحض الظاهرية، وجروا على ذلك السنن بطول أيامهم..."[8] .

---

[1] - أبو زيد القيرواني المصدر السابق، **م 01**، ص 63 .

[2] -المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[3] - نفسه، نفس الصفحة .

[4] - نفسه، نفس الصفحة .

[5] - الذهبي ، **سير**، المصدر السابق، **ج 23**، ص 58 – 59 .

[6] - محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله، **تذكرة الحفاظ**، عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، 1374هـ/1945م، **ج 04**، ص 1450- 1451 .

[7] - إسماعيل ابن الأحمر، المصدر السابق، ص 17 .

[8] - المصدر نفسه، ص 19 .

– أبو محمد عبد الكريم بن عبد الملك بن عبد الله بن طيب الأزدي المعروف بابن يبكي، من قلعة بني حماد صاحب الرابطة المعروفة برابطة ابن يبكي بداخل باب أمسيون ببجاية وبها قبره، كان مقربا عند الموحدين، ظاهري المذهب، جدّ خرجا عن القياس[1]

– أبو محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني، من أصحاب الشيخ أبو زكرياء الزواوي كان من المقربين لدى خليفة الموحدين بمراكش[2] .

أما بعد سقوط دولة الموحدين فبرز فقهاء منهم:

– الفقيه أثير الدين أبو حيان النحوي، وأحمد بن صابر القيسي الشاعر، كان كاتبا للأمير أبي سعيد فرج بن محمد نصر أول سلاطين بني الأحمر[3].

– ابن رشد محمد بن عمر أبو عبد الله السبتي المتوفى سنة (721هـ/1321مـ)، كان شديد الميل لمذهب داود[4].

– أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف النفزي المتوفى سنة (745هـ/1344مـ)، كان شديد الميل للمذهب الظاهري[5].

وفي الفترة الحديثة بداية من القرن الحادي عشر للهجرة (17مـ) حتى القرن الرابع عشر الهجري (20مـ) برز فقهاء انتسبوا للمذهب الظاهري منهم:

– أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي الفهري، وابن أخيه أبو حامد محمد العربي بن يوسف الفاسي الفهري، وأبو علي حسن بن مسعود اليوسي، من أهل القرن الحادي عشر للهجرة (17مـ)[6].

---

[1]– الغبريني أبو العباس أحمد بن عبد الله ت (714هـ/1314مـ)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر للتوزيع والنشر، ط 01، 2007مـ، ص 13 .

[2]– الغبريني، المصدر السابق، 115 .

[3]– صدّيقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 164 .

[4]– أبو زيد القيرواني، المصدر السابق، **م 01**، ص 63 .

[5]– المصدر نفسه، ص 64 .

[6]– الشريف محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الحسيني، **معجم فقه ابن حزم الظاهري**، إخراج واعتناء حفيد المؤلف الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2009 مـ،**ج 01**، ص 05 .

– أبو عبد الله محمد المسناوي الدلائي، وأبو عبد الله محمد بن المبارك اللمطي، وأبو العلاء إدريس العراقي الحسيني، من أهل القرن الثاني عشر للهجرة (18مـــ)[1].

– أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر الفاسي الفهري، وحمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي المرداسي، ومحمد بن عمرو الزروالي، والطيب بن عبد المجيد بن كيران، من أهل القرن الثالث عشر للهجرة (19مـــ)[2].

– أبو سالم عبد الله بن إدريس السنوسي، ومحمد بن عبد السلام السائح، ومحمد إبراهيم بن أحمد الكتاني إمام الدراسات الظاهرية وقته، ومحمد الناصر لدين الله بن محمد الزمزمي الكتاني، وعبد الحي بن محمد بن الصديق الغماري، ومحمد الزمزمي بن محمد بن صديق الغماري، ومحمد بن عبد الرحمن النتيفي، الإمام محمد المنتصر بالله الكتاني صاحب كتاب "**معجم فقه ابن حزم**"[3]، من أهل القرن الرابع عشر للهجرة (20مـــ) .

هذه نماذج من الفقهاء المغاربة الذين انتسبوا للمذهب الظاهري استطعت الحصول عليها من خلال بعض كتب التراجم، والجدول والرسم البياني أسفله يوضحان تطور عدد فقهاء المذهب خلال فترة حكم دولة الموحدين وما بعدها أي خلال الفترة الزمنية الممتدة ما بين (ق 06-14 هـــ / 12 – 20مـــ) :

– جدول رقم 02 يمثل تطور عدد فقهاء المذهب الظاهري بالمغرب الإسلامي ما بين القرن (06-14هـــ/12- 20 مـــ):

الفترة الزمنية	ق06هـ/ـــ12م	ق07هـ/ـــ13م	ق08هـ/ـــ14م	ق11هـ/17م	ق12هـ/18م	13هـ/ـــ19م	14هـ/ـــ20م
عدد الفقهاء	10	16	03	03	02	04	08

[1]– الشريف محمد المنتصر بالله، المرجع السابق،**ج 01**، ص 05 .

[2]– المرجع نفسه، نفس الصفحة .

[3]– نفسه، ص 07 .

- تحويل أرقام الجدول رقم 02 إلى رسم بياني:

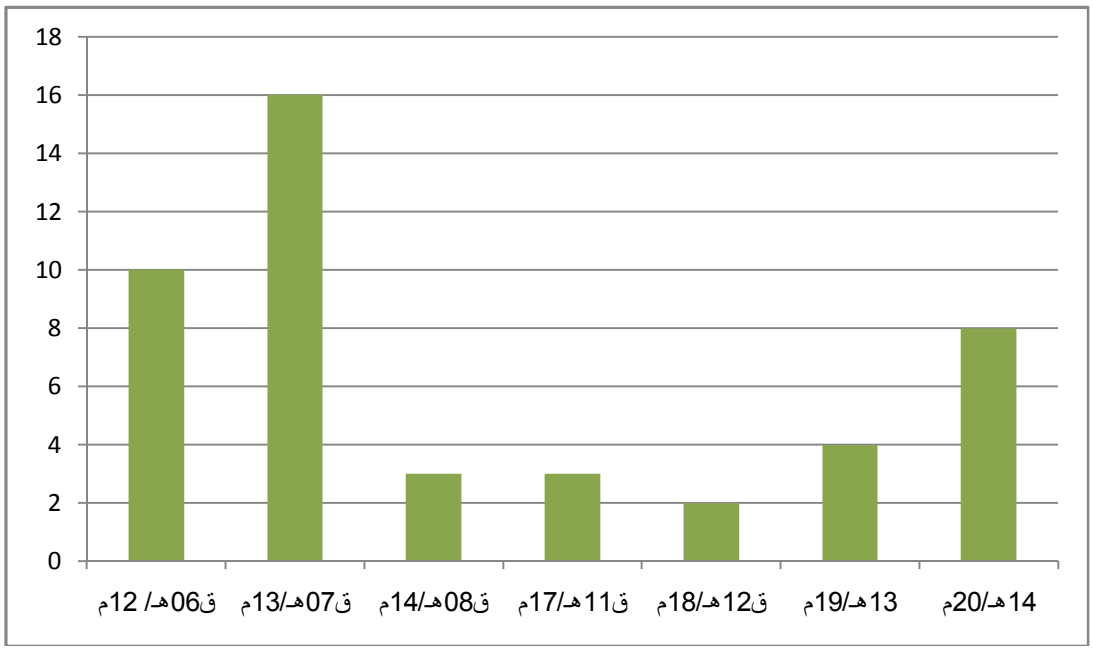

من خلال الجدول والرسم البياني أعلاه يتضح لنا أن عدد فقهاء المذهب الظاهري وصل أقصاه خلال القرنين السادس والسابع هجريين (13/12 مـــ) حيث بلغ عشرة فقهاء وستة عشر فقيهاً على التوالي، ذلك راجع إلى أنّ خلال هذه الفترة تأسست دولة الموحدين التي تبنت المذهب الظاهري وجاهر حكامها به بداية من فترة حكم يعقوب المنصور ثم سار على نهجه بقية الأمراء فكثر المنتسبون للمذهب، أما باقي الفترات الزمنية فقد تراجع خلالها عدد الفقهاء، ففي القرن الثامن للهجرة (14مـــ) بلغ عددهم فقيهين فقط، حيث سقطت دولة الموحدين وخلفتها دول تبنت المذهب المالكي مذهبًا رسميًا لها (الحفصيين، الزيانيين، المرينيين)، فمن الطبيعي أن يتراجع عدد المنتسبين للمذهب، لكن رغم ذلك إلاّ أنّ فقهاء المذهب استمروا في التواجد فخلال القرن الرابع عشر هجري (20مـــ) سجلت ثمانية فقهاء، إذ أن الفكر أهل المغرب تأثروا كثيرا بأفكار ابن حزم، ولو ألقينا نظرة على كتب التراجم المتأخرة لدلتنا على وفقهاء ظاهريين برزوا في كل عصر ومصر، وهذا دليل على أن المذهب الظاهري لا يمكن تصنيفه ضمن المذاهب الفقهية السُنّية المندرسة.

عموما المذهب الظاهري لم يلقى المكانة والحظوة التي كانت للمذهب المالكي في بلاد المغرب إلا في حالتين، الأولى أيام ابن حزم والثانية أيام دولة الموحدين .

فالسلطة السياسية إذا ما تبنت أي مذهب فقهي فحتما سيكتب له النجاح، وقد أجاب ابن حزم على سؤال وجه له في هذا الباب عن عدم انتشار مذهبه فقال: " مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: مذهب أبو حنيفة، فإنه لما ولي قضاء القضاة أبو يوسف كانت القضاة من قبله، فكان لا يولي قضاء البلاد من أقصى المشرق إلى أقصى المغرب، إلا أصحابه والمنتمين إلى مذهبه، ومذهب أنس بن مالك عندنا، فإن يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان، مقبول القول في القضاة، فكان لا يولي قاض في أقطارنا إلا بمشورته واختياره، ولا يشير إلا بأصحابه ومن كان على مذهبه، والناس سِراع إلى الدنيا والرياسة فأقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم به...وكذلك جرى الأمر في افريقية لمّا ولي القضاء بها سحنون بن سعيد ثم نشأ الناس على ما انتشر"[1] .

لكن إذ ما قارنا بين نشاط المذهب الظاهري في المشرق والمغرب الإسلامي لوجدنا أن نشاطه وحيويته كان أكثر ببلاد المغرب، فعدد الفقهاء المغاربة أضعاف عدد الفقهاء المشارقة كما هو موضح في الجدول والرسم البياني أسفله، والحديث قياس على مؤلفاتهم في المنطقتين كما سأوضح ذلك لاحقا

– جدول رقم 03: يوضح عدد فقهاء المذهب الظاهري بالمشرق والمغرب الإسلاميين:

عدد فقهاء المذهب الظاهري ببلاد المشرق	عدد فقهاء المذهب الظاهري ببلاد المغرب
23	78

– تحويل أرقام الجدول رقم 03 إلى رسم بياني:

[1] – الحميدي، المصدر السابق، **ج 09**، ص 567- 568.

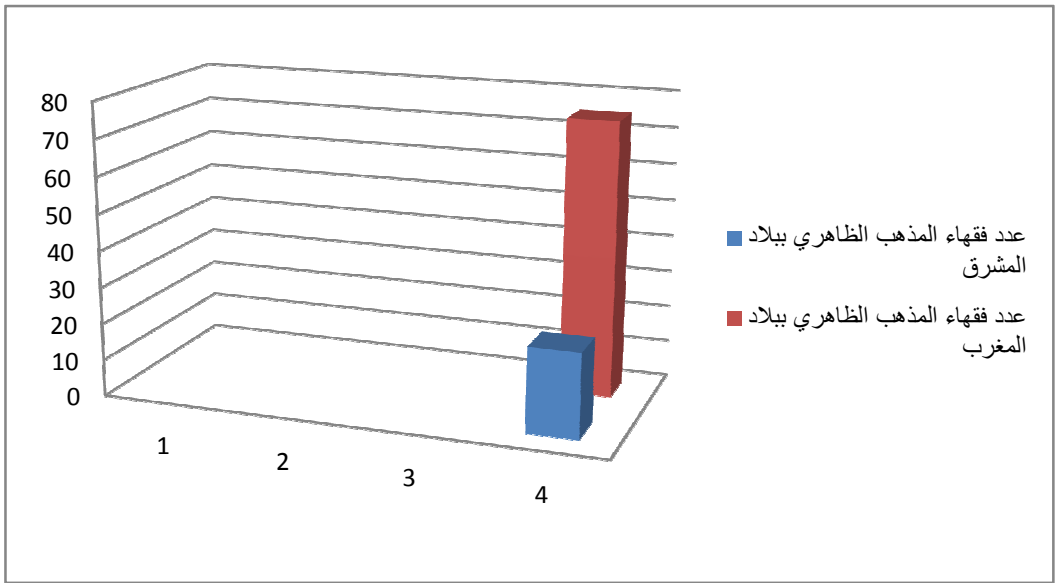

إنّ المناظرات الفقهية والعلمية التي خاضها ابن حزم الأندلسي كان لها دورا كبيرا في انتشار المذهب الظاهري وتثبيته في بلاد المغرب، من دون أن ننسى دور الموحدين في ذلك حيث تبنوه مذهبا رسميا لدولتهم وسعوا في خدمته والتمكين له في المنطقة .

الفصل الثالث: دور المذهب الظاهري سياسياً .

01- المناصب التي تقلدها فقهاء المذهب .

02- الخلافات المذهبية وانعكاساتها على الوضع السياسي للمنطقة .

برز دور المذهب الظاهري في مختلف مجالات الحياة بفضل جهود وتأثيرات فقهائه، في مقدمة تلك الجوانب الجانب السياسي، فالعلاقة توطدت بين الفقيه والسلطان وزادت الثقة بينهما، ما جعل السلطة السياسية تُقْبِلْ على تعيينهم في مناصب ذات أهمية كالقضاء، والوزارة، والخطابة من جهة، ومن جهة أخرى رَفْضُ المالكية للمذهب ودولة الموحدين التي تبنته مذهباً رسمياً لها نتج عنه اندلاع ثورات ضدها وضد أصول مذهبها الفقهي .

خلال هذا الفصل سأحلل دور المذهب في المجال السياسي من خلال تولي فقهائه مختلف المناصب التي لها علاقة مباشرة بالسلطان وانعكاسات رفض أصوله من قبل المالكية على الوضع السياسي في بلاد المغرب .

01- المناصب التي تقلدها فقهاء المذهب:

حظي أهل العلم بالتقدير في الإسلام، حيث رفع من شأنهم وبيّن الفرق بينهم وبين عامة الناس قال تعالى:" **أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩** "[1]،وقوله أيضًا:" **وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ ۝٢٨**"[2].

وقال الرسول صلى الله عليه وسلم في شأنهم: "**فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورّثوا العلم ومن أخذ به أخذ بحظ وافر**"[3] .

كما مجّد علي بن أبي طالب رضي الله عنه أهل العلم في ديوانه بقصيدة شعرية من البحر البسيط مطلعها:

مَا اَلْفَخْرُ إِلَا لِأَهْـــلِ اَلْعِلْـمِ إِنَّهُـمْ * عَـلَـى اَلْهُدَى لِمَـنْ اِسْـتَـهْـدَى أَدِلاَءُ**

---

[1]- سورة الزمر، الآية رقم: 09.

[2]- سورة فاطر، الآية رقم : 28 .

[3]- المقدسي أحمد بن عبد الرحمان بن قدامه (651هـ/689هـ)، **مختصر منهاج القاصدين**، اعتنى به وعلق عليه عبد المنعم شلبي وحسين الزهران، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2004مـ، ص17.

وَقَدَرُ كُـلِ امْـرِئٍ مَـا كَانَ يُحْسِنُهُ * وَاَلْـجَـاهِـلُـوْنَ لِأَهْـلِ اَلْعِلْـمِ أَعْدَاْءُ**
فَفُزْ بِعِلْـمٍ تَعِشْ حَيًّـا بِـهِ أَبَـدًا * اَلْنَـاسُ مَوْتَـى وَأَهْـلُ اَلْعِـلْـمِ أَحْـيَاءُ**[1]

وذكر ابن مرزوق في مسنده بيتين شعريين من البحر البسيط مجّدهم فيها قائلاً :

وَاَلْعِلْمُ يُحْيِي قُـلُـوْبَ اَلْمُؤْمِـنِيْـنَ كَمَـا * تَـحْيَى اَلْبِلَادُ إِذَاْ مَسَّهَاْ اَلْمَطَـرُ**
والعلم يجـْلُـوْ اَلْعَمَـى عَنْ قَلْبِ صَاحِـبِهِ ** كَمَاْ يَجْلِيْ سَوَاْدُ اَلْظُلُمَـةِ لْقَمَرُ[2]

إذن إنّ الإسلام قد اعتنى بالعلم وأهله فرفع من شأنهم لما لهم من تأثير على المجتمعات، فهم بمثابة مرشدين وموجهين، لذلك لا نستغرب اهتمام السلطان بهم عن طريق تقريبهم فتبوؤوا مواقع مهمة في الدولة الإسلامية حتى تضمن موالاتهم أو على الأقل حيادهم.

إنّ ما يهمني في دراستي دور فقهاء المذهب الظاهري في المجال السياسي من خلال علاقتهم بالسلطة الحاكمة ومكانتهم عندها بالمغرب الإسلامي.

فعلاً كان لفقهاء المذهب مكانة جد متميزة عند السلطة السياسية في بلاد المغرب، حيث قرّبتهم وعيّنتهم في مختلف المناصب التي تخدم استقرار الدولة فعينوا كقضاة[3]، ووزراء، وخطباء، وسفراء .

---

[1]- علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم الله وجهه، **ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب**، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ط 01، 1409هـ/1988مـ، ص 07 . - الحاج محمد بن رمضان شاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 مـ ، ص 414 .

[2]- ابن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981مـ، ص 258 .

[3]- لغة لفظ **قضاء** يأتي على أنحاء مردّها إلى انقطاع الشيء وتمامه يقال:" قضى الحاكم" إذا فصل في الحكم، و" قضى دينه" أي قطع ما لغريمه قبله بالأداء، و "قضيت الشيء" أحكمت عمله"، أما اصطلاحا فوردت عدة مفاهيم اخترنا منها التعاريف التالية: قال النباهي: "خطة القضاء في نفسها عند الكافة من أسنا الخطط، فإنّ الله تعالى قد رفع درجة الحكام، وجعل إليهم تصريف أمور الأنام، يحكمون في الدماء والأبضاع والأموال، والحلال والحرام. وتلك خطّة الأنبياء ومن بعدهم الخلفاء: فلا شرف في الدنيا بعد الخلافة أشرف من القضاء..." ينظر(النباهي أبو الحسن، المصدر السابق، ص 02 .) وقال يونس بحري: " القضاء علم يبحث فيه آداب القضاة وقضاياهم وفصل الخصومات ونحو ذلك" . / (يونس بحري، **الفقه المالكي في عصر الموحدين (515-668هـ/1116-1269مـ) دراسة تاريخية واجتماعية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف الدكتور صالح بن قربة، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللّغة والحضارة، جامعة الجزائر 01، 1433هـ/ 2012مـ، ص 76 .

فأهل المغرب اهتموا كثيرا بالقضاء باعتباره وسيلة مهمة لتحقيق العدالة الاجتماعية مطلب الجميع لأجل ذلك رفع الإسلام من شأن القضاة في قوله تعالى:" **إِنَّآ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِتَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُۚ وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا ١٠٥**"[1].

فلا عجب أن يتبوأ من شغل هذا المنصب أسمى المراتب في المجتمع الإسلامي ما دام المولى تعالى قد بيّن منزلتهم في ذكره الحكيم. إنّ القاضي في الأندلس احتل مكانة بارزة حتى صار هذا اللقب يطلق على البعض تشريفا لهم، فوجدت بعض الشخصيات اتخذت هذا اللّقب رغم أنها لم تمتهن هذه المهنة أبدا كأحمد بن محمد القيسي المتوفى سنة (345هـ/ 956م) لقّب بالقاضي لوقاره وورعه[2].

إنّ القضاة في الأندلس كانوا على مراتب ودرجات فقاضي القرى أطلق عليه لقب مسدّد، وفي قرطبة اتخذ اسم قاضي الجند أو العسكر في عهد الولاة، أما أيام الأمويون فشاع لقب قاضي الجماعة بدل قاضي الجند ويعد يحى بن يزيد"[3] أوّل من حمل هذا اللّقب، ثم حل محل لقب قاضي الجماعة لقب قاضي القضاة في عهد الحاجب عبد الرحمن بن المنصور الشهير بشنجول، أما الذي أشرف على القضاء في الكور حمل لقب الكورة التي ينتمي إليها[4]، قال صاحب تاريخ قضاة الأندلس:" ...إضافة لفظ قضاء إلى الجماعة، جرى التزامه بالأندلس منذ سنين إلى هذا العهد...وأما قاضي الخلافة بالبلاد المشرقية فيدعى بقاضي القضاة...لما دخل عبد الرحمن بن معاوية قرطبة، وقام بالإمامة، ألفى فيها يحى بن يزيد

---

[1]- سورة النساء، الآية رقم : 105 .

[2]- سالم بن عبد الله الخلف، **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، ط 01، 2003م، **ج 02**، ص 620 – 621 .

[3]- يحى بن يزيد التجيبي، ولاّه القضاء بالأندلس عمر بن عبد العزيز، كان رجلاً صالحاً، علّم الناس ما يلزم القاضي من الحساب وما يجب عليه التحري لإصابة الحق، والاجتهاد لخليص نفسه. ينظر: النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي، **تاريخ قضاة الأندلس وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 05، 1403هـ/ 1983م، ص 43 .

[4]- سالم بن عبد الله الخلف، المرجع السابق، ص- ص 621/ 625 .

قاضيا، فأثبته على القضاء...وكان يقال له وللقضاة قبله بقرطبة قاضي الجند...وقال: وإن تسمية القاضي اليوم بقاضي الجماعة اسم محدث لم يكن في القديم"[1].

يظهر من خلال نص النباهي أنّ منصب قاضي الجماعة لم يكن معروفا بالمغرب الإسلامي إلا بعد دخول عبد الرحمن بن معاوية[2] الأندلس، فأضيف للقضاء لفظ "جماعة" وبه استحدث منصب قاضي الجماعة[3] .

إنّ الخطط المخول للقاضي النظر فيها فهي ستة:" أولها القضاء، وأجّله قضاء قاضي الجماعة، والشرطة الوسطى، والشرطة الصغرى، وصاحب مظالم، وصاحب ردّ...وصاحب مدينة، وصاحب سوق..."[4]، أما الأحكام التي ينظر فيها فهي عشرة " قطع التشاجر والخصام بين المتنازعين...استيفاء الحق لمن طلبه، وتوصيله إلى يده...إلزام الولاية للسفاء والمجانين...النظر في الأحباس...تنفيذ الوصايا على شروط الموصي إذا وافقت الشرع...تزوّج الأيامى من الأكفاء...إقامة الحدود...النظر في المصالح العامة من كف التعدّي في الطرقات...تصفّى الشهود، وتفقد الأمناء...وجوه التسوية في الحكم بين القوي والضعيف..."[5] .

---

[1]- النباهي أبو الحسن المصدر السابق، ص 21 .

[2]- ابن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمير الأندلس وسلطانها، أبو مطّرف الأموي، المرواني المشهور بالداخل، لأن حين انقرضت خلافة بني أمية من الدنيا، وقتل مروان الحمار، وقامت دولة بني العباس، هرب هذا من مصر سنة 132هـ/749مـ، فنجا ودخل برقة، ثم المغرب فالأندلس فتملكها، مولده بتدمر سنة 113هـ/731مـ، توفي سنة 172هـ/788مـ. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، **ج 08**، ص – ص 144/ 253 .

[3]- ويظهر من النصوص التي قدّمتها لنا المصادر أن منصب قاضي الجماعة كان من المناصب الخطيرة، يتعرض صاحبه لعدة ضغوطات تتماشى مع التطورات السياسية وتغيير مزاج السلاطين. ينظر: محمد فتحة، **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 06 إلى 09 هـ/ 12 – 15 مـ)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء، 1999مـ، ص 33.

[4]- النباهي أبو الحسن، المصدر السابق، ص 05 .

[5]- النباهي أبو الحسن، المصدر السابق، ص 05 – 06 .

وإذ ما أمعنا النظر في تاريخ قضاة المذهب الظاهري من خلال النصوص المصدرية وجدنا أنّهم طبّقوا تلك الأحكام تطبيقا كاملاً. إذن كيف خدم فقهاء المذهب الظاهري السياسة من خلال منصب القضاء ؟

للعلماء والفقهاء واجب سياسي لا يخرج عن الإطار الإنساني خاصةً فيما اصطلح عليه بين العلماء "**بالسياسة الشرعية**"[1] وهي فقه المعاملات المتعلق بأفعال المكلفين[2]، فالعلماء صُخّرَوا لأداء مجموعة من الواجبات التي تدخل ضمنها (السياسة الشرعية) وفي مقدمتها القضاء، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فحال الأمة والمجتمع لا يستقيم إلا إذا قام من الأمة من ينوب عن الآخرين في تحقيق هذا الأصل – العدل– .

إنّ السلطان– الحاكم– في بلاد المغرب كان يشرف بنفسه على القضاء في دولته، ففي عصر الولاة أشرف الوالي بنفسه على أمور القضاء حيث لم يُفْصَلْ بين المنصبين (الولاية والقضاء) حتى ولاية عقبة بن الحجاج السلولي الذي عيّن مهدي بن مسلم قاضيا في قرطبة[3] لما توسعت حدود دولة الإسلام في بلاد المغرب فلم يعد الحاكم قادرا على الجمع بين السلطتين.

ضف إلى ذلك أن العالِم له مهام ومسؤوليات لا بد أن يتحملها قبل السلطان منها إحلال الحق وإبطال الباطل بإصدار أحكام عادلة ترفع بها المظالم، فعلى عاتق الفقهاء والعلماء تلقى مسؤولية تذكير السلطة السياسية بضرورة إقامة العدل بين العامة كشرط للبقاء والاستمرار، فالظلم مبشر بزوال الدول والأمم، وفي هذا الباب خصّص العلامة ابن خلدون فصلا خاصا في مقدمته سمّاه: **"الظلم مؤذن بخراب العمران والدول"** شرح دور عدم إقامة العدل في زوال الدول واندثارها فقال: "وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حقّ أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه. فجباة الأموال بغير

---

[1]- والسياسة الشرعية كما عرّفها البعض:" فعل شيء من الحاكم لمصلحة يراها وإن لم يرد بذلك الفعل دليل جزئي، ينظر: ابن نجيم الحنفي، **البحر الرائق شرح كنز الدقائق في فروع الحنفية**، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه:الشيخ زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ/1997م، ط 01، **ج 05**، ص 18 .

[2]- ابن نجيم الحنفي، المصدر السابق، ص 18 .

[3]- سالم بن عبد الله الخلف، المرجع السابق، ص 621 .

حقّها ظلمة، والمعتدون عليها ظلمة، والمنتهبون لها ظلمة، والمانعون لحقوق الناس ظلمة، وغصاب الأملاك على العموم ظلمة، ووبال ذلك كلّه عائد على الدولة بخراب العمران الذي هو مادتها...واعلم أن هذه الحكمة المقصودة للشارع في تحريم الظلم..."[1].

من خلال نص ابن خلدون يتضح أن السلطة السياسية مسئولة على إقامة العدل لما له من مزايا إيجابية على المجتمع والدولة، فالسهر على إحلاله يجلب الأمن والاستقرار، ولنا في قصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه مع رسول كسرى الفرس عبرة حين قدم إلى المدينة وسأل عن قصر عمر رضي الله عنه، أو حصنه فدلوه على بيته، فلما رأى أنه متواضع بل أدنى من بيوت الفقراء، ولباسه بسيط، وهو نائم تحت شجرة، قال مقولته الشهيرة:" **حكمت فعدلت فأمنت فنمت يا عمر** "، وهذا مثال واحد عن عدله رضي الله عنه شهدت به الأعداء قبل المقربين، فبالعدل تزدهر الأمم وتستمر .

إن هذه الصفة – العدل- لمسناها في فقهاء المذهب الظاهري الذين تمّ تعيينهم في منصب القضاء الذي له علاقة بالسلطان من جهة والمجتمع من جهة أخرى .

لقد برز فقهاء المذهب الظاهري في هذا المجال – القضاء- بحيث كانت لهم علاقة جيدة مع السلطة السياسية التي عيّنتهم في منصب قاضي الجماعة فنجحوا فيه بإصدارهم أحكام عادلة ساهمت في استقرار الدولة اجتماعيا وسياسيا، فلم يخافوا في الله لومة لائم حتى وإن كان ذلك مع الحاكم نفسه .

يعتبر الفقيه الظاهري منذر بن سعيد البلوطي أول من اتخذ لقب قاضي القضاة في بلاد المغرب[2] حين عيّنه الخليفة الناصر قاضي الجماعة بقرطبة سنة (339هـ/950مـ) واستمر في هذا المنصب ستة عشرة سنة كاملة لم يحفظ عليه فيها جور في أي قضية[3] .

إنّ قاضي الجماعة منذر عُرِفَ عنه العدل في أحكامه فكيف لا وقد نسبت له أقوال غاية في الروعة عن العدل منها قوله:" اعلم أن العدالة من أشد الأشياء تفاوتا وتباينا، ومتى حصّلت ذلك عرفت حالة الشهود، لأن بين عدالة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم

---

[1]- ابن خلدون، **مقدمة**، المصدر السابق، ص 273 – 274 .

[2]- سالم بن عبد الله الخلف، المرجع السابق، ص 624 .

[3]- المقري شهاب الدين التلمساني، **أزهار الرياض**، المصدر السابق، **ج 02**، ص 495 .

وعدالة التابعين رضي الله عنهم فوتا عظيما، وتباينًا شديدا، وبين عدالة زماننا وعدالة أولئك مثل ما بين السماء والأرض..."[1]، ونظرا لعدم اتساع المجال لذكر النص كاملاّ فضلت تخصيص ملحق خاص به .

للإشارة قبل أن يتولى منذر منصب قاضي الجماعة بقرطبة كان قاضيا عاديا لعدة كور منها: ماردة وما ولاها من مدن الجوف، والثغور الشرقية[2].

هذا القاضي وغيره من فقهاء المذهب الظاهري أدّوا مهمتهم بكل مسؤولية، فحتى الخليفة الناصر لم يناقش منذر في إصدار حكم حول قضية كان هو طرف فيها حين أراد شراء دار أيتام كانوا تحت وصاية القاضي فلم تباع إلا بعد مشاورة القاضي منذر وسماع رأيه فيها، فأمر بهدم الدار لتباع بأضعاف ما كان سيدفعه الخليفة فيها، ولما سأله الناصر عن موقفه هذا ردّ عليه بآية من الذكر الحكيم، قال تعالى:"أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِي ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا"[3]، فما كان من الخليفة إلا أن استحسن عمله هذا[4] .

إضافة إلى منذر بن سعيد برز فقهاء آخرون عيّنوا في منصب قاضي القضاة أدّوا مهامهم على أتم وجه خدمة للنظام السياسي من جهة والمجتمع من جهة أخرى أذكر منهم القاضي عبد الله بن طاهر الصقلي الحسيني[5] كان مقربا عند الموحدون فعيّنوه في منصب قاضي الجماعة وأمروه أن يأمر قضاة المغرب أن يحكموا بأصول المذهب الظاهري فكان لهم ذلك حيث أصبحت الفتاوى والأحكام الشرعية تجري وفق الفقه الظاهري طوال أيام دولة

---

[1]- المقري، المصدر السابق، ص 296 .

[2]- ابن الفرضي، المصدر السابق، **ج 02**، ص 142 – 143 .

[3]- سورة الكهف ، الآية رقم: 79 .

[4]- سالم بن عبد الله الخلف، المرجع السابق، ص 634، نقلا عن كتاب **فرحة الأنفس في تاريخ الأندلس** لأبي عبد الله محمد الكاتب الوزير بن غالب االبلنسي (767هـ/1365م) تحقيق لطفي عبد البديع، (تعذر الحصول على الكتاب علما أنه مطبوع بالقاهرة في مطبعة مصر .

[5]- طاهر بن الحسين بن واهب المدعو بالصقلي ابن أحمد بن محمد بن طاهر بن الحسين بن علي بن موسا الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن أمير المؤمنين الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب. ينظر: إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص 16 .

بني عبد المؤمن [1]، هذا القاضي كان كفؤا في منصبه تذكر المصادر أنه كان صالحا خيرا ناسكا[2] .

واشتهر منهم أيام الموحدين في منصب القضاء الفقيه القاضي عيسى بن الملجوم، تولى قضاء مدينة فاس إلى أن توفي سنة (543هـ/1051مـ)، والقاضي أحمد بن عبد الرحمن اللخمي، تولى قضاء مدينة فاس ثم انتقل إلى مراكش إلى أن توفي سنة (592هـ/1195مـ)[3]، والقاضي علي بن عبد الله بن الخطاب من أهل اشبيلية يكنى أبا الحسن، ناب في أحكام القضاء باشبيلية فحمدت حالته وكان من الفضلاء توفي سنة (600هـ/1203مـ)[4]، والفقيه القاضي عبد الله بن سليمان بن داود بن عبد الرحمن الأنصاري الأندي القاضي يكنى بأبي محمد، ولد سنة (548هـ/1153مـ)[5] أصله من أندة بشرق الأندلس، مال إلى المذهب الظاهري[6]، عظمه ملوك الموحدين واعتنوا به عناية شديدة [7]، فعيّنوه قاضيا على اشبيلية، وقرطبة، ومرسية، وسبتة، وسلا، وميورقة[8]، توفي توفي بغرناطة سنة (612هـ/1215مـ)[9]، وقاضي الجماعة محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني الذي ولاّه المنصور الموحدي قضاء قضاته [10]، والقاضي أبو القاسم أحمد بن يزيد

---

[1]- إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص 19 .

[2]- المصدر نفسه، ص 17 .

[3]- علي محمود عبد اللطيف الجندي، **مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين**، رسالة دكتوراه، إشراف محمد عبد الوهاب فضل، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، 1425هـ/ 2004مـ، ص 332 .

[4]- ابن بشكوال ، المصدر السابق، **م 03**، ص 284 .

[5]- نفسه، نفس الصفحة .

[6]- نفسه، ص 96 .

[7]- نفسه، ص 97 .

[8]- نفسه، نفس الصفحة .

[9]- نفسه، ص 97- 98 .

[10]- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 207 – 208 .

بن بقي الأموي من أهل قرطبة، كنيته أبو القاسم، تولى قضاء مراكش ووزارتي المظالم والكتابة العليا، كما تولى قضاء قرطبة توفي سنة (625هـ/1227مـ)[1] .

إن عدالة هؤلاء القضاة في إصدار الأحكام حافظ على الاستقرار السياسي لبلاد المغرب، فالعدل أساس الملك والاستقرار والأمن، قال تعالى:"۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ [2] .

فإذا ساد العدل بين مختلف الطبقات (المؤمن، والكافر، والغني، والفقير، والقوي، والضعيف، والرئيس، والمرؤوس، والحاكم، والمحكوم) في مجتمع ما من دون شك سيسعد الجميع بنعمة الأمن والاستقرار، والتاريخ الإسلامي مليء بأمثلة كثيرة عن دوره في استقرار الجبهة الاجتماعية، فهذا أحد ولاة الخليفة عمر بن عبد العزيز[3] رضي الله عنه راسله طالبا طالبا منه المال الكثير ليبني به سورا حول عاصمة الولاية فقال له عمر بن عبد العزيز: ماذا تنفع الأسوار ؟ حصّنها بالعدل، ونقّ طرقها من الظلم، وبذلك نستنتج أنّ العدل أساس الأمن، والظلم وسيلة للهلاك .

إضافة إلى مهنة القضاء تولى فقهاء المذهب الظاهري مناصب أخرى تدخل ضمن السياسة الشرعية، وهي الحفاظ على المال العام " أي الأموال المخصصة للانتفاع المباشر لعامة الشعب كإنجاز الطرق، والأنهار، والمؤسسات العمومية، الحصون، السقايات، المساجد وغيرها"، التي يجب التصرف فيها دون إسراف ولا تبذير وتوجيهها في خدمة الصالح العام والتأكد من الالتزام بالتوجيهات التي وضعت لأجلها، فيتوجب على من عيّن للقيام بها أن

---

[1]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص 48- 49 .

[2]- سورة النساء، الآية رقم: 58 .

[3]- ابن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن كلاب، الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد، أمير المؤمنين أبو حفص، القرشي الأموي المدني ثم المصري، الخليفة الراشدي الزاهد الراشد، حدّث عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب، والسائب بن يزيد، وسهل بن سعد، وغيرهم كثر، جدّث عنه كثر منهم: الزّهري، وحميد الطويل، وعنبسة بن سعيد، توفي سنة 101هـ/719مـ. ينظر: الذهبي، المصدر السابق، **ج 05**، ص – ص 114- 148 .

يمنع تبذيرها، ويتأكد من وجهة تلك الأموال، وهذا ما تميّز به علماء الأمة، فلم يهابوا الحكام والخلفاء ولم يخافوا في الله لومة لائم، فذلك لا يتم إلا إذا قام به أشخاص مؤهلون لتأدية هذه الأمانة على أتم وجه .

لقد كان الفقيه الظاهري منذر بن سعيد البلوطي مثالاً يقتدى به في هذا، فالخليفة الناصر كان مبذرا للمال العام حيث صب اهتمامه بالمنشآت العمرانية (بنائه لمدينة الزهراء) فأنفق عليها الكثير من المال تخليدا لشخصه خلال فترة حكمه:" كان الناصر كلفا بعمارة الأرض، وإقامة معالمها، وانبساط أمرها، واستجلابها من أبعد بقاعها، وتخليد الآثار الدالة على قوة الملك وعزّة السلطان وعلوّ الهمّة، فأفضى به الإغراق في ذلك إلى أن ابتنى مدينة الزهراء البناء الشائع ذكره، الذائع خبره، المنتشر في الأرض أثره، واستفرغ وسعه، في تنميقها، وإتقان قصورها، وزخرفة مصانعها، وانهمك في ذلك حتى عطل شهود الجمعة بالمسجد الجامع الذي اتخذه ثلاث جمع متواليات..."[1] .

إقدام الخليفة الناصر على إسراف وتبذير المال العام في تشييد المنشآت المعمارية جعل القاضي منذر بن سعيد يعظه بالحكمة مخلصاً في ذلك لعمله الذي يدخل في إطار السياسة الشرعية "الحفاظ على المال العام" دون أن يهاب السلطان، فاغتنم خطبة صلاة الجمعة حيث كان يصلي الناصر فوجه كلاماً يقصده به ناصحاً ومذكراً إياه دون خوف ولا مهابة فابتدأ خطبته بقوله تعالى:" أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾[2]، ثم أضاف قائلاً : إنّ متاع الدنيا قليل، ثم أخذ ينتقد إسراف المال في إقامة العمران " ومضى في ذم تشييد البنيان، والاستغراق في زخرفته، والإسراف في الإنفاق عليه..." [3] .

إنّ خطبة القاضي منذر التي وجّهها خصيصا للخليفة الناصر انتقى ألفاظها ودعمها بآيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة كان لها تأثير في نفسية الحاكم وكل من حضر الخطبة

---

[1]- المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب**، المصدر السابق **م 01**، ص 570 .

[2]- سورة الشعراء، الآية رقم : 128 .

[3]- المقري أحمد بن محمد التلمساني، المصدر السابق، **م 01**، ص 570 – 571 .

بجامع الزهراء "...من حضره من الناس وخشعوا ورقّوا واعترفوا وبكوا...وأخذ خليفتهم من ذلك بأوفر حظ..."[1] .

إنّ الخليفة الناصر لما علم أنه المقصود بخطاب الفقيه منذر لم يجرأ على معاقبته بل ندم على سياسة الإسراف والتبذير على البناء "... فبكى وندم على ما سلف له من فرطه، واستعاذ بالله من سخطه..."[2]، وأكثر من ذلك ثبّته في منصبه لصلاحه الذي له انعكاس إيجابي على دولته ورعيته رغم اقتراح ابنه الحكم على عزله من منصبه بعدما اشتكى له الناصر شدة وقع خطبة منذر على نفسيته "...وقال له الحكم: فما الذي يمنعك من عزل منذر عن الصلاة بك والاستبدال بغيره منه إذا كرهته ؟..."[3]، هنا قام الناصر وعاتب ابنه على كلامه لورع وصدق منذر "...لا أمّ لك يعزل لإرضاء نفس ناكبة عن الرشد، سالكة غير القصد؟ هذا ما لا يكون، وإنّي لأستحي من الله أن لا أجعل بيني وبينه في صلاة الجمعة شفيعا مثل منذر في ورعه وصدقه...بل يصلي بالناس حياته وحياتنا إن شاء الله تعالى..."[4].

إذن لولا الدور الإيجابي الذي كان يلعبه الفقيه منذر بن سعيد كوسيط بين الحاكم والمحكوم وتأثيره على العامة ومساهمته في استقرار الجبهة الاجتماعية لما تأخر الخليفة الناصر في عزله من منصبه بعدما صدر عنه من كلام انتقد فيه سياسة السلطان .

إنّ النصوص قد حفظت لنا أخبار كثيرة لمنذر بن سعيد مع الخليفة الناصر الذي كان يفاخر العلماء والفقهاء بإنجازاته المعمارية التي استند في تشييدها على المال العام ولما عرضها على منذر لم يتأخر في إنكار إسراف المال في البناء وقصة قبة قصر الزهراء شاهدة على ذلك حيث أنفق على تشييدها وتنميقها مالا جمًا " ...أن الناصر كان اتخذ لسطح القبيبة المصغرة الاسم للخصوصية التي كانت مائلة على الصرح الممرد المشهور شأنه بقصر الزهراء قراميد

---

[1]- المقري أحمد بن محمد التلمساني، المصدر السابق، م **01**، ص 570 – 571 .

[2]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[3]- نفسه، نفس الصفحة .

[4]- نفسه، نفس الصفحة .

مغشاة ذهبًا وفضة أنفق عليها مالا جسيما وقرمد سقفها به، وجعل سقفها صفراء فاقع، إلى بيضاء ناصعة تستلب الأبصار بأشعة نورها..." [1] .

لما انتهى الناصر من تشييد القبة عرضها على الوزراء والخدم مفتخرا بصنيعه عليهم ومبينا عظيم ملكه وسلطانه قائلاً:" ...لقرابته ومن حضر من الوزراء وأهل الخدمة مفتخرا عليهم بما صنعه من ذلك...هل سمعتم أو رأيتم ملكا كان قبلي فعل مثل هذا أو قدر عليه؟..." [2] .

إن هؤلاء الوزراء والخدم لم يجرؤوا على انتقاد الخليفة أو وعضه وتبيين الصواب له حتى يبتعد عن إسراف المال العام، فبناء المستشفيات، وإقامة السقايات، وتعبيد الطرق، وبناء الجامعات والمساجد أولى من القبة في إنفاق المال، بل كان ردّهم التهليل للخليفة بقولهم : " ...لا والله يا أمير المؤمنين، وإنّك أوحد في شأنك كلّه..." [3]، لكن لما دخل عليه الفقيه منذر وقال له مثل ما قال لوزرائه وخدمه عن صنع سقف القبة فبكى الفقيه وأخذ يعظ الناصر " والله يا أمير المؤمنين ما ظننت أن الشيطان لعنه الله بلغ منك هذا المبلغ، ولا أن تمكنه من قيادك هذا التمكين، مع ما آتاك الله من فضله ونعمته..." [4] .

لقد انفعل الخليفة في بداية الأمر من كلام منذر لكن الفقيه الظاهري كان ذكيا حين ذكر له قوله تعالى: "وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ [5]، فتأثر الناصر بهذا وشكره وطلب من الله أن يكثر في الأمة من أمثاله وأمر بنقض سقف القبة "...فوجم الخليفة، وأطرق مليًا ودموعه تتساقط خشوعًا لله تعالى، ثم أقبل على منذر وقال له: جازاك الله يا قاضي عنّا وعن نفسك خيرًا وعن الدين والمسلمين أجلّ جزائه، وكثر في الناس أمثالك، فالذي قلت هو

---

[1] – المقري ، المصدر السابق، **م 01**، ص 574 – الذهبي، **سير** ، المصدر السابق، **ج 16**، ص 177 .

[2] – المقري، المصدر نفسه، نفس الصفحة ./ الذهبي، المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[3] – المقري ، نفسه، نفس الصفحة / الذهبي، نفسه، نفس الصفحة .

[4] – المقري ، المصدر السابق، **م 01**، ص 574 – الذهبي، **سير** ، المصدر السابق، **ج 16**، ص 177 .

[5] – سورة الزخرف، الآية رقم :33 .

الحق، وقام عن مجلسه وهو يستغفر الله تعالى، وأمر بنقض سقف القبيبة، وأعاد قرمدها ترابا على صفة غيرها..."[1].

فمعروف عن منذر تمكنه في الوعظ مع تواضعه الشديد فحُكي عنه في أحد خطبه أنه قال:" حتى متى أعظ ولا أتعظ، وأزجر ولا أزدجر، أدل الطريق على المستدلين، وأبقى مقيما مع الحائرين؟ كلاّ إن هذا لهو البلاء المبين...اللّهم فرغني لما خلقتني له، ولا تشغلن بما تكفلت لي به، ولا تحرمني وأنا أسألك..."[2].

إضافة إلى هذا الدور – الحفاظ على المال العام– كان لفقهاء المذهب الظاهري أدوار سياسية أخرى تمثلت في إلقاء خطب سياسية خدمة للحاكم والسلطان، بيّنوا من خلالها عظمة ملك الحكام ببلاد المغرب الإسلامي، فقد حفظت لنا كتب التاريخ نصاً بيّنت فيه ذلك.

فمنذر بن سعيد لم يكن فقيها وواعظا بل إضافة إلى ذلك كان خطيبا بليغا، فإتقانه لفن الخطابة كان السبب الرئيس وراء معرفة الناصر له ذلك أن الخليفة نظّم حفلا على شرف رسول الروم أراد من خلاله أن يبين عظيم سلطانه وملكه أمام الضيوف، ومن الطبيعي أن يعين خطباء من مملكته خصيصا لأجل ذلك فاختار الفقيه محمد بن عبد البر الكسيباني، هذا الأخير عجز عن الكلام فتلعثم لسانه وأغشي عليه لكثرة الحاضرين، فقام مقامه أبو علي البغدادي إسماعيل بن القاسم القالي، ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق وأمير الكلام وبحر اللّغة هو الآخر عجز عن الكلام لهول المشهد من منبر الخطبة، هنا وقع الخليفة في حرج شديد لما حصل لأفضل خطبائه الذين عيّنهم لتبيين عظمة ملكه وسلطانه ولحسن حظه كان الفقيه منذر بن سعيد ضمن الحضور فقام من مكانه للخطابة وهو غير معني بها فصال وجال فأبهر الحضور بما فيهم الخليفة الناصر وكان ذلك سبب تقريبه وتعيينه في منصب القضاء[3] .

---

[1]– المقري أحمد بن محمد التلمساني، المصدر السابق، **م 01**، ص 574 – الذهبي، **سير** ، **ج 16**، ص 177 .

[2]– المقري أحمد بن محمد التلمساني، المصدر السابق، **م 01**، ص 21 .

[3]– ياقوت الحموي الرومي، **معجم الأدباء**، المصدر السابق، **ج 05**، ص 2717 – 2718 / المقري شهاب الدين التلمساني، **أزهار الرياض** ، المصدر السابق، **ج 02**، ص 272 – 273 .

في ثنايا الخطبة التي ألقاها منذر على شرف ضيوف الناصر نجح في ذكر عظيم سلطان الخليفة ودوره الكبير في توطيد أركان الخلافة "...فلما رأى ذلك منذر بن سعيد، وكان ممن حضر في زمرة الفقهاء قام من ذاته...فوصل افتتاح .... لأول خطبته بكلام عجيب وفصل مصيب...كأنما يحفظه قبل ذلك بمدة..."[1].

إنّ هذه الخطبة كان لها أثر كبير في شهرة الفقيه منذر بن سعيد، حيث خرج الناس بعد نهايتها منبهرين بشخصه وغزير علمه وفصاحة لسانه، كما كانت سببا في معرفة الخليفة الناصر به بعدما سأل عنه ابنه الحكم[2] .

إنّ الأعمال السياسة لمنذر لم تنحصر فقط في القضاء والفتوى والوعظ والخطابة بل تعدتها إلى عمل السفارة حيث عُيّن كسفير في شهر رمضان من سنة (328هـ/940مـ) من قبل الخليفة الناصر للسفر إلى العدوة المغربية لأجل الإصلاح والتوسط بين الزعيمين: الخير بن محمد بن خزر، ومدين بن موسى بن أبي العافية المكناسي لإيقاف الحرب بينهما ومنع سفك الدماء، فنفذ منذر لما ندب له وعالج الأمر برؤية فوفق في مهمته[3].

لم يكن لينجح فقهاء المذهب الظاهري في مهامهم المخولة لهم لولا الثقة التي منحتهم إياها السلطة السياسية، فقد عرف عنهم متانة العلاقة مع الحاكم بداية من القرن الرابع الهجري (10مـ) عصر منذر بن سعيد، وزادت متانتها أيام ابن حزم رغم فتورها في أواخر أيامه فاشتهر عنه مشايعة بني أمية فهي عنده بمثابة الخلافة التي خدمت الإسلام ونشرته في بقاع كثيرة من العالم[4]، فكان دائم السعي لإعادة إحيائها وما ذهابه للمرية عند خيران العامري شديد الميل لبني أمية، ثم توجهه إلى بلنسية لما ظهر الأمير عبد الرحمن بن محمد

---

[1]- ياقوت الحموي الرومي، المصدر السابق، **ج 05**، ص 2717 – 2718 - المقري شهاب الدين التلمساني، المصدر السابق، **ج 02**، ص 272 – 273 .

[2]- المقري، المصدر نفسه، ص 276 .

[3]- سالم بن عبد الله الخلف، المرجع السابق، ص 716 – 717 .

[4]- الطاهر بونابي،" **المعرفة التاريخية عند ابن حزم الأندلسي من خلال تأريخه للأديان السماوية (اليهودية والمسيحية أنموذجا"**، المواقف مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، ع 01، جانفي/ديسمبر 2007مـ، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر، ص 112 .

الأموي الملقب بالمرتضى إلا دليلا على ذلك[1]، ضف إلى ذلك أنه قد استوزر قبل انكبابه على العلم للأمير عبد الرحمن بن محمد الأموي، وعبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار، ولهشام بن المعتد بالله بن محمد بن عبد الرحمن الناصر الذي تولى الخلافة[2]، وهذا دور سياسي آخر لفقهاء المذهب الظاهري اعتلائهم منصب الوزارة .

إنّ ابن حزم وجد الدعم الكامل من قبل حاكم ميورقة أحمد بن رشيق[3] هذا الحاكم سهل على ابن حزم دخول المدينة ونشر أصول مذهبه بها كما قدّم له الدعم اللازم في مناظراته مع المالكية فسجن الفقيه المالكي أبو الوليد بن البارية الذي وقع في زلة خلال مناظرته لابن حزم[4] .

إذن لا نستغرب جهود ابن حزم المتتالية الرامية إلى إعادة إحياء الخلافة الأموية في بلاد المغرب التي كان وزيرا لها كما استوزر لها أباه من قبله، فكلما وجد فرصة سانحة لذلك إلا واستغلها وما كسبه لحاكم ميورقة أحمد بن رشيق إلا دليل واضح على ذلك لكن في الأخير فشل أمام ما عاشته الأندلس من تمزق سياسي أيام دول ملوك الطوائف .

بعيدا عن ابن حزم استطاع الفقيه الظاهري أبو رافع الفضل بن علي بن أحمد بن حزم تبوأ منصب الوزارة في الدولة العبادية حيث عين وزيرا للمعتمد بن عباد صاحب إشبيلية فكان من أفضل وزرائه، هذا من جهة ومن جهة أخرى كانت علاقته متينة مع أمراء الدولة حيث طلب منه تأليف كتاب تاريخي يمجد فيه نسب الأسرة العبادية وتاريخها السياسي فوضع في ذلك كتابا سماه " **الهادي إلى معرفة النسب العبادي**"[5].

---

[1]- محمود علي حماية، **ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان**، دار المعارف، كونيش النيل، القاهرة، ، ط 01، 1983مـــ، ص 51 .

[2]- محمود علي حماية، المرجع السابق، ص 52 .

[3]- أصله من مرسية مات بعد سنة (44هـــ/1048مـــ) عاش في قرطبة ودرس بها مختلف العلوم كالفقه، والأدب والحديث، شارك في الحياة السياسية، فعين واليا على ميورقة من قبل الأمير أبو الجيش مجاهد بن عبد الله العامري عرف باهتمامه الشديد لأهل العلم، ينظر: ابن الأبار أبي عبد الله (595-658هـــ/1199مـــ 1260مـــ)، **كتاب الحلة السيراء**، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، ط02، 1985مـــ، **ج 02**، ص 128 .

[4]- عبد المجيد تركي، المرجع السابق، ص 53 .

[5]- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 201.

إنّ الدور السياسي للمذهب الظاهري لم يقتصر على الفقهاء المعروفين والمشهورين فقط كمنذر بن سعيد وابن حزم بل وجدت أسماء أخرى ساهمت في خدمة الحياة السياسية في بلاد المغرب أمثال الفقيه أبو رافع الفضل .

بعيدا عن المناصب التي لها علاقة بالسلطان قدّم فقهاء المذهب الظاهري خدمة جليلة للحياة السياسة وما يتعلق بها عن طريق تأليف مجموعة من الكتب في مجال السياسة، فالفقيه الظاهري ابن حزم الأندلسي كتب حول الخلافة وشروطها كتبا غاية في الأهمية أذكر منها: "**كتاب مراقبة أحوال الإمام**" و "**كتاب الإمامة والسياسة في قسم السير الخلفاء ومراتبها**"، وهذا ليس بغريب عن شخص كابن حزم نشأ في حضن وكنف الخلافة .

إنّ ابن حزم في كتبه هذه تكلم كثيرا عن الخلافة والطريقة التي يجب أن يختار بها خليفة المسلمين، فقال أن اختيار الخليفة فرض وواجب على كل مسلم وإن لم يفعلوا فالكل مشتركون في الإثم، إضافة إلى هذا حدّد شروط اختيار الإمام منها أن يكون قرشيا، رجلا عاقلا فلا تكون امرأة، متحملا للأمانة التي عرضت على السماوات والأرض وحملها الإنسان، عالما بأمور الحكم، مظهرا للصلاح لا معلنا للفساد [1] .

أما طريقة انعقاد الخلافة فقد فحصرها في ثلاث أوجه هي:

01- أن يعهد الإمام قبل وفاته إلى واحد يختاره إماما من بعده وهذا ما فعله الصديق رضي الله عنه خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

02- إن لم يكن عهد بالإمامة لشخص ما يجب أن يبادر رجل يستحق المنصب فيدعوا لنفسه بين أتباعه الذين شايع وه وهذا ما حصل مع الخليفة الرابع علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

03- أن يجعل الخليفة الحي اختيار الخليفة الرجل يعهد إليه بالترشيح، أو رجال ثقات يرشحون من بينهم واحدا كما فعل الفاروق عمر رضي الله عنه، فقد ترك الأمر من بعده لستة رجال توفي الرسول صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض. فيقول في ذلك :" وليس عندنا في هذا الوجه إلا التسليم لما أجمع عليه المسلمون، ولا يجوز التردد في الاختيار أكثر من

[1] - محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 541 .

ثلاث ليالي لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد ثبت عنه أنه نهى عن البيات ليلتان من غير إمام"[1] .

لأجل ذلك كان من الطبيعي أن يحظى فقهاء وعلماء المذهب الظاهري باحترام الطبقة الحاكمة التي رأت فيهم الدعامة التي تستند عليها في حكمها وتستعين بهم في كسب الرأي العام، بحكم ما لهم من سيطرة على النفوس، وقد تجلى ذلك في إقدام الدولة الأموية، والدولة العبادية، ودولة الموحدين على جمع وتقريب فقهاء المذهب الظاهري من حولها، وتعيينهم في مناصب راقية تليق بمقامهم .

[1] – محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 542 .

02-الخلافات المذهبية وانعكاساتها على الوضع السياسي للمنطقة:

إنّ فقهاء المذهب الظاهري من خلال تَوَليهم مسؤولية بعض المناصب السامية في الدولة انعكس إيجابًا على بلاد المغرب، فالقضاة منهم عدلوا في أحكامهم فاطمأن العامة لذلك فنعمت البلاد بالأمن والأمان، بل وظهر من الفقهاء من قوّم السلطان إذا أخطأ مثل: منذر بن سعيد البلوطي الذي أعاب على الناصر تبذير المال العام بغية التباهي بأبهة الملك وعظيم صنيعه فقدّم له مواعظ جعلته ينفر من الصلاة وراءه .

لكن الدور الإيجابي الذي لعبه فقهاء المذهب من خلال توليهم تلك المناصب الراقية تغير أيام الموحدين والسبب لا يرجع للفقهاء وإنّما يرجع إلى المذهب نفسه الذي حمل في طياته معول فنائه من خلال أصوله التي رفضها فقهاء وأتباع المذاهب الفقهية الأخرى من جهة، وبسبب دولة الموحدين التي فرضته بالقوة على حساب المذهب المالكي من جهة أخرى، حيث امْتُحِنَ المالكية وأُحْرِقَتْ كتبهم، ما جعل هؤلاء وأتباعهم يثورون على الموحدين والظاهرية معاً بدافع الاختلاف المذهبي، فجل الحروب الداخلية التي اندلعت في بلاد الإسلام قديماً وحديثاً كانت بدافع مذهبي حسب ما ذهب إليه الباحث عبد المجيد نوري في دراسته الموسومة بـــ:"**الاختلافات المذهبية ودورها في تغذية النزاعات والحروب في التاريخ الإسلامي**" حيث قال: "يعتبر موضوع الفرق المذهبية ودورها في التطور التاريخي للأمة الإسلامية عمومًا. وما عرفته هذه الأمة في ضوء ذلك من نزاعات...ولا غرو أن دراسة الموضوع تساعد على رصد بعض الحروب والأزمات السياسية التي عاشتها الأمة الإسلامية وما تزال...سواء في الماضي...أو في وقتنا الراهن..."[1] .

إذن إضافة إلى الدور الإيجابي للمذهب الظاهري في المجال السياسي، فقد كان له دور سلبي في المجال نفسه، حيث أثّر على المنطقة بفعل اندلاع ثورات مناهضة لدولة الموحدين ومذهبها الفقهي الذي أدخل بلاد المغرب عامة مرحلة الحروب والفوضى الأمر الذي سهّل عملية الاسترداد المسيحي للأندلس والتحرشات الصليبية على ساحل البحر

[1]- عبد المجيد نوري، " **الاختلافات المذهبية ودورها في تغذية النزاعات والحروب في التاريخ الإسلامي**"، مجلة كان التاريخية، ع 31، السنة التاسعة، مارس 2016مـــ/جمادى الأولى 1437هـــ، ص 138 .

الرومي بعدما بدأ الضعف يدبّ في دولة بني عبد المؤمن بسبب اندلاع الثورات والحروب الداخلية ضدها، فكيف ساهم المذهب الظاهري في اندلاع تلك الثورات ؟

إنّ الدولة في أي زمان ومكان تعتمد في قيامها على ركيزتين، الأولى تتمثل في القوة التي عبر عنها ابن خلدون بالسيف، والثانية في القلم الذي يمثل العلماء والفقهاء، يقول ابن خلدون: "السيف والقلم كلاهما آلة لصاحب الدولة يستعين بهما على أمره، إلا أن الحاجة في أول الدولة إلى السيف ما دام أهلها في تمهيد أمرهم أشد من الحاجة من القلم لأن القلم في تلك الحالة خادم فقط منفذ للحكم السلطاني والسيف شريكه في المعونة...أما في وسط الدولة فيستغني صاحبها بعض الشيء عن السيف لأنه قد تمهد أمره...ولم يبق همه إلا في تحصيل ثمرة الملك والقلم هو المعين له..."[1] .

هذا ما قامت عليه دولة الموحدين، حيث متّنت قوتها العسكرية في بدايته أمرها، ثم استعانت بالعلماء والفقهاء فيما بعد لمكانتهم عند عامة الشعب وقدرتهم على التأثير فيه بتوجيهه حيث شاءوا .

إنّ حكام دولة الموحدين قرّبوا علماء وفقهاء المذهب الظاهري بل وتبنوا مذهبهم كمذهب رسمي لدولتهم الناشئة في إطار ما يسمى بالدعوة الدينية[2] التي زادت في قوة دولتهم، يقول ابن خلدون:"والسبب في ذلك أن الصبغة الدينية تذهب بالتنافس والتحاسد الذي في أهل العصبية وتفرد الوجهة إلى الحق...وهذا ما وقع للعرب صدر الإسلام في الفتوحات فكانت جيوش المسلمين بالقادسية واليرموك بضعا وثلاثين ألفا في كل معسكر، وجموع فارس مائة وعشرون ألف بالقادسية، وجموع هرقل على ما قاله الواقدي أربع مائة ألف فلم يقف للعرب أحد من الجانبين...واعتبر ذلك أيضا في دولة لمتونة ودولة الموحدين فقد كان بالمغرب من القبائل كثير ممن يقاومهم في العدد والعصبية إلاّ أن الاجتماع الديني

[1]- ابن خلدون، **مقدمة**، المصدر السابق، ص 246 .

[2]- المقصود بها الدعاية أي الدعوة إلى مذهب أو رأي بالكتابة أو بالخطابة ونحوهما، والذي يقوم بها يسمى بالداعية، أي الذي يدعوا إلى دين أو فكرة . ينظر: شوقي ضيف وآخرون، **المعجم الوسيط**، المرجع السابق، ص 287 .

ضاعف قوة عصبيتهم فلم يقف لهم شيء...واعتبر هذا في الموحدين مع زناتة. وكان للمصامدة[1] دعوة دينية بإتباع المهدي فلبسوا صبغتها وتضاعفت قوة عصبيتهم..."[2] .

معروف تاريخيًا أن دولة الموحدين ظاهرية المذهب كما أثبت ذلك سابقًا قامت على أنقاض دولة المرابطين السنية مالكية المذهب، وفي أيامها- المرابطين- نعم فقهاء المذهب المالكي بالجاه والقرب من السلطان وتولي مناصب حساسة راقية، هذا ما لم يتح لهم أيام الموحدين الذين قوّضوا أركان مذهبهم فتضرّر المالكية جراء ذلك كثيرا، ومن الطبيعي أنهم لن يسكتوا على هذا الأمر ليس بسبب المنصب أو القرب والبعد عن السلطان، بل حفاظاً على مبادئهم وأصول مذهبهم، فوجد كثير منهم من رفض المناصب التي عرضها عليهم الموحدون بل قابلوا ذلك بالثورة والانتفاضة ولي في ذلك أمثلة كثيرة سأوردها في حينها.

إنّ الحكام الأوائل في دولة الموحدين لم يجاهروا بالمذهب الظاهري حتى جاء أبي يوسف يعقوب[3] فجاهر به وتبناه مذهبا رسميا لدولته وسار على نهجه كل من جاء بعده، ولم يكتف هؤلاء بهذا بل عمدوا إلى خدمة المذهب الظاهري بكل الطرق المتاحة، وجلّها كانت على حساب المذهب المالكي، وفقهائه، وكتبه، فالمناصب السامية عيّنوا فيها فقهاء المذهب الظاهري، بعدما تولاها فقهاء المذهب المالكي أيام المرابطين، كما امْتُحِنَ المالكية أشد امتحان، وأحرقت كتب الفروع بما فيها المدونة، والأمثلة التالية توضح ذلك .

---

[1]- هم من ولد مصمود بن يونس، بربر فهم أكثر قبائل البربر وأوفرهم، من بطونهم: برغواطة، وغمارة، وأهل جبل درن، مواطنهم بالمغرب الأقصى منذ الأحقاب المتطاولة، وكان المتقدم فيهم قبيل الإسلام وصدره بلغواطة، برز منهم قادة للصفرية ، ومنهم طريف صاحب الديانة الذي ادعى النبوة، وعلى أكتافهم تأسست دولة الأدارسة، وفي المصامدة قامت دعوة الموحدين بزعامة قائدهم الروحي المهدي بن تومرت بجبال درن . ينظر: عبد الرحمن ابن خلدون، **كتاب العبر**، المصدر السابق، **ج 06**، ص – ص 275 – 305 .

[2]- ابن خلدون، المصدر السابق، ص 159 – 160 .

[3]- هو يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي، يكنى أبا يوسف، أمّه أم ولد رومية اسمها ساحر، بويع له في حياة أبيه، وكان سنّه يوم صار له الأمر اثنتين وثلاثين سنة، توفي سنة (595هـ/1198مـ)، وعمره ثماني وأربعين سنة. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 185 .

فعبد المؤمن بن علي ثاني خلفاء الموحدين دعا فقهاء المذهب المالكي إلى نبذ كتب الفروع[1] والرجوع إلى العمل بالكتاب والسنة، ولم يكتف بهذا بل عمد إلى إحراق تلك الكتب[2] .

أما المنصور فعمل جاهدًا من أجل القضاء على المذهب المالكي متبعًا في ذلك سياسة خاصة قامت على أساس: إحراق كتب الفروع "...وأمر بإحراق كتب المذهب بعدما يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن، ففعل ذلك فأحرق منها جملة في سائر البلاد، كمدّونة سحنون، وكتاب ابن يونس، ونوادر ابن أبي زيد ومختصره، وكتاب التهذيب للبراذعي، وواضحة ابن حبيب، وما جانس هذه الكتب ونحا نحوها..."[3] .

لقد وضّحت لنا النصوص سبب إقدام حكام الموحدين على حرق المدونة وبقية كتب المذهب المالكي، يقول ابن الأحمر: "وسبب إحراق المدونة أن ملوك الموحدين تحلوا بالمذهب المعروف لهم تابعين للمهدي رئيسهم الأول القائل باعتقاده الفاسد بإنكار الرأي في الفروع الفقهية والعمل على محض الظاهرية..."[4] .

هذا وقد امتحن الموحدون فقهاء المذهب المالكي، أمثال: الفقيه ابن زرقون صاحب كتاب " **تهذيب المسالك إلى تحصيل مذهب مالك**"، الذي ألّف أيضًا كتاباً في الرد على ابن حزم سماه: "**المعلى في الرد على المحلى**" فأحرقت مكتبته التي ورثها عن أبيه الفقيه أبي الحسن بن زرقون[5]، عقابا له بعدما طعن في ابن حزم من خلال مؤلفه الأخير، فابن حزم عند خلفاء الموحدين بمثابة الثوابت والمقدسات التي يمنع المساس بها.

---

[1]- يقال: من أصل المسائل استخرجها وجعلها فروعا، الفرع يقابله الأصل أي ما يبنى على غيره، كفروع الشجرة لأصلها وفروع الفقه لأصوله، أما الأصل، فأصل الشيء أساسه الذي يقوم عليه، ومنشؤه الذي ينبت منه، والأصل الأول ما يبنى عليه غيره، كأصل الجدار أي أساسه، وأصل الشجرة أي طرفها الثابت في الأرض. ينظر: شوقي ضيف وآخرون، المرجع السابق، ص 20 و ص 684 .

[2]- صدّيقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 70 .

[3]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 197- 198 .

[4]- إسماعيل بن الأحمر، المصدر السابق، ص 19 .

[5]- صدّيقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 71 .

لقد نجح الموحدون بسياستهم هذه، حيث انقطع علم الفروع وانتشر المذهب الظاهري " وفي أيامه – أبي يوسف- انقطع علم الفروع..." [1] وذلك ما كانوا يصبون إليه، أي محو مذهب مالك من المغرب "... وكان قصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة وحمل الناس على الظاهر من القرآن والحديث..."[2] .

تلك السياسة ظهرت نتائجها على أرض الوقائع حيث أصبح المذهب الظاهري المذهب السائد أيام الموحدين، تضرر منه أهل بلاد المغرب بما فيهم سكان المغرب الأوسط "...أما من جانب الموحدين فلم يكن حال الجزائر بأحسن حال شقيقتها المغربين الأدنى والأقصى من تسلطهم على كل من تمذهب بالمذهب المالكي، خاصة من سولت له نفسه أن يبحث في الفروع الفقهية"[3] .

للإشارة رغم السياسة التي اتبعها حكام الموحدين تجاه المذهب المالكي إلا أنّ المذهب استمر وبقي ينتشر سرًا:" ومع هذا الضغط لم يقضوا على المذهب المالكي بل بقي ينتشر سرا ..."[4] .

إنّ خدمة الموحدين للمذهب الظاهري وفقهائه على حساب المذهب المالكي وفقهائه بتهميشهم كونت لدى أعيان المالكية روحاً انتقامية فُجِّرَتْ على شكل ثورات[5] كبرى ضد ضد الموحدين في بلاد المغرب أرغمتهم على مواجهتها سنين طويلة وأَلْهَتْهُمْ عن مهمة جهاد الثغور، فقد زودتنا كتب التاريخ بالعديد من الثورات التي قامت في المغرب والأندلس ضدهم بسبب المذهب الظاهري .

إذن إضافة إلى رفض المالكية لدولة الموحدين فإنهم رفضوا مذهبها الفقهي، فأهل الأندلس والمغرب لم ينظروا إلى أتباع داود، وابن حزم ببلادهم بعين الرضا:"...أما ابن حزم

---

[1]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 197- 198 .

[2]- المصدر نفسه، ص 198 .

[3]- أحسن زقور، المرجع السابق، ص 123 .

[4]- المهدي البوعبدلي، **لقطات من تاريخ دور بعض علماء الجزائر في الاجتهاد، ملتقى الاجتهاد، محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي السابع عشر**، 1983مـــ، **ج 02** ،ص 259- 260 .

[5]- جمع ثورة، وهي تغيير أساسي في الأوضاع السياسية والاجتماعية، يقوم بها الشعب في دولة ما لتغيير الوضع القائم تغييرا جذريًا. ينظر: شوقي ضيف وآخرون، المرجع السابق، ص 102 .

فأمره يختلف عن غيره، فالرجل ابن وزير، وصاحب مزاج خاص مع علم واسع وذكاء وقار، وكان يظن أنه بهذه الميزات الخاصة سيتبعه الناس ويكثر أنصاره ومريدوه، فخيبت الأيام أحلامه فاضطرب داخله وعوكس فيما يريد فازداد اضطرابا وفسد مزاجه ولعل ذلك من علله..."[1].

إنّ هذه النظرة تجاه المذهب الظاهري استمرت حتى أيام الموحدين، حيث فجّر المالكية غضبهم ضدّها وضد مذهبها عن طريق إشعال ثورات استمرت لسنوات طويلة.

وفي إطار الحديث عن ثورة المالكية ضد الموحدين يجب الإشارة إلى أن سبب تلك الثورات يرجع إلى طبيعة دولة المصامدة التي لم تقم على أساس تصحيح الجانب الخلقي، كما اشتهر ذلك عند مهديهم محمد بن تومرت "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[2]"، وإنما تأسست لتحدث تغييرا جذريا على جميع نواحي الحياة بما فيها الجانب المذهبي، حيث فرضت المذهب الظاهري بالقوة مكان المذهب المالكي الأكثر انتشارا في المنطقة، إضافة إلى ما أخذ من عيوب على مذهبهم وعقيدتهم . ذلك أوجد صراعا بين المالكية وأنصارهم من جهة، وبين دولة الموحدين من جهة أخرى، حيث رفض فقهاء المذهب القديم الدولة الجديدة ومذهبها الفقهي .

لقد عرف تاريخياً عن المالكية صراعهم الشديد مع أصحاب المذاهب الفقهية المخالفة لتوجهاتهم الفكرية وعدم سكوتهم على ذلك وإن اضطرّهم الأمر إلى المناظرة أو حمل السلاح، ففقهاء المذهب المالكي كانوا متشددين مع المذاهب المخالفة، كصراعهم مع الشيعة أيام تواجدهم بالمغرب، وصراعهم مع الظاهرية قبل وأثناء وبعد دولة الموحدين التي قامت على أنقاض دولة المرابطين السنية المالكية .

---

[1]- أحمد بكير محمود، المرجع السابق، ص 37 .

[2]- عدّه بعض العلماء الركن السادس من أركان الإسلام، فالمولى عز وجل قدّمه على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة في سورة التوبة قال تعالى: " **وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ =وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾** ". - سورة التوبة، الآية رقم: 71 .

إنّ هؤلاء الذين رفضوا دولة الموحدين ومذهبها الفقهي بيّنوا رفضهم لها عن طريق الثورة والمقاومة بالسلاح، فتاريخها عُرِف بالفتن والتمرد والثورات[1]، فلم يخل قطر ولا عصر فيها من هذه الفتن كما بينت لنا ذلك مصادر التاريخ التي عايشت الدولة في مقدمتها ابن صاحب الصلاة في كتابه "**المن بالإمامة**" .

علمًا أن بعض الدراسات قد أشارت إلى مقاومة صامتة من البعض تمثلت في رفض عقيدة ابن تومرت[2] عن طريق الإعراض عنها فقط [3] .

فمن بين الثورات التي قامت ضدّ دولة الموحدين أذكر:

– **ثورة محمد بن عبد الله بن الهود الماسي:** اندلعت هذه الثورة سنة (541هـ/1147م)[4] كرد فعل على سياسة بني عبد المؤمن الذين همّشوا وامتحنوا من رفض سياستهم ومذهبهم، في حين قرّبوا من سار على خطاهم ونهجهم[5] .

– **ثورة القاضي عياض**[6]: الفقيه المالكي الذي قام أيام المرابطين بواجب الإصلاح السياسي كما يمليه الإسلام على أي عالم من العلماء، فقبل حكمهم الذي لم تكون فيه مساومة على

---

[1]– صدّيقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 126 .

[2]– القائمة على أساس الدعوة إلى علم الاعتقاد على طريق الأشعرية، علمًا أنه كان ظاهري و لم يفصح عن ذلك كما ذكرنا سابقا. ينظر: عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 130 .

[3]– صديّقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 126 .

[4]– صديّقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 107 .

[5]– المرجع نفسه، ص 108 .

[6]– الإمام العلامة الحافظ، شيخ الإسلام، القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن موسى بن عياض اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي، ولد سنة (476هـ/1083م)، دخل الأندلس حوالي سنة (500هـ/1106م)، روى عن كثر منهم: هشام بن أحمد، وحدّث عنه كثر منهم: الإمام عبد الله بن محمد الأشيري، له عدة مؤلفات منها: "**ترتيب المدارك وتقريب المسالك في ذكر فقهاء مذهب مالك**"، توفي سنة (544هـ/1149م)، قيل مات مقتولا لأنه أنكر عصمت ابن تومرت . ينظر: الذهبي، **سير أعلام النبلاء، ج 20**، ص – ص 212- 218 .

أحد مبادئه "... لم يكن على إطلاقه بحيث تدخله المصانعة والمداهنة، وإنما كان مرتبطا بمدى التزام حكامها لجانب الحق والعدل، وتنفيذهم وانصياعهم لأحكام الشرع..."[1] .

إنّ النصوص لم تذكر أنّ القاضي عياض قد وافق على أمر يخرج عن العدل والحق، لذلك رفض حكم الموحدين وناهضهم لفساد عقيدتهم في رأيه وهو يومئذ يترأس سبتة[2] علمًا ودينًا وجاهًا ومنصبًا[3] .

هذا الفقيه، حمّس أهل سبتة على محاربة الموحدين ومذهبهم الفقهي مطلع سنة (543هـ/1148م)[4]، فنقضوا بيعتهم لهم، وانتفضوا برأيه، يقول صاحب الاستقصا: "...فلما انتفض المغرب على عبد المؤمن...انتفض أهل سبتة أيضًا، وكان انتفاضهم برأي القاضي عياض رحمه الله، فقتلوا عامل الموحدين ومن كان معه من أصحابه وحاميته وحرقوهم بالنار..."[5]،

كما سار القاضي عياض إلى يحي بن غانية[6] وطلب منه أن يولي على سبتة واليا من من عنده[7]، فهؤلاء بنو غانية[1] كانوا يسعون من أجل إعادة إحياء دولة المرابطين،

---

[1]- الحسين بن محمد شواط، **القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476-544هـ)**، دار القلم، دمشق، ط 01، 1419هـ - 1999م، ص 173 .

[2]- بلدة مشهورة من قواعد المغرب، مرساها أجود مرسى على البحر، وهي على بر البربر تقابل جزيرة الأندلس على طرف الزقاق الذي هو أقرب ما بين البر والجزيرة، وهي مدينة حصينة تشبه مهدية إفريقية لأنها ضاربة في البحر، بينها =وبين فاس عشرة أيام، نسب إليها جماعة من أهل العلم منهم: ابن مرانة السبتي أعلم الناس بالحساب، والهندسة والفرائض والفقه. ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، المصدر السابق، **م 03**، ص182 – 183 .

[3]- الحسين بن محمد شواط، المرجع السابق، ص 173 .

[4]- صدّيقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 108 .

[5]- الناصري أبو العباس احمد بن خالد، **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية والموحدية)**، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954م، **ج 02**، ص 102 .

[6]- الأمير المجاهد، أبو زكرياء يحيى بن علي بن غانية البربري أخو الأمير محمد، وجّه بهما أمير المسلمين عليّ بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس على ولاية بعض مدنها، فكان يحيى من حسنات الزمان، حصّل الفقه والسنة، كان ممن يضرب به المثل في الشجاعة حتى قيل: كان يعد بخمس مئة فارس، ولي بلنسية ثم قرطبة، وغزا عدة غزوات، وبقي إلى آخر دولة المرابطين، بعد موته خلفه ابنه إسحاق. ينظر: الذهبي، **سير، ج 21**، ص – ص 73 – 74 .

[7]- يونس بحري، المرجع السابق، ص 113 .

فاشتعلت ثورتهم أيام حكم يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن المكنى بأبي يوسف والملقب بالمنصور، ولما نقول المنصور نقصد بداية المجاهرة بالمذهب الظاهري في بلاد المغرب، ومن دون شك قامت ثورتهم لسببين سياسي وفقهي[2]، فالسياسي يتمثل في إحياء دولة المرابطين، أما الفقهي فيتمثل في محاربة المذهب الظاهري وإعادة إحياء المذهب المالكي .

هذا إضافة إلى مجموعة من الثورات الأخرى التي ذكرتها بعض النصوص التاريخية التي عايش أصحابها دولة الموحدين.

هذه الثورات قامت ضد النظام السياسي الموحدي في بلاد المغرب لا لشيء سوى أنّ مؤسسها وخلفاءه قد غيّروا الكثير مما كان متعارفا في المجتمع المغربي أيام المرابطين كالمذهب المالكي، وأحلوا محله المذهب الظاهري، ومن بين تلك الثورات نذكر:

ثورة أبي القاسم بن حمدين[3]: قاضي قرطبة الثائر بها في الخامس رمضان من سنة (539هـ/1144مـ)[4] .

– **ثورة ابن مردنيش**[1]:نزل إلى لورقة[2] وضيّق على أهلها، لكن وجد الموحدون هناك فهُزِمَ ضدهم شر هزيمة في الجلاّب[3] شرقي مرسية[4]، علمًا أنّ هؤلاء القوم دخلوا فيما بعد

---

[1]– ينتمي بنو غانية حام الجزائر الشرقية "البليار" إلى قبيلة مسوفة الصنهاجية، اشتهر منهم يحيى، ومحمد أولاد علي المسوفي ، سموا بهذا الاسم نسبة إلى أمهم غانية، وهو تقليد مرابطي معروف، هؤلاء وجه منهم علي بن يوسف بن تاشفين الأمير المرابطي رجلين هما: يحيى، ومحمد إلى الأندلس، وهما ابني علي من قبيلة مسوفة يعرفان بابني غانية وهي أمهما . ينظر: عبد الواحد المراكشي ت(647هـ/1249مـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 02، 2005مـ، ص 189.- خليلي إبراهيم السمرائي= =وآخرون، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المغرب الإسلامي**، بيروت، لبنان، ط 01، 2004مـ، ص 271 .

[2]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 194 .

[3]– من صدور القضاة أحمد بن محمد بن عليّ بن محمد بن عبد العزيز بن حمدين التّغلبي، قاضي الجماعة بقرطبة، كنيته أبو القاسم، أخذ عن أبيه وتفقّه عنده، وسمع من أبي عبد الله محمد بن فرج، وأبي علي الغساني، وأبي القاسم بن مدين المقرىء، وغيرهم كثر، تقلد القضاء مرتين وكان نافذا في أحكامه، جزلا في أفعاله، وهو من بيت علم ودين، توفي سنة (521هـ/1127مـ). ينظر: النباهي أبو الحسن الأندلسي، المصدر السابق، ص 103 .

[4]– البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، **كتاب أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974 مـ، ص 160 .

في طاعة الموحدين بعدما أوصى أمير المؤمنين أبو يعقوب خليفته عن قوم ابن مردنيش بما يلي:"يا بني إنّي أرى أمر هؤلاء القوم قد انتشر، وأتباعهم قد كثروا ودخلت البلاد في طاعتهم، وإنّي أظن أنه لا طاقة لكم بمقاومتهم، فسلّموا إليهم الأمر اختيارًا منكم، تحظوا بذلك عندهم قبل أن يترل بكم ما نزل بغيركم..."[5] .

– **ثورة عمر بن الخياط:** الملّقب ببويكندي في جزولة[6] إنّ ثورته هذه تبعته فيها قبائل كثيرة منها: رحراجة، وهزميرة، وهسكور، ودكالة، وارتد جراءها أهل سبتة، وطنجة[7]، والمرية[8].

---

[1]– أبو عبد الله مردنيش، الزاهد المجاهد، أبو عبد الله، محمد الجذامي المغربي، له مغازي ومواقف مشهودة، توفي سنة 527هـ/1132مـ . ينظر: الذهبي، **سير**، المصدر السابق، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه، شعيب الأرنؤوط، محمد نعيم العرقسوسي، ، **ج 20** ، ص – ص 232 – 234 .

[2]– بالضم ثم السكون، والراء مفتوحة والقاف، ويقال لُرْقَة بسكون الراء بغير واو، وهي مدينة بالأندلس من أعمال تدمير وبها حصن ومعقل محكم، أرضها جزر لا يرويها إلا ما ركد عليها من الماء كأرض مصر، فيها العنب، يكون العنقود منه خمسون رطلا بالعراقي. ينظر: ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، المصدر السابق، **ج 05**، ص 25- 26 .

[3]– البيذق أبو بكر المصدر السابق، ص 163- 164 .

[4]– بضم أوله، والسكون، وكسر السين المهملة، وياء مفتوحة خفيفة، وهاء مدينة بالأندلس من أعمال تدمير اختطها عبد الرحمن بن الحكم بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان وسماها تدمير بتدمر الشام فاستمر الناس على اسم موضعها الأول، بها كان مترل ابن مردنيش وانعمرت زمانه حتى صارت قاعدة الأندلس . ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، ص 107 .

[5]– عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 177 .

[6]– جزولة بلاد عامرة بالسكان تتاخم غرباً جبل سوس أيلدا، وشمالا الأطلس حيث تقع في سفحه تقريبا وشرقا إقليم حاحا، يكثر في الإقليم النحاس والحديد، سكان هذا الإقليم لا سلطان لهم فيحكمون أنفسهم بأنفسهم . ينظر: ليون الإفريقي، المصدر السابق، **ج 01**، ص 144

[7]– بالفتح ثم السكون والجيم والهاء، مدينة في الإقليم الرابع، طولها من جهة الغرب ثمانون درجة، وعرضها خمسة وثلاثون درجة ونصف من جهة الجنوب: بلد على ساحل بحر المغرب مقابل الجزيرة الخضراء وهو من البر الأعظم، وهي مدينة آزلية آثارها ظاهرة بناؤها بالحجارة قائمة على البحر، والمدينة العامرة الآن على ميل من البحر وليس لها سور وهي على ظهر جبل، وبين =طنجة وسبتة مسيرة يوم واحد، وهي آخر حدود افريقية، بينها وبين القيروان ألفا ميل . ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق، **ج 04**، ص 43 .

[8]– البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، المصدر السابق، ص 121 .

– **ثورة جزولة ولمطة**[1]: قامت بعد عام (548هـ/1153م) للأسباب المذكورة سابقًا، ارتدت بسببها جزولة بزعامة أبي بكر بن عمر، ثم ارتدت لمطة بقيادة محمد أمركالن، وتبعتها في الردة آيت ييغز[2] .

وقد لا يستبعد ضلوع بعض الفقهاء المباشر في تأييد الحركات الثورية المعادية للموحدين من غير القاضي عياض، كثورة علي بن محمد بن رزين الجزيري التي قامت سنة (586هـ/1199م) وأنكر فيها على الموحدين انحرافهم ومهدويتهم[3] .

– **ثورة عبد الله بن محمد بن عبد الله المعروف بابن ذمام:** اندلعت سنة (580هـ/1184م) الذي اختار المواجهة المباشرة مع الموحدين[4] .

– **ثورة الفقيه أبو القاسم بن فارس الغرناطي:** عرف كذلك بالمهر اندلعت ثورته سنة (601هـ/1204م) [5] .

– **ثورة أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الاشبيلي:** استوطن بجاية، رفض قضاءها للموحدين، ولما غزا بنو غانية المدينة – بجاية- لإحياء دولة المرابطين سنة (580هـ/1184م) أيّدهم وتولى قضاءهم[6]، ويمكننا إرجاع مساندته لهذه الثورة تمسكه بالمذهب المالكي وكرهه الشديد للمذهب الظاهري .

إنّ بعض النصوص التاريخية أوردت لنا سببا آخر له علاقة مباشرة بالمذهب الظاهري أدى إلى اندلاع ثورات ونشوب فتن في بلاد المغرب مردها إلى التأليف، فيذكر لنا أبو زيد القيرواني نصاً تحدث فيه عن بعض مؤلفات الظاهرية ودورها في إشعال الفتن وتفجير ثورات ضد الظاهرية في بلاد المغرب منها كتاب "**التبيين**" لفقيه ظاهري لم يذكر اسمه " **مجهول**"،

---

[1]- بالفتح ثم السكون، وطاء مهملة: أرض لقبيلة من البربر بأقصى المغرب من البر الأعظم، يقال للأرض والقبيلة معاً لمطة، وإليهم تنسب الدرق اللمطية . ينظر: ياقوت الحموي، المصدر السابق،**ج 05**، ص 23 .

[2]- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، المصدر السابق، ص 139 .

[3]- صدّيقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 127 .

[4]- صدّيقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 128 .

[5]- واعظ نويرة ،" **مدى رسوخ مهدوية ابن تومرت في مختلف طبقات المجتمع الموحدي**"، دورية كان التاريخية، السنة الرابعة، ع **11**، مارس 2011م، ربيع الأول 1432هـ، ص 40 .

[6]- واعظ نويرة، المرجع السابق، ص 40 .

هذا الكتاب أحدث فتنة كبيرة وكاد أن يشعل الثورة في المنطقة، يقول أبو زيد:"ولو تكلف الناس أن يكتبوا قول كل ناعق فينقضوه، ويتتبعوا خواطر كل متكلف فيعارضوه، لطال هذا وأشغل عن ما هو أولى منه، ولولا ما ذكرت من كثرة ما افتتن به من الضعفاء ما استجزت مناقضته، والله المستعان"[1].

لقد صنّف ابن أبو زيد القيرواني الفقيه الظاهري المجهول ضمن فرقة الخوارج لخروجه عن الإمام مالك وإحداثه الفتنة، في قوله:"...ولقد أثر من ابتدع في الأمة الكلام في الدين على الحمية والضغن أثر فتنة، فصارت زلة متبعة، عاقبتها لمن اتبعها الفرقة بالحمية بعد الألفة بالنصيحة، وضغن العداوة بعد ظفر الولاية، وأهل السنة لا يتخلقون بهذا الخلق في عامتهم فضلا عن أئمتهم، وهذا خلق الخوارج"[2] .

وفيما يخص ثورة المهدي بن تومرت ضد المرابطين فلا يستبعد أنها كانت بفعل تأثير المذهب الظاهري الذي درسه ابن تومرت على يد الطرطوشي[3] المتوفى سنة (520هـ/1126مـ) أحد أبرز المهتمين بالفقه الظاهري وكتب ابن حزم[4] .

إنّ ما يلاحظ على تلك الثورات أنّها ساهمت بقسط كبير في إضعاف دولة الموحدين، وجعلت بلاد المغرب في حالة حرب ولا استقرار لمدة زمنية طويلة، هذا الوضع شجّع الممالك النصرانية على إعادة ترتيب وتجميع قواها بإحياء الحلف القديم من جديد لتحقيق هدف واحد يصبوا إليه كل نصراني حاقد على الإسلام والمسلمين وهو القضاء على الدولة الإسلامية- دولة الموحدين-. وذلك ما حصل فعلاً حيث استرجعوا مدن الأندلس

---

[1]- أبو زيد القيرواني، المصدر السابق، **م 01**، ص 253 .

[2]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[3]-الإمام العلامة، القدوة الزاهد، شيخ المالكية، أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف بن سليمان بن أيوب الفهري الأندلسي الطرطوشي الفقيه، عالم الإسكندرية، وطرطوشة : هي آخر حدّ للمسلمين من شمالي الأندلس، لازم أبا الوليد الباجي وأخذ عنه مسائل الخلاف، ارتحل إلى المشرق حاجا ودخل العراق، حيث سمع بالبصرة "**سنن أبي داود**" من أبي علي التستري، من مؤلفاته كتاب "**سراج الملوك**" الذي ألّفه للمأمون بن البطائحي، وزير مصر وقته، ولد سنة (451هـ/1059مـ)، حدّث عنه كثر منهم: أبو طاهر السلفي، والفقيه سلام بن المقدم، وأبو طالب أحمد المسلّم اللّخمي، توفي بالإسكندرية في جمادى الأولى سنة (520هـ/1126مـ). ينظر: الذهبي، المصدر السابق، حقّق الجزء وعلّق عليه وخرّج أحاديثه شعيب الأرنؤوط، **ج 19**، ص – ص 490 – 496 .

[4]- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 198 .

من يد المسلمين مدينة مدينة كان آخرها مدينة غرناطة التي سقطت سنة (898هـ/1492مـ) .

رغم سقوط دولة الموحدين إلاّ أنّ المذهب الظاهري ظل متواجدا في بلاد المغرب إلى فترات متأخرة، كما أشرت إلى ذلك سابقا من خلال تقديم إحصائيات عن عدد فقهاء المذهب إلى غاية القرن الرابع عشر هجري (20مـ)، ولو تتبعنا كتب التراجم المتأخرة لوجدنا أتباعه متواجدين في كل مكان وزمان، وبذلك فإن المذهب الظاهري ليس من المذاهب الفقهية المندرسة خاصة وأن أراء فقهائه مازالت مدونة في مختلف كتب الفقه ويأخذ بها في الفتوى (فتاوى ابن حزم)،وهذا معاكس تماما إلى ما ذهب إليه الباحث عبد القادر بوعقادة وآنخيل بالنثيا الذي قال:" وقد أسرع المذهب الحزمي إلى الزوال بعد انقضاء أمر الموحدين و لم يعد يوجد من أتباعه خلال القرن السابع الهجري (13مـ) إلا عددا قليلا من الناس ..."[1] .

لقد اتخذت الإسهامات السياسية للمذهب الظاهري في المغرب الإسلامي شقين، شق إيجابي وآخر سلبي. فأما الإيجابي منه تمثل في تلك الخدمات التي قدّمها فقهاء المذهب للدولة والمجتمع من خلال المناصب التي عيّنوا فيها كالقضاء مثلا، وأما السلبي فبرز في الثورات التي أدخلت المنطقة في مرحلة الحروب بسبب محاولة الموحدين فرض المذهب بالقوة على حساب المذهب المالكي، تلك السياسة المنتهجة كانت لها انعكاسات سلبية على الوضع السياسي بالدرجة الأولى.

[1] – أنخيل بلانثيا، المرجع السابق، ص 238 .

▪الفصل الرابع :دور المذهب الظاهري اجتماعياً ودينياً .

01-دور المذهب الظاهري اجتماعياً .

02-دور المذهب الظاهري دينياً .

لعب المذهب الظاهري دورا اجتماعيا ودينيا، فمن الناحية الاجتماعية توسط فقهاء المذهب بين السكان والسلطة الحاكمة، فكان تأثيرهم بشكل مباشر عن طريق إصدار فتاوى وأحكام لفك النزاع بين المتخاصمين، أو غير مباشر عن طريق نصح الحكام خدمةً للبلد وأهله، كما برز تأثيرهم على الرعية بواسطة سلوكهم الأخلاقي والثقافي النموذجي الذي قدّموه للمجتمع، فسيرهم المحمودة جعلتهم قدوة لمن أراد أن يقتدي بهم. أمّا من الناحية الدينية فقد ساهم المذهب في خدمة العقيدة والفقه والسُنّة .

01- دور المذهب الظاهري اجتماعيًا:

كان للمذهب الظاهري دور اجتماعي بارز مسّ جوانب عديدة في هذا المجال، يرجع الفضل فيها لفقهاء المذهب، فبفضل سيرهم المحمودة، وعلمهم الغزير كثر المنتسبون للمذهب ببلاد المغرب الأمر الذي أدى إلى اتساع قاعدته الشعبية "أما في المغرب، والأندلس على وجه الخصوص فقد تبعه كثير من الفقهاء المتحمسين له في القرن الرابع وألّفوا فيه مختلف الكتب ..."[1] .

بل إنّ السيرة المحمودة، والأخلاق الرفيعة، والتبحر في مختلف فنون العلم، وحسن مناظرة الظاهرية قد أثّر في العديد من فقهاء المذهب المالكي الذين تخلوا عن مذهبهم ومالوا إلى القول بالظاهر، فكتب التراجم قدّمت لنا نماذج كثيرة عن هؤلاء أبرزهم الفقيه أبي القاسم جعفر بن مسرور الأبزاري المعروف بابن المشاط، المتوفى سنة (349هـ/960مـ) أحد شيوخ ابن أبي زيد، ذكره عياض قائلاً: "كان يحسن الرد على الملحدين، وكان يذهب مذهب مالك ويجيده، ثم انتقل إلى مذهب الشافعي، ثم ذهب إلى مذهب داود، ثم إلى قول ابن شريح، ثم إلى قول أبي بكر بن داود، ثم إلى قول ابن المغلس وهو ظاهري وعليه مات"[2]، والفقيه ابن حوط الله[3] الذي غلب عليه الاجتهاد ومال إلى القول بظاهر النص، والفقيه علي بن عبد الله المعافري الظاهري[1] .

---

[1]- كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، المرجع السابق، **ج 03**، ص 319 - 317 .

[2]- أبو زيد القيرواني المصدر السابق، ص، **م 01**، ص 58 .

[3]- الحافظ الإمام محدث أهل الأندلس، أبو محمد عبد الله بن سليمان بن داود ابن حوط الله الأنصاري الحارثي الأندلسي الأُندي، أخو الحافظ أبو سليمان، ولد سنة (549هـ1154مـ)، تلا بالسبع على أبيه، وسمع من ابن

لقد زودتنا النصوص بأمثلة كثيرة عن الدور الاجتماعي للمذهب الظاهري، فالعديد من فقهاء المذهب كان لهم تأثير في حياة مجتمع بلاد المغرب الأمر الذي عرّضهم للاضطهاد والتهميش من قبل المالكية الذين حرّضوا السلطان ضدهم، وكأن فقهاء المذهب أصبحوا يهددون مكانتهم الاجتماعية، فذلك حل مناسب للتخلص منهم قبل استفحال أمرهم، وهذا ما حصل فعلا فإذ ما عيّن أحدٌ من الظاهرية في منصب راقٍ كالقضاء فُرِضَ عليه أن يقضي بقواعد المذهب المالكي مثل ما حدث مع الفقيه الظاهري منذر بن سعيد البلوطي، أما البقية الباقية منهم فهُمّشوا بل ومنعوا من مزاولة أنشطتهم التي برعوا فيها، فشيخ ابن حزم أبي الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت الظاهري مُنِعَ من التدريس بجامع قرطبة[2] .

كما تعرض ابن حزم للاضطهاد أيضا فقد فرض المالكية الحظر على فكره ومنعوه من التدريس بجامع قرطبة وندّدوا به في المجالس والندوات، وحذروا الرعية من الاستماع إلى قوله وجمعوا كبار علمائهم الذين قذفوه بعبارات قبيحة (المبتدع في الدين، الزنديق، المارق، الجاهل، الخبيث...) [3].

إنّ الطريقة التي تعامل بها المالكية من الفقهاء مع ابن حزم مستعملين فيها أقبح الصفات أدّت إلى توتر العلاقة الاجتماعية بين فقهاء المذهبين في بلاد المغرب .

سياستهم هذه مع ابن حزم لم تثنيه عن عزمه وسعيه في نشر أصول مذهبه، بل دعا خصومه من فقهاء المذهب المالكي إلى المناظرة بعبارات قلّل فيها من شأنهم وبينّ قصور

=هذيل بعض الإيجاز في قراءة ورش، وسمع من السهيلي، وابن الجد، وابن زرقون، وأجاز له أبو الطاهر بن عوف من الإسكندرية، وأبو الطاهر الخشوعي من دمشق، وألّف كتابا في رجال الكتب الخمس، وكان منشئا خطيبا بليغا شاعرا نحوياً، تصدّر للقراءات والعربية، وأدّب أولاد المنصور بمراكش، نال عزّا ودنيا واسعة، وولي قضاء قرطبة توفي في ربيع الأول سنة (612هـ/1215م). ينظر: الذهبي، المصدر السابق، حقّق الجزء الدكتور بشّار عوّاد معروف، و الدكتور محي هلال السرحان، **ج 22**، ص 41- 42 .

[1]- يونس بحري، المرجع السابق، ص 178 .

[2]- أنخيل بلانثيا، المرجع السابق، ص 215 .

[3]- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 193

ملكتهم في العلم فخاطبهم قائلاً: " فمن استطاع إنكارا فليبرز صفحته وليناظر مناظرة العلماء فمن عجز عن ذلك فليسأل سؤال المتعلمين أو ليسكت سكوت أهل الجهل"[1] .

إنّ ابن حزم مع ما له من علم وعلو مكانة ومنزلة إلا أنه كان سليط اللسان تجاه من عارض أفكاره خاصة المالكية، وما دعوته لهم للمناظرة بعبارات جارحة إلا دليل على ذلك، فاستحق أن يقال فيه لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقان[2]، فناظرهم وانتصر عليهم وفنّد كل ما تعرض إليه من هجمات مبينا قصور فكرهم وقلّة حيلتهم العلمية .

إنّ مناظرات ابن حزم مع المخالفين صنعت للمذهب الظاهري وفقهائه قاعدة شعبية كبيرة ومنحت للمذهب مهابة في المنطقة بعدما ناظر كثير من فقهاء المذهب المالكي كمناظرته للفقيه أبي الوليد بن البارية، والفقيه مكي بن أبو طالب، والفقيه الليث بن أحمد بن حريش العبدري القرطبي، فلم يبال بما وصفه به خصومه ومعارضيه .

في رأيي أنّ طبقة العلماء في بلاد المغرب قد قُسِّمَت إلى ثلاثة فرق بعد تلك المناظرات، الفرقة الأولى ولعت بعلمه فتأثرت به فتبعته وانتحلت مذهبه، والفرقة الثانية اتبعت الحياد، أما الفرقة الثالثة والأخيرة عارضته ورفضت فكره فوشت به إلى السلطة تحرضها ضده، وهم المالكية الذين حاربوه وحاربوا مذهبه بكل الوسائل، فمثلا القاضي المالكي أبو بكر بن العربي تولى مهمة الحط من قيمة المذهب وفقهائه (ابن حزم) تنفيرًا للناس عن الإقبال على كتبه ومذهبه في كتابه العواصم من القواصم) كما أشرت إلى ذلك سابقاً وسأوضحه لاحقا في حديثي عن العلاقة الاجتماعية بين الظاهرية والفلاسفة .

إنّ توتر العلاقات الاجتماعية للظاهرية لم تقتصر فقط على فقهاء المذهب المالكي بل امتد إلى المتصوفة بسبب أصول المذهب المخالفة تماما لبعض قواعد وأصول المتصوفة، فابن عريف الصوفي وجه انتقادا للمذهب الظاهري ذمّ فيه أصوله وفقهائه بل اعتبره من المذاهب

---

[1]- ابن حزم علي بن سعيد، **الرد على ابن النغرلة اليهودي ورسائل أخرى**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960مـــ، ص 148 .

[2]- الذهبي، المصدر السابق، **ج 18**، ص 199 .

التي

ذمها وأنكرها الدين "...مذهب الظاهرية يشابه مذهب رواة الحديث والفقهاء وليس به"[1].

إنّ ابن عريف الصوفي[2] من خلال النص السابق نجده يُخْرج المذهب الظاهري من دائرة مذاهب الفقه والحديث، لكن كلامه يبدوا غير موضوعي أثر فيه التعصب الشديد لقواعد الصوفية ونظرياتها التي انتقدها ابن حزم الأندلسي، فالمذهب الظاهري يعتبر من أبرز المذاهب الفقهية السنية التي اعتنت بالنص الرباني وساهمت في حفظه وأكثر من ذلك لا تزال آراء فقهائه مدونة في أشهر مدونات الفقه والحديث والنوازل عند أئمة المذاهب السنية .

والكلام الذي زاد فيه على الظاهرية ومذهبهم يوافق ما ذهبت إليه (عدم موضوعية ابن عريف وتعصبه لأفكار المدرسة الصوفية): "ومذهب الظاهر المذموم الذي سقط فيه داود بن علي وأشياعه، ولا قدوة لهم فيه إلا الخوارج في وقت الصحابة، وأهل النفاق في وقت الرسالة ... وكما قيل في الظاهرية المذمومة من أخلاق الكلاب ..."[3] .

مثل هكذا كلام حتماً سيزيد في حدة الصراع بين المدرستين الظاهرية والصوفية في بلاد المغرب ومحصلة ذلك توتر العلاقة بين أعلام المذهبين، فابن حزم أصدر فتوى دعا فيها إلى الابتعاد عن استخدام الرموز في النصوص الشرعية أحد أبرز أسس التصوف، كما عارض حدوث الكرامات[4] .

---

[1]- ابن عريف أبو العباس (481هـ/536هـ/1088م - 1141م)، **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة**، جمعه أبو بكر بن عتيق بن مؤمن (496-548هـ/1102-1153م)، دراسة وتحقيق عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنتن، ط 01، 1993م،ص 91 .

[2]- هو أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله، الإمام الزاهد العارف، أبو العباس بن العريف الصنهاجي الأندلسي، المربي المقرئ، صاحب المقامات والإشارات، ولد سنة (458هـ/1065م). ينظر: الذهبي، **سير**، المصدر السابق، **ج 20**، ص – ص 111- 114 .

[3]- ابن العريف، المصدر السابق، ص 93 .

[4]- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 195 .

إنّ دعوة ابن حزم لتجنب استعمال الرمز في النصوص الشرعية ومعارضته للكرامات جعلت ابن العريف الصوفي[1] المتوفى سنة (536هـ/1141م) يوجه سهامه نحو مذهبه فانتقده انتقادا لاذعا شبّه فيه أنصار المذهب بالخوارج والمنافقين ودعا إلى الابتعاد عنه [2] .

وشمل أيضا توتر العلاقات الاجتماعية للظاهرية الفلاسفة وخير مثال على ذلك الفيلسوف أبي بكر بن العربي[3]،الإمام العالم القاضي فخر المغرب، قاضي قضاة اشبيلية[4]

كانت له رحلة من الأندلس إلى المشرق [5] قيل لقي فيها محمد بن تومرت فأوصى عليه عبد المؤمن بن علي فكان مكرمًا عنده[6] توفي بمغيلة في ربيع الآخر من سنة (543هـ/1148م)[7] عكس ما أشار إليه ابن عماد في شذرات الذهب .

إنّ الفقيه والفيلسوف ابن العربي كان شديد الكره للظاهرية ومذهبهم، ويتضح ذلك في تشنيعه عليهم في كتابه:"**العواصم من القواصم**" فوصفهم بأعداء الإسلام، وقال عن مذهبهم أنه مذهب خبيث مثل المذهب الباطني:" وقد بينا في غير موضع أن الكائدين

---

[1]- هو أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله، الإمام الزاهد العارف، أبو العباس بن العريف الصنهاجي الأندلسي، المربي المقرئ، صاحب المقامات والإشارات، ولد سنة (458هـ/1065م). ينظر: الذهبي، **سير**، المصدر السابق، **ج 20**، ص – ص 111- 114 .

[2]- ابن العريف، المصدر السابق، ص 93 .

[3]- وهو محمد بن عبد الله بن محمد، الاشبيلي، المالكي، الحافظ، أحد الأعلام، وعالم أهل الأندلس، ولد سنة (468هـ/1075م)، كانت له رحلات نحو المشرق، حيث سافر مع والده فدخل مجموعة من الحواضر في مقدمتها دمشق، وبغداد، ومصر، وهناك أخذ على مجموعة من العلماء، كالفقيه نصر المقدسي، وأبي طلحة النعالي ببغداد، والطرطوشي بمصر، تولى منصب القضاة باشبيلية لفترة من الزمن، ثم غادر القضاء وتوجه نحو نشر العلوم والتصنيف والحديث والفقه والأصول، كان من أهل العلوم والاستبحار فيها والجمع لها متقدما في المعارف كلها، متكلما في أنواعها، ناقدا في جميعها، استقضي ببلده فنفع الله به أهله لصرامته وشدته، ونفوذ أحكامه، ثم انصرف عن القضاء وأقبل على العلم ونشره، ذكر صاحب شذرات الذهب أنه توفي سنة (480هـ/1087م) ودفن بمدينة فاس، ونظن أن هذا التاريخ غير صحيح خاصة وأنه كان قد أشار إلى أنه رحل إلى المشرق سنة (485هـ/1092م) ينظر: ابن عماد الحنبلي ، المصدر السابق، **ج 06**، ص 232 – 233 .

[4]- المصدر نفسه، ص 26 .

[5]- المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب**، المصدر السابق، **م 02**، ص 25 .

[6]- نفسه، ص 27 .

[7]- نفسه، ص 28- 29 .

للإسلام كثير، والمقصرون فيه كثير، وأولياءه المشتغلون به قليل...وقد بينا جملة أحوالهم وممن كاده الظاهرية وهم طائفتان: إحداهما المتبعون للظاهر في العقائد والأصول، والثانية المتبعون للظاهر في الأصول وكلا الطائفتين في الأصل خبيثة، وما تفرع عنهما خبيث مثلهما..."[1] .

وفي موضع آخر من نفس الكتاب أكدّ كرهه الشديد لهم قائلاً:"...فالولد من غير نكاح لغية، والحية لا تلد إلا حية، وهذه الطائفة الآخذة بالظاهر في العقائد، هي في طرف التشبيه، كالأولى في التعطيل، فقد بليت بهم في رحلتي، وتعرضوا لي كثيرا دون بغيتي"[2] .

إنّ حدة العبارات التي انتقاها ابن العربي تشنيعا على الظاهرية ومذهبهم أدت إلى تأزم العلاقة الاجتماعية بين الطرفين وزادت في هوة التباعد بينهما و لم يبقى ذلك الصراع محصورا في دائرة أعيان المذهبين بل انتقل إلى الأتباع والمريدين، ذلك ما زاد الأمر تعقيدا على المستوى الاجتماعي فتحول الصراع إلى التعصب الذي ولد روح انتقامية لدى أصحاب المدرستين (الفلسفية والفقهية الظاهرية) .

من وجهة نظري أرى أن تهجمات المالكية والمتصوفة والفلاسفة على المذهب الظاهري وابن حزم ما هي إلا دليل على الأدوار الإيجابية التي أصبح يقدمها المذهب للمجتمع المغربي من خلال فقهائه ومؤلفاتهم، وسيرتهم المحمودة وأخلاقهم الفاضلة، فمؤلفات ابن حزم شاهدة على ذلك، ومن أراد أن يعرف ذلك ما عليه سوى الإطلاع على عينة من كتبه التي تبرز دوره في جميع نواحي الحياة في مقدمتها الجانب الاجتماعي .

لم يقتصر دور المذهب الظاهري اجتماعيًا على مدى تأثير فقهائه في مجتمع بلاد المغرب أو علاقاتهم مع أعلام المدارس الفقهية والفكرية، بل تعداه إلى اكتساب فقهاء المذهب مكانة اجتماعية خاصة بين العامة زادت من توقير السلطان واحترامه لهم أمثال الفقيه قاضي القضاة بالأندلس منذر بن سعيد البلوطي برزت مكانته الاجتماعية بعد الخطبة الشهيرة التي ألقاها في الحفل الذي نظّمه الخليفة عبد الرحمن الناصر على شرف سفراء الروم

---

[1] – أبو بكر بن العربي القاضي، **العواصم من القواصم**، تحقيق عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، د ت، ص208 .

[2] – المصدر نفسه، نفس الصفحة .

بقصر

الزهراء، حيث تقرب من السلطان وعينه قاضي قضاة، هذا المنصب ساعده في لعب مجموعة من الأدوار الاجتماعية حيث كان دائم السعي في المحافظة على المال العام، ومحاربة الفتن الداخلية التي لها أثر كبير على الاستقرار الاجتماعي، فعمل على توعية العامة بمخاطرها داعيا إياهم إلى الالتفاف حول حاكمهم الذي كان له دور في فرض الأمن وحماية الثغور، وحقن الدماء، وبناء البلاد: " ...فإنّ لكل حادثة مقاما ولكل مقام مقال...وأنا أذكر نعم الله عليكم، وتلافيه لكم بولاية أميركم التي أمنت سربكم، ورفعت خوفكم، وكنتم قليلا فكثّركم ومستضعفين فقوّاكم، ومستذلين فنصركم، ولاه الله أياما ضربت الفتنة سرادقها على الآفاق وأحاطت بكم شعل النفاق، حتى صرتم مثل حدقة البعير، مع ضيق الحال والتغيير، فاستبدلتم بخلافته من الشدة والرخاّء....فناشدتكم الله، ألم تكن الدماء مسفوكة فحقنها، والسبل مخوفة فآمنها، والأموال منتهبة فأحرزها، والبلاد خرابا فعمّرها، والثغور مهتضمة فحماها ونصرها فاذكروا آلاء الله عليكم..."[1].

أما الدور الاجتماعي الآخر للفقيه الظاهري منذر بن سعيد فتمثل في محاربة أهل البدع الذين كانوا ينشرون سمومهم في أوساط المجتمع صباحا مساءا، ففي عهده ظهر أبوالخير[2] الذي طعن في الدين الإسلامي، ورموزه، وعقائده، فسبّ صحابة النبي صلى الله عليه وسلم، ودعا لأفكار العلوية الذين قالوا بأحقية علي بن أبي طالب رضي الله بالنبوة، وحلّل شرب الخمر[3]، ولعن عائشة أم المؤمنين[4] .

---

[1]- الذهبي، المصدر السابق، ج **16**، ص 178 .

[2]- كان تاركا للصلوات الخمس، تاركا لصلاة الجمعة، شاربا للخمر، آكلا للحم الهتزير، زانيا ولواطا، سابا لله تعالى، مستهزئا بالإسلام، كان حلم هدم الكعبة وترك المسلمين بلا قبلة . أبو أصبغ عيسى بن سهل الأندلسي، **ثلاثة وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس**، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاّف، مراجعة وتقديم محمود علي مكي، ومصطفى كامل إسماعيل، توزيع المركز العربي الدولي للإعلام ، القاهرة، مصر، ط 01، 1981مـــ، ص / ص 65 – 67 .

[3]- أبو الأصبغ، المصدر السابق، ص 58-59 .

[4]- المصدر نفسه، ص 62 .

إنّ ما قال به ونشره أبا الخير هذا من بدع في أوساط الرعية في بلاد الأندلس جعلت الفقيه الظاهري منذر وبعض الفقهاء الآخرين يصدرون فتوى تدعوا لقتله وتكفيره: "نرى والله الموفق للصواب أنه ملحد كافر قد وجب قتله بدون ما ثبت عليه..."[1] .

هذا عن الدور الاجتماعي لمنذر، أما بقية فقهاء المذهب فقد تباينت مهامهم أدوارهم في هذا المجال، فمنهم من زاول مهنة التعليم التي لها انعكاس إيجابي على أي مجتمع كان، ففقهاء المذهب الظاهري علّموا ودرّسوا عامة الشعب مختلف فنون العلم، كما كانوا أئمة عليهم في الصلوات أمثال: محمد بن شريح الرعيني المتوفى سنة (476هـ/1073مـ)[2]، وعبد الله بن أحمد بن سعيد بن يربوع[3] المتوفى سنة (522هـ/1128مـ) [4]، فدور الإمام في العصر الوسيط لم يقتصر فقط على الصلاة بل تجاوزه إلى الوعظ والتعليم، فالفقيه الظاهري أبو الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت[5] كان يعظ العامة كلما سمحت له الفرصة، حيث اشتهر عنه ذلك في مسجد قرطبة[6] .

بعيدًا عن الأدوار الاجتماعية السابقة فقد كان فقهاء المذهب الظاهري مرشدين وموجهين اجتماعيين، فابن حزم الأندلسي صنع من نفسه مصلحًا اجتماعيا ويظهر ذلك من

1- نفسه، ص 82 .

2- الإمام شيخ القراء، أبو عبد الله، محمد بن شريح بن أحمد بن شريح بن يوسف الرعيني، الاشبيلي مصنف كتاب "**الكافي**"، ولد سنة (392هـ/1001مـ)، سمع من عثمان بن أحمد القيجطالي، كان رأسا في القراءات بصيرا بالنحو والصرف، روى عنه الكثير ولده أبو الحسن شريح بن محمد وأبو العباس بن عيشون، توفي سنة (476هـ/1073مـ). ينظر: الذهبي، المصدر السابق، **ج 18**، ص 454- 455 .

3- الأستاذ الحافظ، أبو محمد عبد الله بن أحمد، ابن سعيد بن سليمان بن يربوع الشنتريني، ثم الاشبيلي نزيل قرطبة، سمع من محمد بن أحمد بن منظور صحيح البخاري، وأبا مروان بن سراج، وروى عنه أبو القاسم بن بشكوال، له مؤلفات عديدة منها: "**الإقليد في بيان الأسانيد**"، وكتاب "**تاج الحلية وسراج البغية في معرفة أسانيد الموطأ**" توفي في صفر سنة (522هـ/1128مـ). ينظر: الذهبي، المصدر السابق، **ج 19**، ص 578- 579 .

4- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 201.

5- اسمه مسعود بن سلمان بن مفلت الشنتريني القرطبي الأديب، زاهد، خيّر، ذكره ابن حزم فأثنى عليه، فقال في كتاب"**إرشاد المسترشد**": لقد كان لأهل العلم وابتغاء الخير في الشيخ أبي الخيار قوي ومقصد كافٍ . ينظر: الذهبي ، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، المصدر السابق، **ج 19**، ص 184 .

6- عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص 201 .

خلال

بعض مؤلفاته التي عالج فيها مجموعة من القضايا الاجتماعية منها موضوع المرأة التي خصّص لها مجموعة من الكتب منها: كتاب "**طوق الحمامة في الألفة والآلاف**"[1] و" **رسالة في أمهات الخلفاء**"[2] .

هذه المؤلفات بيّن فيها ابن حزم دور المرأة الفعّال على كل الأصعدة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والفكرية والثقافية، فالمتصفح لها يدرك أن المرأة شغلت حيزا كبيرا منها، فوصف خصائصها، وتطرق لكل صغيرة وكبيرة عنها، فنجده يميز بين المرأة الصالحة التّي إن أبعدت عن الذرائع لم تمل إلى الهوى، وكذلك التي صانت كرامتها، وأبت الحرام، والمرأة الفاسقة في المجتمع الأندلسي[3]، كما تطرق فيها لوصف مكانتها الاجتماعية في

---

[1]- يذكر ابن حزم سبب تأليفه قائلا:" أحب أن أقول بداع من إحساس يشبه اليقين أن رسالة طوق الحمامة بدأت بتسلية لصديق ذي ود صحيح لابن حزم، كان يستوطن المرية ولعله حلّها بعد تفرق القرطبيين في الفتنة وفي موطنه الجديد نشب القرطبي المهاجر في براثن حبّ آسر على غير ما= =تسمح به السن...فكتب إلى صديقه وموضع سرّه ابن حزم، يسأله في كتاب زادت معانيه على ما في سائر كتبه من قبل، رأيه في هذا الذي نشب فيه، ويتحدث إليه بحديث الحبّ...وفيما ابن حزم يقلب وجوه الرأي، إذا بصديقه وقد استبطأ ردّه يسافر من المرية إلى شاطبة ليلقى صاحبه ويبث إليه ما في نفسه، وما تكاد شاطبة تستقبل ذلك الصديق حتى تقوم القيامة، وتسدّ في وجهه أبواب العودة إلى المرية، لاشتعال نار الحرب...فلا لا يجد ابن حزم خيرا من قصص من ابتلي بمثل ما ابتلي صديقه، يسليه عما ألمّ به...بل يقدم له نفسه نموذجا عجيبا لتصاريف الحبّ وشؤونه..."، هذا الطلب من صديقه انتقل من تسلية الصديق إلى تعزية النفس فابن حزم كان يفكر في حاضره وكيف يصون الأهل والولد والحصول على الرزق وكان يريحه أن يعود إلى ماضيه الذي لا يمثل الحب فقط بل يمثل المجد والراحة والحياة، فأراد أن يخلد شبابه في كتاب يذكر فيه تجاربه ويخضعها للدراسة والتحليل ليتجاوز بها تسلية صديق وتعزية النفس، وبذلك يصبح دارسا للحركات النفسية وطبيعة العلاقات العاطفية والاجتماعية، أي أن ابن حزم أراد أن يوظف تجاربه السابقة ليقوم بدور السيكولوجي الاجتماعي ينظر: ابن حزم الأندلسي (384-456هـ/ 994-1063مـ)، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 02، 1987مـ، **ج01**، ص- ص 40- 42 .

[2]- خصّصها ابن حزم لذكر أسماء أمهات الخلفاء في المشرق، وأسماء أمهات الأمراء والخلفاء الأمويين والأندلسيين.
ينظر: ابن حزم، المصدر السابق، ج **02**، ص 33 .

[3]- رقية بن خيرة، "**صورة المرأة الأندلسية من خلال كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف لابن حزم الأندلسي، ت (456هـ/1064مـ)**"، **الناصرية** مجلة علمية محكمة تصدر عن مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، العددان الخامس والسادس، جوان، 2014 – 2015مـ، ص 239-240 .

القصور والمنازل، خاصة بنات الطبقة الغنية، أما المُدْرَجَاتْ ضمن الطبقة المتوسطة فلا يسترسل في الكلام عنهن إلا قليلا[1] .

ونجده في موضع آخر من كتبه دارسا للمجتمع محللا لحركاته لابسا ثوب المفسر والمعلّل لبعض الظواهر والعمليات الاجتماعية التي لها أثر كبير في نفوس الأفراد، فعالج عملية الحب وأعطاها تفسيرا دقيقا فقال:" الحب – أعزّك الله- أوله هزل وآخره جد، دقّت معانيه لجلالتها عن أن توصف، فلا تدرك حقيقتها إلا بالمعاناة..."[2] .

وقد طَرَقَ ابن حزم هذه الحال الاجتماعية – الحب - في أكثر من جانب منها مسألة الحرمة والعزّة فيقول:"...خلق فاضل متركب من النجدة والعدل لأن من عدل كره أن يتعدّى إلى حرمة غيره وأن يتعدى غيره على حرمته، ومن كانت النجدة له طبعا حدثت فيه عزّة، ومن العزة تحدث الأنفة من الاهتضام"[3] .

ومنها مسألة الغيرة التي فسّرها تفسيرا دقيقا مختصرا في قوله:"الغيرة إذا ارتفعت المحبة"[4]، فابن حزم هنا يقرر بأن الغيرة وليدة الحب الشديد وكأن مقياس درجة الحب بين شخصين عنده هو زيادة الغيرة عندهما أو كليهما[5] .

وتكلم كذلك عن درجات الحب فقال:" درج المحبة خمسة أولها الاستحسان، وهو أن يمثل الناظر صورة المنظور إليه حسنة، أو يستحسن أخلاقه، وهذا يدخل في باب التصادق، ثم الإعجاب وهو رغبة الناظر في المنظور إليه في قربه، ثم الألفة وهي الوحشة إليه متى غاب، ثم الكلف وهو غلبة شغل البال به، وهذا النوع يسمى في باب الغزل بالعشق، ثم الشغف، وهو امتناع النوم والأكل والشرب إلا اليسير من ذلك وربما أدى ذلك إلى المرض أو التوسوس أو إلى الموت..."[6] .

---

[1] – رقية بن خيرة، المرجع السابق، ص 243 .

[2] – ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن "حزم طوق الحمامة"**، المصدر السابق، **ج 01**، ص 90 .

[3] – المصدر نفسه، **ج 01**، ص57 .

[4] – نفسه، نفس الصفحة .

[5] – نفسه، نفس الصفحة .

[6] – ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن "حزم طوق الحمامة"**، المصدر السابق، **ج 01**، ص 57 – 58.

كما عالج في كتبه قضايا أخرى تدخل ضمن علاقات الأفراد مع بعضهم البعض، كحب المرء محبوبا لا يبادله نفس الشعور، يقول ابن حزم : " أن نفس المحبوب في هذه الحال تكون أسيرة الأغراض الكثيفة...فهي ساكنة في ظلمة لهذا لا تستثار إلا بعد محاولات من إيصال المعرفة إليها وتنبيهها لتستطيع التجاوب مع روح المحب..."[1] .

وتطرق أيضا لأذواق الإنسان في الحب، فأشار إلى الحب الأول الذي قال أنه يؤثر في صاحبه " الشخص إذا أحب شيئا في فتاة شقراء جرى ذوقه طول حياته على استحسان ما ألفه من صفات مميزة في محبوبه الأول في حال فقدانه، ويسم هذا بالحنين إلى الحب الأول"[2] .

وفي حديثه عن ضروب المحبة يظهر ابن حزم وكأنه أستاذ في علاقات علم اجتماع يعلم القراء أنواع الحب يقول: "...علمنا أن المحبة ضروب، فأفضلها محبة المتحابين في الله عز وجل...ومحبة القرابة، ومحبة الألفة...ومحبة التصاحب والمعرفة، ومحبة البّر...عفي جاه المحبوب، ومحبة المتحابّين لسر يجتمعان عليه يلزمهما ستره، ومحبة بلوغ اللذة وقضاء الوطر، ومحبة العشق التي لا علة لها إلا ما ذكرنا من اتصال النفوس...فكل هذه الأجناس منقضية مع انقضاء عللها، وزائدة بزيادتها، وناقصة بنقصانها، متأكدة بدنوها فاترة ببعدها، حاشا محبة العشق الصحيح المتمكن من النفس فهي التي لا فناء لها إلا بالموت"[3] .

وفي سبيل نجاح العلاقات الاجتماعية بين الأفراد قدّم ابن حزم نصائح جمة:"...لا تجد اثنين يتحابان إلا وبينهما مشاكلة واتفاق في الصفات الطبيعية، لا بدّ هذا وإن قلّ، وكلما كثرت الأشباه زادت المجانسة وتأكدت المودة"[4] واستدل على ذلك بحديث للنبي صلى الله عليه وسلم: " **الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف**"[5] .

---

[1]- المصدر نفسه، ص 59 – 60 .

[2]- نفسه، ص 60 .

[3]- ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن "حزم طوق الحمامة"**، المصدر السابق، **ج 01**، ص 96 .

[4]- المصدر نفسه، ص 97 .

[5]- حديث صحيح أخرجه مسلم في صحيحه، أنظر: صحيح مسلم بشرح النووي، **كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة**، المطبعة المصرية بالأزهر، ط 01، 1349هـ/1930مـ، **ج16**، ص 185 .

ويواصل في كتبه تقديم تفسيرات تتعلق بالنفس البشرية، حين يتكلم عن الهم وعلاقته بالطمع، مستدلا في ذلك بأمثلة استوحاها من تجربته الشخصية، يقول: " أن جميع أدوار الحياة ومظاهرها تحاول جاهدة من أجل طرد الهم، وكل الناس يتفقون في هذا على اختلاف أنماطهم المتدين ومن لا دين له، الخامل والزاهد والفيلسوف والعازف عن اللذات، فطالب المال يكد في سعيه ليطرد هم الفقر، والساعي للشهرة يجري إليها ليطرد هم الخمول والخفاء، والراغب في اللّذة يطلبها ليطرد هم الحرمان من اللذة، وقل مثل ذلك فيمن أكل وشرب وتزوج ولعب"[1]

هذه النصوص وغيرها تُظهر ابن حزم وكأنه عالم نفس، أو عالم اجتماع، وبالتالي لا يعتبر فقيها فقط، فهو يجيد قراءة النفس البشرية وخصوصياتها وتوجهاتها، مدركا لواقع علاقات الإنسان داخل مجتمعه مقدماّ توضيحات باستطاعتها تصحيح نظرة المجتمع لمختلف الظواهر والعمليات الاجتماعية التي تتعلق بالأفراد .

ومن جانب آخر برز الدور الاجتماعي للمذهب الظاهري في جانب الأخلاق، فنجد ابن حزم من خلال مؤلفه" **طوق الحمامة**" يشعر بالمسؤولية اتجاه المجتمع فيبادر بضرورة دعوة العامة إلى التحلي بالأخلاق الحميدة والالتزام بها محاولا غرسها فيهم،يقول الباحث عبد المجيد تركي: "شعر بواجب أن يغرس الحس الأخلاقي لدى المسلم وأن يربي ضميره بحيث تكون أعماله مطابقة لانعكاساته الخيرة بفطرته"[2]، ففي رسالته "**مداواة النفوس**" خصصّ فصلاً سماه: "**فصل في الاختلاف والسير**"، أورد فيه مجموعة من التوصيات داعيًا إلى ضرورة الالتزام بها:" احرص على أن توصف بسلامة الجانب، وتحفّظ من أن توصف بالدهاء فيكثر المتحفّظون منك، حتى ربما أضرّ ذلك بك وربما قتلك"[3]،

---

[1]- ابن حزم الأندلسي، المصدر السابق، **رسائل ابن حزم الأندلسي(رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل)**، ص 326 .

[2]- عبد المجيد تركي، المرجع السابق ص 184 .

[3]- ابن حزم الأندلسي، **مداواة النفوس**، المصدر السابق، ص 347 .

وقال

أيضا: "طوبى لمن علم من عيوب نفسه أكثر مما يعلم الناس منها"[1] ، ومن دون شك قد تأثر العامة بهذه التوصيات فاستحسنوها وأخذوا بها .

من خلال مؤلفات ابن حزم حول النفس البشرية وما يتعلق بها استطاع الفقيه الظاهري بفضل بصيرته وذكائه حل كثير من المشاكل الاجتماعية المطروحة كتلك المتعلقة بالزهد، حيث تجادل الناس كثيرا حول موضوع الفقر والغنى أيهما أفضل؟ الغني أو الفقير، ولما سئل ابن حزم عن ذلك:" البلاء أفضل أم العافية والفقر أفضل أم الغنى؟ أجاب دون تردد: هذا سؤال فاسد، إنما الفضل للعباد بأعمالهم...ونحن نسأل الله تعالى العافية والغنى ونعوذ بالله من البلاء والفقر، وإنما الفضل بالصبر والشكر"[2] .

هذه إجابة دقيقة من دون شك أخذ بها الكثير من أفراد الأمة الإسلامية جمعاء، في مقدمتهم الفقهاء .

هذا ويعتبر الفقيه الظاهري ابن حزم الأندلسي واضع اللبنة الأولى لتأسيس علم الاجتماع، فقد مهّد الطريق لعبد الرحمن بن خلدون لوضع حجر أساس هذا العلم[3]، يقول إحسان عباس:" فذهبت أقارن بين الرجلين، ودلتني المقارنة على اتفاقهما في بعض المظاهر، مثل اعتقادهما أن التاريخ علم شريف للغاية..."[4]، ثم يذكر جملة ما يتفق فيه الرجلان كإبطال علم النجوم، والإيمان بسلامة البداوة في أجسام أهلها واستغنائهم عن علم الطب[5]، هذا كله موجود في مقدمة ابن خلدون .

ثم يستطرد إحسان عباس في الكلام عن هذا الموضوع قائلاً:" ابن حزم يظل مقدمة صالحة للفكر الإسلامي كما يمثله ابن خلدون من خلال النظرة للتاريخ وتقديره لمعنى التعاون في الحياة الاجتماعية"[6].

---

[1]- ابن حزم الأندلسي، **مداواة النفوس**، المصدر السابق، ص 347 .

[2]- المصدر نفسه، ص 329 .

[3]- نفسه، ص 331 .

[4]- نفسه، نفس الصفحة.

[5]- نفسه، نفس الصفحة

[6]- نفسه، ص 332 .

إذن لقد فهم ابن حزم المجتمع المغربي جيدا ويظهر ذلك جليا من خلال رسالته"**التلخيص لوجوه التخليص**"، التي استطاع من خلالها كتابة صفحة مهمة من صفحات التاريخ الاجتماعي والاقتصادي للأندلس[1]، هذا بعينه دور اجتماعي آخر للمذهب، فيعتبر هذا الكتاب من أبرز ما ألّف حول النفس البشرية، فيرى فيها أن أفضل الأعمال ثلاثة متدرجة كلها تجعل الفرد يتحمل المسؤولية الاجتماعية " أولها عمل العالم الذي يعلم الناس دينهم، وثانيها الحاكم العادل الذي يشارك رعيته في أعمال الخير في ظل عدله وأمن سلطانه، وثالثها المجاهد في سبيل الله"[2] .

إنّ الدور الاجتماعي للمذهب الظاهري يبدو واضحاً وجلياً أيضا في كتب النوازل التي تضمنت فتاوى أصدرها فقهاء المذهب حول مختلف المسائل الطارئة على أهل بلاد الإسلام، فقد دوّن لنا الونشريسي في موسوعته الفقهية "**المعيار**" مجموعة من النوازل ذات طابع اجتماعي أفتى فيها الظاهرية من الفقهاء بإصدارهم مجموعة من الفتاوى، فابن حزم أفتى في عدة مسائل منها:" **سلخ جلد الإنسان**"، فحرّم ذلك بقوله :"وسئل سيدي محمد بن مرزوق رحمه الله عما حكا ابن حزم من الاتفاق على أنه لا يحل سلخ جلد الإنسان ولا استعماله فإنه غريب..."[3]، كما أفتى في علاقة المسلمين بأهل الذمة في بلاد الإسلام وما ينبغي للذميين للإقامة بين المسلمين، قال موافقا للعلماء: "أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب على أن لا يحدثوا كنيسة ولا بيعة..."[4] .

ومن المواضيع الاجتماعية التي أدلى فيها فقهاء المذهب الظاهري برأيهم قضية الزواج المتعلق بزواج المسلم مع الكتابيات الذي أباحه الإسلام وحرّمه مع غيرهم من أصناف المشركين ودليل إباحته في قوله تعالى: "ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ

---

[1]- ابن حزم، المصدر السابق، **رسائل ابن حزم (رسالة في الرد على ابن النغريلة)**، ج **03**، ص 32 .

[2]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[3]- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي ت (914هـ/1508م)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، 1401هـ- 1981م، ج **01**، ص 73 .

[4]- الونشريسي ، المصدر السابق، ج **02**، ص 259 .

ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِيٓ أَخۡدَانٖۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ۝٥ [1] .

إنّ العلماء استدلوا بهذه الآية لإباحة الزواج بالكتابيات، وباعتبار الزواج بالنصرانيات كان شائعا بالأندلس كثر الكلام حوله من قِبل الفقهاء والعلماء، لكن ما يهمني رأي الظاهرية في الموضوع، فهذا الفقيه الظاهري ابن حزم أفاض في الكلام عن مدى إباحته الزواج من الكتابيات فقال: "وجائز للمسلم نكاح الكتابية وهي اليهودية والنصرانية والمجوسية بالزواج ولا يحل له وطء أمة غير مسلمة بملك اليمين ولا نكاح كافرة غير كتابية أصلا"[2] .

لقد فصّل ابن حزم في الحديث عن موضوع نكاح الأصناف التي ذكرها سابقاً، فأما نكاح الكافرة غير الكتابية لا يحل وطؤها بزواج ولا بملك يمين، وأما المجوسية يحل نكاحها لأنها كتابية[3] .

أما قضية ما يقدمه أهل الكتاب من ذبائح للمسلمين فقال فيه: " كل ما ذبحه أو نحره يهودي، أو نصراني، أو مجوسي، نساؤهم، ورجالهم، فهو حلال لنا وشحومها حلال إذا ذكروا اسم الله تعالى كما أنه لا يحل أكل ما ذكاه غير اليهودي والنصراني والمجوسي"[4]،

---

[1]- سورة المائدة، الآية رقم : 05 .

[2]- ابن حزم الأندلسي، **المحلى، النكاح والطلاق**، المصدر السابق، **ج09**، ص 12 .

[3]- المصدر نفسه، ص 16- 17 .

[4]- ابن حزم الأندلسي، **المحلى، كتاب التذكية، ج06، ص 143** ./ خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين العبدلي الغامدي، **الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي (96هـ) حتى سقوط غرناطة (897هـ) دراسة عقدية**، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط 01، 1429هـ/2008مـ، ص، ص 582 .

مستشهدا بقوله تعالى:" ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ ۝٥ "[1] .

إذن لقد قدم فقهاء المذهب الظاهري لمجتمع بلاد المغرب خدمات اجتماعية جليلة، حيث ساهموا في استقرار الجبهة الاجتماعية، كما حاربوا أصحاب البدع ووقفوا ضدهم حصنا منيعا، ومن خلال مؤلفاتهم استطاعوا معالجة مجموعة من القضايا الاجتماعية.

[1] - سورة المائدة، الآية رقم (05) .

02- دور المذهب الظاهري دينيًا:

لقد قدّم المذهب الظاهري إضافة إلى الأدوار السابقة خدمة جليلة للإسلام من خلال إسهامات فقهائه الذين لم يقصّروا إطلاقاً في خدمة العقيدة، والفقه، والسُّنّة النبوية الشريفة .

فأما العقيدة الإسلامية من واجب العلماء الدفاع عنها أمام كل خطر يشوش عليها ويعكّر صفوها، فكان لزاما على أهل العلم مواجهة ذلك التشويش بالرد على الطاعنين فيها والمنكرين لها، فعلماء الأمة قدّموا جهودا عظيمة في الدفاع عنها اتجاه أصحاب الديانات المخالفة من يهود ونصارى، فاجتهدوا كثيرا حتى تعرفوا على عقائد هؤلاء وتبيّن لهم مواطن الاختلاف بين عقيدتهم وعقائدهم، ذلك سّهل عليهم إثبات أفضلية العقيدة الإسلامية على بقية العقائد الفاسدة، ولم يكتفِ علماء الأمة بهذا فقط، بل ناظروهم وعارضوهم وجادلوهم، وتاريخنا الإسلامي مليء بالأمثلة عن فطاحل العلماء الذين وقفوا في وجه الطاعنين في عقيدتنا، في مقدمتهم فقهاء المذهب الظاهري .

لقد دافع الظاهرية وذادوا عن الإسلام في بلاد المغرب الإسلامي فتقدوا مخالفيه من أهل الكتاب كما نقدوا عقائدهم الفاسدة حيث اهتموا بعلم مقارنة الأديان وكذا تاريخ الأديان[1]، باعتبار المنطقة كانت موطناً لمختلف العناصر البشرية كأهل الذمة – اليهود والنصارى- .

إن الكتابيين قد عاشوا بين المسلمين في أمن وأمان وتسامح كبير، لم ينعموا به في فترات سابقة، فقبل الفتوحات الإسلامية (العهد البيزنطي) حرّم الرومان التعامل الاقتصادي معهم ومنعوهم من لمس المنتوجات الزراعية باعتبارهم نجس، الأمر نفسه استمر مع القوط في شبه جزيرة إيبيريا بل فرضوا عليهم التنصر ومنعوهم من تقلد أبسط المناصب، لكن في

[1] – يعنى بمعرفة التطورات التاريخية التي صاحبت مختلف الديانات، وتاريخ صاحب الرسالة، وكذلك دراسة تاريخ تواتر الكتب المقدسة ومقارنة الأديان من حيث العقائد كالألوهية بين الإسلام واليهودية والنصرانية وكذلك النبوة بين الديانات الثلاث، أو دراسة النسخ بين هذه الأديان، ومن الممكن أن تتم المقارنة أيضا على مستوى الشرائع كالزواج، وغير ذلك من أحكام الأسرة، وباقي الأحكام التشريعية الأخرى، إضافة إلى مقارنة الطقوس، والشعائر، أو العبادات بين الأديان كالصلاة والزكاة والصوم والحج . ينظر: خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص10 .

العهد

الإسلامي تغيرت أحوالهم واستطاعوا أن يصلوا إلى أرقى المناصب، الأمر الذي ساعدهم على سرعة الاندماج في المجتمع الإسلامي[1] .

فأحوال اليهود تغيرت كثيرا في الفترة الإسلامية مقارنة بالفترة الرومانية حيث استطاعوا الوصول إلى مناصب راقية (الوزارة)، ففي عصر الفقيه الظاهري ابن حزم الأندلسي استطاع اليهودي ابن النغريلة[2] الوصول إلى منصب الوزارة أواسط القرن الخامس الهجري (11مـــ)، فكان وزيرا لحَبُوسْ حاكم غرناطة ثم لابنه باديس بن حبوس، ولما مات هذا الوزير خلفه ولده يوسف بن النغريلة الذي استولى على الدولة في عهد باديس مستغلا منصبه في الاستطالة على المسلمين[3]، فتسلّط على الدولة وقرّب اليهود إليه وحاول تهويد البلاد بنشر لغتهم والتهجم على الإسلام فكتب رسالة انتقد فيها كتاب الله وصفا إياه بالتناقض في سوره وآياته[4] .

تطاول اليهودي ابن النغريلة على الإسلام وأصوله وأتباعه دفع علماء الإسلام إلى الوقوف ضده، فالفقيه الظاهري ابن حزم وجد نفسه مجبرا على مواجهته رغم عدم إتقانه

---

[1]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص 69 / 20 .

[2]- إسماعيل بن النغريلة (383-448هـــ/ 993-1056مـــ) لم يكن أندلسي الأصل، بل كان أهله من الطارئين عليها، إذ هو غريب عن الأندلس وغرناطة نشأ بقرطبة وأجبرته فتنة البربر سنة (399هـــ/1008مـــ) إلى الهجرة منها، فسكن مالقة وافتتح هناك دكانا، وبقرطبة درس التلموذ ودرس الأدب العربي حتى أصبح بارعا في العربية، الأمر الذي أهله ليكون كاتبا عند أبي العباس وزير حبوس وكاتبه الأعلى، فلما توفي أبو العباس خلفه ابنه على الكتابة وكان صغير السن، فأصبحت شؤون الديوان في يد إسماعيل، فأخذ يتقرب إلى باديس طمعا في منصب مهم، شارك إسماعيل في تدبير مؤامرة دبرها مع بعض المتؤامرين لإزاحة باديس عن الإمارة، لكن إمعانا منه في طلب الحظوة كشف أمرها لباديس، لهذه الأسباب اتخذه باديس وزيرا له، وأثبت الكفاءة في السياسة، له عدة مؤلفات منها: **مقدمة للتلموذ بالعبرية**، وكتب اثنان وعشرون مؤلفا في النحو، كما كان شاعرا وله في الشعر ديوانا، بلغ إسماعيل منزلة كبيرة في دولة بني زيري في غرناطة، حتى أن اليهود تمكنوا من المناصب الإدارية والمالية بسببه، ولما توفي خلفه ابنه يوسف ابن النغرلة على الوزارة، قدّمه باديس أول على العمال والجبايات، ينظر: ابن حزم، المصدر السابق، **رسائل ابن حزم (رسالة في الرد على ابن النغريلة)، ج03**، ص – ص 07 – 15 .

[3]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص 20- 21 .

[4]- عماد جميل عبد الرحمن عبيد، **جهود ابن حزم في جدال اليهود**، قدم هذا البحث استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة، إشراف الدكتور، جابر زايد السميري، الجامعة الإسلامية غزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، 2007 مـــ / 1428هـــ، ص 119 .

لغتهم

العبرية[1]، لكنه اجتهد في تعلمها حتى يتمكن من الاطلاع على عقائدهم بدراسة كتبهم – التوراة – "...الأمر جعله يطلع على أسفار التوراة فدرسها دراسة مستأنية"[2].

انكباب ابن حزم على دراسة لغتهم وتراثهم سهّل عليه الردّ على افتراءاتهم وشكوكهم حول عقائد الإسلام عن طريق الجدال والمناظرة التي يدعمها الدليل والحجة، فالردّ على الافتراءات يتطلب معرفة تامة بعلم المناظرة الذي أتقنه الفقيه الظاهري .

وحتى يُقِيمَ عليهم الحجج استعان بمصادر عديدة منها القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف باعتبارهما أصلين أساسيين في المذهب الظاهري، إضافة إلى أقوال الصحابة، ناهيك عن الكتب المقدسة لدى الملل الأخرى "الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد"[3] للرد على الطاعنين المتطاولين على العقيدة الإسلامية، فهؤلاء – أهل الذمة – جادلهم القرآن في عقائدهم الفاسدة في أكثر من موضع، كما جادلهم النبي صلى الله عليه وسلم، وصحابته والتابعون، وتابعو التابعين، وتابعوهم، ومن بعدهم فطاحل علماء الأمة، قبل أن يجادلهم فقهاء المذهب الظاهري، وفي مقدمتهم ابن حزم، الذي التزم الموضوعية في دراسة المسيحية:" كانت دراسة ابن حزم للمسيحية بعيدة عن التمييز العنصري أو الثقافي أو الديني "[4].

لقد اعتمد ابن حزم على وسيلتين لمواجهة افتراءات اليهودي ابن النغريلة، الوسيلة الأولى تمثلت في المناظرات هدف من ورائها إلى تفنيد ادعاءاتهم حول الإسلام: " ولهذا

1- أو العبرانية لغة اليهود أو لسان اليهود. ينظر: شوقي ضيف وآخرون، المرجع السابق، ص 580 .

2- ابن حزم، **رسالة في الرد على ابن النغريلة**، المصدر السابق، **ج 03**، ص 17 .

3- عند أصحابه الكتاب المقدس كتاب أوحى به السيد الرب يهوه من أجل كل الناس على هذه الأرض، وحسبهم لهذا الكتاب جاذبية عالمية لأنه يحتوي على بشارة ملكوت الله الذي سيثبت السلام والبر، فتصير الأرض فردوسا للجميع. ويظهر الكتاب المقدس أن الله خلّص بمحبته عالم البشرية الخاطئة من الموت، وذلك بواسطة ذبيحه يسوع المسيح الفدائية، وهذا يتنافى مع ديننا الحنيف والقرآن الكريم الذي نسخ كل الديانات والكتب السماوية السابقة، كتب في الأصل بالعبرانية والأرامية، واليونانية، وحاليا ترجم إلى عدة لغات يضم في ثنيات مجموعة أسفار منها سفر التكوين، وسفر يشوع، وسفر صموئيل، وسفر عاموس ، وسفر يونان.... . ينظر: **الكتاب المقدس**، ترجمة العالم الجديد، WATCH TOWER BIBLE AND TRACT SOCIETY OF NEW YORK , INC. BROOKLIM, NEW YORK, U.S.A- Editions les Témoin de Jéhovah de France (ass.19901) 11 , rue de Seine, 92100Boulogne – Billancourt, طبعة فبراير، 2015مـــ، ص 06 -05 .

4 - Khadijah Mohd Khambali, opcit, p : 248 .

الشيخ

أبي محمد مع يهود لعنهم الله ومع غيرهم من أولي المذاهب المفروضة من أهل الإسلام مجالس محفوظة وأخبار مكتوبة"[1]، منها مناظرته للطبيب الإسرائيلي إسماعيل بن يونس دعاه فيها للإسلام، كاشفا خبث وحقد اليهود على المسلمين[2] .

أما الوسيلة الثانية فتمثلت في الكتابة والتأليف التي بيّن من خلالها صحة شريعة الإسلام وفساد عقائدهم، فكتب في ذلك عدة رسائل منها:"**رسالة للرد على ابن النغريلة**"، وضّح فيها أسباب تأليفه لها قائلاً:"...فانتسخت الفصول التي ذكرها ذلك الراد عن هذا الرذل الجاهل، وبادرت إلى بطلان ظنونه الفاسدة بحول الله تعالى وقوته..."[3] .

إنّ أهم ورد في رسالته في الرد على اليهودي ابن النغرلة قوله:"...ولعمري إن اعتراضه الذي اعترض به ليدلّ على ضيق باعه في العلم، وقلة اتساعه في الفهم على ما عهدناه عليه قديما، فإننا ندريه عاريا إلا من المخرقة، سليما إلا من الكذب..." [4] .

وكتب أيضا رسالة أخرى للرد عليه سمّاها:"**رسالة إلى من ولاهم ومكنهم من رقاب المسلمين وهم البربر أسماها " فضائح البربر**"[5] .

هذا إضافة إلى تأليفه كتب أخرى فضح فيها اليهود والنصارى وبيّن فساد عقائدهم منها: كتاب "**الصادع والرادع على من كفر من أهل التأويل من فرق المسلمين**"[6]، وكتاب "**الفصل في الملل والأهواء والنحل**"، أحد أشهر كتب مقارنة الأديان على الإطلاق " إن كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل يشهد بسعة اطلاع مؤلفه ابن حزم، إذ أفرد فيه حيزا كبيرا للمسيحية وفرقها وأورد ملخصا عن نشأة كل فرقة، ومدى انتشارها...إن هذه

---

[1]- ابن حزم، المصدر السابق، **ج 03**، ص 15 – 16./ ابن حزم، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق محمد إبراهيم نصر، و عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، لبنان، د ت، ج01، ص 21 .

[2]- عماد جميل عبد الرحمن عبيد، المرجع السابق، ص 121 .

[3]- ابن حزم، **رسالة في الرد على ابن النغريلة** ،المصدر السابق، **ج 03**، ص 42 .

[4]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[5]-عماد جميل عبد الرحمن عبيد، المرجع السابق، ص 119 .

[6]- محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 531 .

البيانات على إيجازها تعدبالغة الدقة"[1]، وكتاب" **الأصول والفروع**"الذي يندرج ضمن كتب مقارنة الأديان، تعرض فيه بالنقد لبعض الملل، وخصّص فصولا مطولة للحديث عن الاعتراض على جهلة الملحدين على ضعف المسلمين[2]، وكتاب:" **الرد على أناجيل النصارى**" يعد الكتاب من أهم المصنفات في الجدل، نسبه له الذهبي علمًا أن الكتاب غير متوفر لا مطبوع ولا مخطوط، وبذلك يعد من الكتب المفقودة[3] .

وفيما سيأتي سأركز على دور ابن حزم في الدفاع عن العقيدة الإسلامية من خلال رسالته "**الرد على ابن النغريلة**" .

في رسالته هذه ذكر ابن حزم افتراءات اليهودي ضد القرآن والإسلام، وفي نفس الوقت ردّ عليه، فهذا اليهودي اعترض كثيرا على القرآن بزعمه فذكر قول الله تعالى:"وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴿٧٨﴾[4] .

.

إنّ اليهودي فسّرا لآية الكريمة على هواه قائلاً: "بأن ما أصابهم من حسنة فمن الله وما أصابهم من سيئة فمن عند محمد"، قال ابن حزم: "لو كان لهذا الجاهل الوقح أقل بسطة أو أدنى حظ من التمييز لم يعترض بهذا الاعتراض الساقط الضعيف"[5].

إنّ هجمات اليهودي على الإسلام كثيرة ذكرها ابن حزم وردّ عليها في رسالته مستعينا في ذلك ببعض الأبيات الشعرية منها قوله:

لنا كل علم من قديم ومحدث * وأنتم حمير داميات المحازم**

---

[1]- ابن حزم، **الفصل**، المصدر السابق، ج**01**، ص 21 ،خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص 32 .

[2]- خالد عبد الحليم، المرجع السابق، ص 37 .

[3]- المرجع نفسه، نفس الصفحة .

[4]- سورة النساء، الآية رقم: 78 .

[5]- ابن حزم، **رسالة في الرد على ابن النغريلة**، المصدر السابق، ص 43 .

أتيتم بشعر باردٍ متخاذل * ضعيف معاني النظم جم البلاعم**

فدونكها كالعقد فيه زمرد ***ودر وياقوت بإحكام حاكم[1]

لقد اتسم أسلوب ابن حزم في جداله مع النصارى واليهود بالحدة السخرية والاستهزاء، ومن الأمثلة على ذلك ردّه على اليهودي حين أثبت أن استعباد اليهود أقل من أربعمائة سنة بسنين طويلة، فاعتذر اليهودي بأن الأربعمائة سنة تحسب من مخاطبة الله لإبراهيم عليه السلام عن هذا الاستعباد، فاستنكر ابن حزم كلامه وعلّق عليه قائلا: "ورأيت لنذل منهم مقالة ظريفة، وهي أنه ذكر هذه القصة وقال : إنما ينبغي أن تعد هذه الأربعمائة سنة من حين خاطب الله عز وجل إبراهيم هذا الكلام"[2] .

إنّ ما طرحه اليهودي من أفكار قابله ابن حزم باستهزاء كبير فقال:" فأراد هذا الساقط الخروج من مزبلة، فوقع في كنيف عذره، لأنه جاهر بالباطل، وتعجل الفضيحة، ونسب الكذب إلى الله تعالى..."[3] .

وسخر منهم أيضا في مواضع عدة في كتابه الفصل، فقال في طلب اليهود مأكولات معينة: " ثم وصف قيام بني إسرائيل على موسى عليه السلام، وطلبه منه اللحم للأكل وذكروا شوقهم للقرع، والقثاء، والبصل، والثوم، الذي تشبه رائحته في الروائح عقولهم في العقول"[4] .

ما يلاحظ على كتابات ابن حزم في الرد على اليهود والنصارى توظيف المذهب الظاهري، حيث ذكر عدة نصوص من التوراة وردّ عليها من ظاهرها، منها على سبيل المثال لا الحصر قضية صلب المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: "أن قال قائلهم:" قد نقلت اليهود والنصارى أن المسيح عليه السلام قد صلب وقتل وجاء القرآن بأنه صلى الله عليه وسلم لم يقال و لم يصلب"[5].

---

[1]- خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين العبدلي الغامدي، المرجع السابق، ص 467 .

[2]- ابن حزم، **الفصل**، المصدر السابق، **ج01**، ص 216 .

[3]- المصدر نفسه، نفس الصفحة .

[4]- انفسه، ص 277- 278 .

[5]- ابن حزم، **الفصل**، المصدر السابق، **ج01**، ص 122 .

لقد طلب ابن حزم منهم توضيح ذلك ثم ردّ عليهم بما يوافق أصول مذهبه فقال:" فإن جوزتم على هذه الكواف العظام المختلفة الأهواء، والأديان، والأزمان، والبلدان، والأجناس نقل الباطل، فليست بذلك أولى من كافتكم التي نقلت أعلام نبيكم وشرائعه وكتابه...وقولوا لنا كيف فرض الإقرار بصلب المسيح عنكم قبل ورود الخبر عليكم ببطلان صلبه وقتله .فإن قلتم كان الفرض على الناس الإقرار بالصلب وجب من قولكم الإقرار أن الله فرض على الناس الإقرار بالباطل، وأن الله تعالى فرض على الناس تصديق الباطل والتدين به، وفي هذا ما فيه"[1]

حتى تكون أدلة ابن حزم في إبطال عقائد أهل الكتاب وإثبات صحة عقائد المسلمين قوية ومقبولة لدى العقل البشري أثبت تحريف التوراة والإنجيل بعد دراسة شاملة للكتاب المقدس وغوصه العميق في تاريخ بني إسرائيل حتى تمكن من معرفة الطريقة التي تواترت بها كتبهم، وفي نفس الوقت قارنها بالطريق التي وصلت بها شرائع الإسلام إلينا المعتمدة أساساً على الإسناد المتين"...وإما بنقل جماعة عنه وهو نقل كافة وإما برواية الثقات واحد عن واحد حتى يبلغ الرسول صلى الله عليه وسلم"[2]، حيئنذ وصل ابن حزم إلى نتيجة واحدة هي أن كتاب اليهود المقدس فيه كثير من التحريف والكذب على ذات الله تعالى"هذه الإلزامات كلها فاسدة في غاية الحوالة... ونحن مبينون ذلك بالبراهين الضرورية بيانا لا يخفى على من له أدنى فهم بحول الله تعالى وقوته"[3] .

إذن بعد الدراسة المتأنية للكتاب المقدس من قبل ابن حزم ثبت عنده التحريف فقال: " ونحن نصف إن شاء الله تعالى حال كون التوراة عند بني إسرائيل من أول دولتهم إثر موت موسى عليه السلام إلى انقراض دولتهم، إلى رجوعهم إلى بيت المقدس إلى أن كتبها لهم عزرا الوراق بإجماع من كتبهم، واتفاق من علمائهم دون خلاف يوجد من أحد منهم

[1]- ابن حزم، **الفصل**، المصدر السابق، **ج01**، ص 122 .

[2]- ابن حزم، **المحلى**، تحقيق عبد الغفار سليمان البندراني، **ج01**، ص 50 .

[3]- ابن حزم، **الفصل**، المصدر السابق، **ج01**، ص 123 .

في ذلك وما اختلفوا فيه من ذلك نبهنا عليه، ليتيقن كل ذي فهم أنها محرفة مبدلة"[1]، ثم راح يثبت صحة عقائد المسلمين وأن كتابهم قد نسخ أحكام الإنجيل والتوراة[2] .

إنّ مؤلفات ابن حزم عرفتنا بشخصيته العلمية القوية غير المتسامحة مع الطاعنين في عقائد المسلمين من يهود ونصارى فهؤلاء وجب جهادهم بما توفر من سبل وإمكانات قال تعالى: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٧٣"[3].

هذا و لم يقتصر دفاع فقهاء المذهب الظاهري عن عقائد المسلمين على ابن حزم فقط بل برز منهم فقهاء آخرون دافعوا عن شرائع الإسلام إلى غاية وفاتهم أمثال الفقيه أبو القاسم جعفر بن مسرور الأبزاري المعروف بابن المشاط المتوفى سنة (349هـ/960) الذي كان يحسن الرد على الملحدين[4] .

عموما إنّ الثقة التي وضعها حبوس وأبنائه من بعده في اليهود لم تكن في محلها، فمعروف عن اليهود نقض العهود والخيانة وعدم الاعتراف بالجميل، فبعد ضعف المسلمون في الأندلس توجهوا نحو خدمة المسيحيين الذين اضطهدوا أسلافهم قبل الفتوحات الإسلامية بل أصبحوا عملاء فساعدوهم في الهجمات الصليبية التي تعرضت لها المنطقة (عملية الاسترداد المسيحي) .

إضافة إلى دور المذهب الظاهري في الدفاع عن الإسلام وعقائده، فقد كان لفقهائه أدوار أخرى حيث قدّموا خدمة جليلة لعلمي الفقه وأصول الفقه، ففقهاء المذهب كانت بصماتهم واضحة في مجال التشريع حتى وإن لم يرقى مذهبهم إلى درجة المذاهب الفقهية الأربعة المشهورة، فقد ساهموا في إصدار فتاوى تخص ما استجد من أحداث كان لها أثر

---

[1]- المصدر نفسه، ص 287 .

[2]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص 208 .

[3]- سورة التوبة، الآية رقم : 73 .

[4]- القاضي عياض، **ترتيب المدارك**، المصدر السابق، **ج 05**، ص 143 .

عظيم في التشريع الإسلامي، كما قدم نوعية جديدة من الأحكام غير موجودة في المذاهب الأخرى بتطبيق حرفية النصوص [1].

يعتبر الفقيه الظاهري ابن حزم الأندلسي أكثر فقهاء المذهب خدمة لعلم الفقه:" كل من أنصف علم أن الإمام محمد علي بن حزم هو من ذلك الصنف من الرجال الذين لا يسع المرء إلا احترامهم وإكبارهم وإن وسعه مخالفتهم ومباينتهم، فإن صدق السعي، وصحّة الإرادة، وحسن التحري، وقوة الإخلاص هي صفات يعذر بها المخالف وإن اشتط في المخالفة...وابن حزم من أولئك القلائل الذين تركوا آثارا عظيمة فيمن بعدهم، واعتنوا بتقويم المسالك وإصلاح الخطط..."[2]، وله أيضا أسبقية التجديد في ميدان أصول الفقه بعد الإمام الشافعي رحمه الله ففتاوى وأحكام ابن حزم اعتبرت لونا جديدا في الفقه [3] .

إن ما جاء به ابن حزم من تجديد في الفقه له إيجابياته وسلبياته، أما إيجابياته فمنها: تعظيم نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة فجل مؤلفاته تدور حول الأصلين، وتعظيم الحديث النبوي الشريف فقد تشدد في قبول الحديث الصحيح مخالفا لما اشترطه أئمة بقية المذاهب أما الحديث الضعيف فرفضه رفضا قاطعا في قوله " وليعلم من قرأ كتابنا هذا أننا لم نحتج إلا بخبر صحيح من رواية الثقات مسند، ولا خالفنا إلا خبرا ضعيفا فبيّنا ضعفه، أو منسوخا فأوضحنا نسخه وما توفيقنا إلا بالله تعالى"[4]، وأما سلبياته فهي العمل بظاهر النص وإنكار القياس فعطّل أهم وسيلة في الاجتهاد (القياس) .

يظهر التجديد الذي جاء به المذهب الظاهري في أصول الفقه في مؤلفات ابن حزم منها: كتاب "**المحلى**" الذي جمع فيه مسائل فقهية مختصرة، يقول ابن حزم: "وفقنا الله وإياكم لطاعته فإنكم رغبتم أن نعمل للمسائل المختصرة التي جمعناها في كتابنا الموسوم بـــ"**المجلى**" شرحا مختصرا أيضا نقتصر فيه على قواعد البراهين بغير إكثار، ليكون مأخذا

---

[1]- عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق، ص/ ص 257- 263

[2]- أبو الفضل عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم، **الإمام ابن حزم ومنهجه التجديدي في أصول الفقه**، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع القاهرة، ط 01، 1422هـ/2001م، ص 13 .

[3]- أبو الفضل عبد السلام بن محمد بن عبد الكريم، المرجع السابق، ص 14 .

[4]- ابن حزم الأندلسي، **المحلى، المصدر السابق، ج01**، ص 21

سهلا على الطالب المبتدئ، ودرجا له إلى التبحر في الحجاج، ومعرفة الاختلاف، وتصحيح الدلائل المؤدية إلى معرفة الحق مما تنازع الناس فيه، والإشراف على أحكام القرآن، والوقوف على الثقات من رواة الأخبار، وتمييزهم من غيرهم، والتنبيه على فساد على جمهرة السنن الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتمييزها مما لم يصح..."[1].

فكتاب المحلى يكتسي أهمية عظيمة بين دواوين المسلمين فالقارئ له "يعلم بيقين أنه ديوان من دواوين الإسلام العظيمة التي ينبغي العناية بها، والحرص عليها، والبال على خدمتها، والنهل من معينها الصافي..." [2]، فصاحبه لم يكتفِ بذكر اجتهاداته فقط بل "ضمّنه فقه الكتاب والسنة، وسلف هذه الأمة، وفقه الصحابة والتابعين، وكثير من كبار الفقهاء الذين صارت مذاهبهم شبه منقرضة..."[3]، قال حفيد مؤلف كتاب "**معجم فقه ابن حزم الظاهري**" الدكتور محمد حمزة بن علي الكتاني كلاماً جميلاً عن المحلى واصفا مزاياه ومرتبته بين باقي كتب الفقه : "ولعل أهم ما وصلنا من كتب الظاهرية التي دونت مذهبهم، ونصرت آراءهم : "**كتاب المحلى بالآثار**" لابن حزم والذي يعد – وهو مختصر "**الإيصال**" له المفقود جله- موسوعة فقهية ضخمة، قل أن أُلِّفَ على منوالها، بحثٌ في الدلائل من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة وأئمتها المجتهدين، والمناظرة على ذلك، قال فيها الإمام الحافظ المجتهد أبو الإسعاد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني : "من لم ير المحلى في الفقه، لم ير شيئا..."[4]، لأن المحلى لا يعد كتاب فقه فقط بل يمكن إدراجه في حقل ما نسميه بكتب الفقه المقارن، فهو يستعرض آراء فقهاء عصره[5].

---

[1]- نفسه، نفس الصفحة .

[2]- محمد بن شديد بن شداد الثقفي، **إلزامات ابن حزم الظاهري للفقهاء من خلال كتابه المحلى من أول كتاب الصلاة إلى نهاية كتاب الزكاة دراسة وتقويما**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه الإسلامي، إشراف فضيلة الشيخ سعيد بن درويش الزهراني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الشريعة ، شعبة الفقه، 1431هـ 1432هـ، الرقم الجامعي: 42870006، ص 50 .

[3]- محمد بن شديد بن شداد الثقفي، المرجع السابق، ص 50 .

[4]- الشريف محمد المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الحسيني، المرجع السابق،**ج 01**، ص 03 .

[5]- ابن حزم الأندلسي، **المحلى** ، المصدر السابق، **ج 01**، ص 03 .

إنّ دور المذهب الظاهري في خدمة الفقه لم يقتصر على ابن حزم فقط، بل كان لبقية فقهاء المذهب إسهامات من خلال التأليف في هذا الحقل أمثال: الفقيه منذر بن سعيد البلوطي، الذي ألف في الفقه كتاباً سماه: "**الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله**"[1].

والفقيه علي بن سعيد الميورقي له كتاب سماه "**تعليقا في مذهب الشافعي**"[2]، والفقيه أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي مولاهم "أبو العباس النباتي"، من أهل اشبيلية يكنى أبا العباس، كناه ابن فرتون أبا جعفر، على يده انتشرت كتب ابن حزم استنسخها وأظهرها واعتنى بها وأنفق عليها أموالا جمّة، حتى استوعبها جمل، ولد في محرم من سنة (561هـ/1165مـ) وتوفي باشبيلية مستهل ربيع الآخر سنة (637هـ/1239مـ)[3]، والفقيه السرخسي شيخ الشيوخ تاج الدين، أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، كان له رحلة إلى المغرب وهو من بيت كبير، برع في الفقه حيث رجع إليه فقهاء زمانه في الفتوى، وله فيه مجموعة فتاوى من اجتهاده[4] .

إنّ خدمة ظاهرية بلاد المغرب للفقه استمرت لسنوات وقرون بل ما زالت اجتهاداتهم يأخذ بها في زماننا هذا، لكن تعتبر فترة دولة الموحدين من بين أزهى فترات المذهب، ففيها اجتهد فقهاء المذهب وقدّموا خدمة جليلة للفقه وأصوله مستفيدين من الدعم السياسي الذي مُنِحَ لهم من طرف خلفاء بني عبد المؤمن، فعلى أيامهم نبغ فقهاء كثر انتحلوا الظاهر أمثال: " أبي الحسن علي بن محمد بن خيار البلنسي الأصل الفاسي، وأبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هارون المراد الأسفي المعروف بابن الكماد، وأبو الخطاب بن دحية الكلبي السبتي، وأخوه أبو عمرو"[5] .

---

[1]- الزركلي خير الدين، المرجع السابق، ص 294 . - المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب**، المصدر السابق، **م 02**، ص 22 .

[2]- ابن بشكوال المصدر السابق، **م 02**، ص 63 – 64 .

[3]- لسان الدين بن الخطيب ذي الوزارتين، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقّق نصه ووضع مقدمته وحواشيه، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 02، 1973مـ، **م 01**، ص 214 .

[4]- المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب**، المصدر السابق، **م 02**، ص 102 .

[5]- محمد المنوني، المرجع السابق، ص 40 .

ومن أدوار المذهب الظاهري في المجال الديني أيضا خدمة السنة النبوية الشريفة التي تعتبر أصل ثابت في استنباط الأحكام الشرعية عند الظاهرية فالمحافظة على النص النبوي والعناية به من أبرز خصائص المذهب، ففقهاؤه جدّوا واجتهدوا في سبيل نشرها وتصحيح ما يجب تصحيحه فيها، فهم لا يعترفون بالحديث الضعيف[1]، أما الحديث الصحيح[2] فقبلوه بشروط تتفق أحيانا مع شروط جمهور المحدثين وتخالفهم أحيانا أخرى، فجمهور العلماء وضعوا شروطا لقبلوه كاتصال السند، وعدالة الرواة، والضبط، والسلامة من الشذوذ، والسلامة من العلة[3] .

أما الظاهرية فوضعوا شروطا محددة لقبوله بناءا على ما قال به الإمام ابن حزم : " إن خبر الواحد العدل عن مثله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوجب العلم والعمل به، وبهذا نقول..."[4] وقوله:"...أن كل خبر رواه الثقة عن الثقة مسندا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الديانة فإنه حق قد قاله عليه السلام كما هو، وإنه يوجب العلم ونقطع بصحته... "[5]،أما الحديث الموضوع فقد رفضه ابن حزم "...ولا يجوز أن يختلط به خبر موضوع أو موهوم فيه لم يقله رسول الله صلى اللهه عليه وسلم..." [6].

---

[1]- عبد القادر بوعقادة، المرجع السابق ، ص 262 .

[2]- الحديث الصحيح عند جمهور المحدثين لغة هو: الصحيح مأخوذ من الصحة، وهي ضد السقم، يقال صححت الكتاب والحساب تصحيحا، إذا كان سقيما فأصلح خطأه. أما اصطلاحا: الحديث الصحيح هو المسند الذي اتصل إسناده بنقل العدل الضابط مثله إلى منتهاه، ولا يكون شاذا ولا معللا. ينظر: حمزة بوروبة، **المسائل الحديثية التي خالف فيها ابن حزم جمهور المحدثين**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى حميداتو، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، (1431-1432هـ/2010-2011مـ)، ص 35 .

[3]- حمزة بوروبة، المرجع السابق، ص 35 – 36 .

[4]- ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام**، نسخة قوبلت على النسخة التي حققها أحمد محمد شاكر، المصدر السابق، ص 119 .

[5]- المصدر نفسه، ص 123 .

[6]- نفسه، ص 123 .

من خلال الشروط التي وضعها الظاهرية في قبول الحديث الصحيح فإنّهم وافقوا جمهور المحدثين في شروط قبوله في حين عارضوهم وخالفوهم في شروط أخرى كمسألتي نفي الشذوذ، ونفي العلة عن الحديث الصحيح[1] .

تلك الشروط التي وضعها الظاهرية في قبول الحديث الصحيح دليل على تمسكهم بنصوص السنة النبوية الشريفة، والمحافظة عليها والسعي على خدمتها، فابن حزم أعاب على المالكية إهمالهم لها وتخليهم عنها حين وصفهم بأكثر الناس تخليا عنها مستدلاً بتطبيقهم حد ثمانين جلدة على شارب الخمر، في حين اكتفى النبي صلى الله عليه وسلم بأربعين جلدة[2] .

عموماً اعتناء الظاهرية من الفقهاء بنصوص القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة مكّنهم من صيانة هذين الأصلين من الشوائب التي كثرت زمانهم وبالأخص ما تعلّق بالأحاديث الموضوعة .

هذا و لم تقتصر خدمة المذهب للسُنة بالمغرب والأندلس على ابن حزم فقط، بل استمرت خلال عصر الموحدين الذين تبنوا المذهب الظاهري مذهبا رسميا فاجتهدوا في خدمة الحديث بداية من واضع نواة الدولة المهدي بن تومرت، وخليفته عبد المؤمن بن علي وصولا إلى آخر حاكم موحدي في بلاد المغرب، هؤلاء كلهم كانوا شديدي الحرص على العناية بالسنة النبوية الشريفة .

فالمهدي بن تومرت كان السباق لذلك فكتابه "**أعز ما يطلب**"[3] عبارة عن آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة، حرص على جمعها من الصحاح والموطأ واستمر أصحابه على ذلك "واستمر أصحابه ابتداء من عبد المؤمن إلى المنصور إلى من جاء بعده من خلفاء الموحدين على هذه الطريقة، ومما يدل على هذا الاهتمام أن يوسف يعقوب المنصور المتوفى سنة (595هـ/1198مـ) أمر جماعة من المحدثين بجمع أحاديث من المصنفات الحديثة

---

[1]- حمزة بوروبة، المرجع السابق، ص 37- 38 .

[2]- عبد المجيد تركي، المرجع السابق، ص 99 .

[3]- للإشارة العنوان الكامل للكتاب هو " **أعز ما يطلب، وأفضل ما يكتسب، وأنفس ما يدخر، وأحسن ما يعمل**" كما ورد ذلك على لسانه مؤلفه . ينظر: محمد بن تومرت مهدي الموحدين، **أعز ما يطلب**، تقديم وتحقيق عمار طالبي، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007 مـ، ص 29 .

العشر في موضوع الصلاة، وما يتعلق بها فجمعوا ما أمرهم بجمعه وكان يمليها بنفسه على الناس. ويأمرهم بحفظها، ويجعل لمن حفظها جوائز مالية ..."[1]، ذلك كله خدمة للمذهب الظاهري الذي تبنّته الدولة .

ولخدمة السنة النبوية الشريفة اعتمد فقهاء المذهب الظاهري من غَيْرَ ابن حزم على التأليف في مواضيعها، حيث كانت عنايتهم شديدة بالحديث وشرحه وتدوينه وتقديمه إلى الناس صحيحا في درجته، فمؤلفات الظاهرية من المغاربة حول السنة النبوية لا تعد ولا تحصى، لذلك سأكتفي بذكر بعض الفقهاء ومؤلفاتهم فيها أمثال:

– **الفقيه عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال بن برجان:** من أهل اشبيلية، يكنى بأبي الحكم أصله من بلاد إفريقية من أجّل رجال المغرب، "كانت له إسهامات كثيرة في التأليف منها كتاب "**الإرشاد**" قصد فيه إلى استخراج أحاديث صحيح مسلم بن الحجاج من كتاب الله تعالى، فتارة يريك الحديث من نص آية، وتارة من فحواها ومفهومها، وتارة أخرى من إشارتها، أو من مجموع آيتين مؤتلفتين أو مفترقتين، أومن عدة آيات، وألف رحمه الله غير ذلك"[2]، توفي بمراكش بعد سنة (530هـ/ 1135م) بيسير[3] .

– **الفقيه محمد بن حسين بن أحمد بن محمد الأنصاري:** من أهل المرية "كان معتنيا بالحديث ونقله منسوبا إلى معرفته، عالما بأسماء رجاله وحملته، وله كتاب حسن " **في الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم**..."[4] توفي في محرم من سنة (532هـ/1137مـ[5] .

– **الفقيه ابن الرومية:** الشيخ الإمام الفقيه الحافظ الناقد الطبيب أبو العباس أحمد بن محمد ابن مفرج الاشبيلي الأموي " كان بصيرا في الحديث ورجاله، وله فيه كتاب"**المعلم بما زاد البخاري على مسلم**"، توفي سنة (637هـ/1239مـ)[1] .

---

[1]- محمد بن تومرت، المصدر السابق ، ص 26 .

[2]- ابن بشكوال المصدر السابق، **م 03**، ص 207 .

[3]- المصدر نفسه، ص 208 .

[4]- نفسه، ص 219 .

[5]- نفسه، **م 02**، ص 219 .

– **الفقيه أحمد بن محمد بن أبي الخليل:** مفرج الأموي مولاهم أبو العباس النباتي" من أهل اشبيلية، يكنى أبا العباس، وكناه ابن فرتون أبا جعفر وتفرّد بذلك، كان إماما في الحديث حافظا ناقدا، قام على صنعتين هما الحديث والنبات"[2]، له عدة تصانيف منها في الحديث:" **رجّالة المعلّم بزوائد البخاري على مسلم**" و"**اختصار غريب حديث مالك للدّارقطني**" و" **نظم الدّراري فيما تفرد به مسلم على البخاري**" و " **توهين طرق حديث الأربعين**" و" **حكم الدّعاء في إدبار الصلوات**" و" **كيفية الأذان يوم الجمعة**" و" **اختصار الكامل في الضعفاء والمتروكين لأبي محمد بن عدي**" و"**الحافل في تذييل الكامل**"و"**أخبار محمد بن إسحاق**"[3] توفي باشبيلية مستهل ربيع الآخر سنة (637هـ/1239مـ)[4].

– **الفقيه والمؤرخ الحميدي:** تلميذ ابن حزم من أشهر مؤلفاته في الحديث "**الجمع بين الصحيحين**"[5] .

–**الفقيه السرخسي:** الشيخ الإمام شيخ الشيوخ تاج الدين أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، ألّف كتابا في متون الحديث سماه"**الترغيب**"[6].

– **الفقيه ابن رشد:** محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن سعيد ابن مسعود بن حسن بن محمد الفهري من أهل سبتة، كنيته أبو عبد الله ويعرف بابن رشد، من خدّام الكتاب والسنة وأعظم عنايته بعلم الحديث[7]، من مؤلفاته "**السّنن الأبين في السّند المعنعن**" و" **المحاكمة بن البخاري ومسلم**" [8]، وغيرهم كثر .

---

[1]– الذهبي ، **سير**، المصدر السابق، **ج 23**، ص 58 – 59 .

[2]– لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، **م 01**، ص 211 .

[3]– المصدر نفسه، ص 211 – 212 .

[4]– نفسه، ص 214 .

[5]– المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب**، المصدر السابق، **م 02**، ص 114 .

[6]– المصدر نفسه، ص 102 .

[7]– نفسه، ص 347 – 348 .

[8]– نفسه، ص 350 .

لقد تعددت أدوار المذهب الظاهري، وبالتالي فإن المذهب ليس جامدا كما قيل عنه، فأدواره واضحة في المجال السياسي، والاجتماعي، والديني كما رأينا سابقا، والفكري والعلمي كما سنرى لاحقا .

الفصل الخامس: دور المذهب الظاهري علمياً وفكرياً .

01- إسهامات فقهاء المذهب من خلال الكتابة والتأليف .

02- إسهامات فقهاء المذهب من خلال الجدل والمناظرات العلمية .

إنّ ازدهار الحياة العلمية والفكرية في منطقة ما يرتكز بالدرجة الأولى على أهل العلم، فمن نعمه عزّ وجل أن سخّر في كل زمان ومكان علماء ينيرون للعباد طريق الهدى، ويكفي في بيان شرفهم وعظيم مسؤوليتهم وأهمية دورهم في هذا المجال ما وصفهم به المولى عز وجل في مواضع كثيرة من ذكره الحكيم بالخشية، قال تعالى:" **وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٞ**"[1] كما أمر تعالى بالرجوع إليهم في قوله: "**وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٤٣**"[2] .

أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد قال في فضلهم: " **فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء.وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورّثوا العلم ومن أخذ به أخذ بحظ وافر**"[3].

فمثلاً إذا وقعت الفتن توجب على الحكام والرعية الرجوع إلى العلماء فهؤلاء يقولون بقولهم، ويهدون بهديهم، هذه المترلة لا تمنح لأي كان، والسبب في ذلك أن العالم والجاهل لا يستويان أبداً، قال تعالى: "**قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٩**"[4]، فالعالم له القدرة إلى السير بالأمة نحو الفلاح، فهو مطالب بتقويم ما اعوج من سلوكيات أفرادها، إذن فالمسؤولية الملقاة على عاتقهم جد عظيمة .

---

[1]- سورة فاطر، الآية رقم :28 .

[2]- سورة النحل، الآية رقم: 43 .

[3]- المقدسي أحمد بن عبد الرحمان بن قدامه، المصدر السابق، ص17.

[4]- سورة الزمر، الآية رقم:09 .

هذا ما تميز به علماء بلاد المغرب الإسلامي، حيث كانت لهم مشاركات لا تعد ولا تحصى في المجال العلمي والفكري، وفي مقدمتهم علماء وفقهاء المذهب الظاهري الذين ساهموا في ازدهار الحياة العلمية عن طريق التأليف، وخوض المناظرات العلمية .

إذن ما هي الإسهامات المسجلة لفقهاء المذهب في الجانب العلمي والفكري من خلال التأليف والمناظرة ؟

01- إسهامات فقهاء المذهب من خلال الكتابة والتأليف:

كان لعلماء وفقهاء المذهب الظاهري مشاركات كثيرة في الحياة العلمية والفكرية بالمغرب الإسلامي، فبرز دورهم في أكثر من جانب وعلى وجه الخصوص في ميدان التأليف والتدريس .

فالتدوين والكتابة[1] لهما دور كبير في تنشيط الحياة العلمية وازدهارها من جهة، والحفاظ على التراث من جهة أخرى، فجل تراث المسلمين المدوّن كان تراثا شفهيا، وبما أن الرواية الشفهية عرضة للتغيير والتبديل بالزيادة أو بالنقصان كان لا بد من تدوينه في مجلدات حتى يصل إلى الأجيال المتعاقبة صحيحا بلا زيادة أو نقصان .

فلو لم يكن بتلك الأهمية لما اهتم به سلف الأمة ودعوا إليه ومدحوه وعَبّروا عن أهميته في مواقف عديدة بقولهم:"الكتابة أساس الملك، وعماد المملكة...والكتابة قطب الأدب وملاك الحكمة، ولسان ناطق بالفضل، وميزان يدل على رجاحة العقل، والكتابة نور العلم....والكتابة أفضل درجة وأرفع منزلة، ومن جهل حق الكتابة فقد وسم بوسم الغواة الجهلة وبالكتابة والكتاب قامت السياسة والرياسة"[2] .

---

[1]- الكتابة في اللّغة مصدر كتب، حيث يقال:كتب، يكتب، كتبا، وكتابا،وكتابة، ومكتبة فهو كاتب، ومعناها الجمع، ومن هذا يقال تكتب القوم إذا اجتمعوا، ومن ثم سمي الخط كتابة لجمع الحروف لبعضها البعض، أما اصطلاحا فقد عرفها البعض بأنها صناعة روحانية، وفسر الروحانية فيها بالألفاظ التي يتخيلها الكاتب في أوهامه ويصور من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة قائمة في نفسه، يعود ظهورها إلى رحلة طويلة الأمد عبر الأزمان فقد ظهرت بعض الخطوط وازدهرت مع طول الزمن ودامت سنين بل قرون وفي نفس الوقت لم تدم خطوطا أخرى إلا فترة زمن اختراعه، القلقشندى، المصدر السابق، **ج01**، ص 09 .

[2]- القلقشندى، المصدر السابق، **ج01**، ص 37 .

إنّ فضلها يتجلى في حديث رواه مالك بن أنس قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:"**قيّدوا العلم بالكتاب**"[1]، فالمسلمون ساروا على أمر نبيهم صلى الله عليه وسلم في أمره لهم بتقييد العلم، حيث دوّنوا القرآن الكريم، رغم ترددهم في البداية " قصة الصديق والفاروق رضي الله عنهما أثناء معركة اليمامة"، لكن لّما نسب الملحدين كلامه صلى الله عليه وسلم إلى الاقتباس من كتب المتقدمين[2]، كما أخبر عن ذلك تعالى في قوله:" **وَقَالُوٓاْ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلٗا ۝٥ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ۝٦** [3]، ومقتل أكثر الحفاظ في حروب الردة وحروب المتنبئين، دفع المسلمين إلى تدوين تراثهم وبالدرجة الأولى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة خوفا عليه من الضياع والنسيان[4]، ثم دونوا التاريخ والفقه، فوضعوه فيه جوامع ومدونات وموسوعات.

إذن فعلماء الإسلام لم يشتغلوا فقط على فهم معاني القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، بل ألّفوا الكتب في جميع حقول العلم والمعرفة، وهذه سمة بارزة في فقهاء المذهب الظاهري الذين كتبوا مؤلفات لا تعد ولا تحصى في مختلف فنون العلم.

فمن خلال كتب التراجم استطعت حصر حوالي واحد وخمسين مؤلفاً لأربعة عشر فقيهاً ظاهرياً غير ابن حزم، كُتِبَتْ في جل العلوم بشقيها النقلي والعقلي، وبذلك شاركوا مشاركة فعالة في ازدهار الحياة العلمية والفكرية ببلاد المغرب .

أما ابن حزم الأندلسي فمؤلفاته كثيرة فاق عددها مؤلفات الظاهرية مجتمعين بالمغرب والمشرق عبر مختلف المراحل التاريخية، وجدت منها المطبوع، والمخطوط، والمفقود، وقد

---

[1]- ابن عبد البر، المصدر السابق، **ج 01**، ص 306 .

[2]- القلقشندي، المصدر السابق، **ج01**، ص 42 .

[3]- سورة الفرقان، الآية رقم : 05 – 06 .

[2]- أحمد معمور العسيري، **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام تاريخ ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر**، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الدمام، السعودية، ط 01، 1996مـ ، ص 08 .

اعتمدت في رصدها على كتب التراجم بالدرجة الأولى، والأمثلة التالية توضح إسهامات فقهاء المذهب الظاهري في الحياة العلمية من خلال الكتابة والتأليف، ومن هؤلاء أذكر:

– **منذر بن سعيد البلوطي:** كانت له مؤلفات عديدة في مختلف فنون العلم: القرآن، والفقه، والرد، الخطابة، الشعر[1]، أشهرها على الإطلاق:"**كتاب أحكام القرآن**" و"**كتاب الناسخ والمنسوخ**"، وله "**رسائل وخطب مجموعة**" و "**أشعار متفرقة مطبوعة**"[2]، و"**كتاب الإنباه على استنباط الأحكام من كتاب الله**"، و" **كتاب الإبانة عن حقائق أصول الديانة**"[3] .

– **أبو بكر محمد بن علي بن العربي:** الصوفي الظاهري، المشهور بمحي الدين بن عربي له كتاب "**الفتوحات المكية**" [4] .

– **ابن مضاء القرطبي:** له عدة مؤلفات منها:"**كتاب الرد على النحاة**" و"**كتاب المشرق في النحو**"، و"**كتاب تنزيه القرآن عما يليق بالبيان**"، صنّف كتبه خاصة منها كتاب "**الرد على النحاة**" لتأصيل مذهب جديد في النحو يعارض فيه النحو المشرقي الغارق في التأويل بناه على منهج ظاهري يقوم على إلغاء القياس والتعليل وإلغاء نظريات وعلل كثيرة[5] .

– **سعد السعود:** بن أحمد بن هشام بن إدريس بن محمد بن سعيد بن سليمان بن عبد الوهاب بن عفير، الأموي، ابن إدريس من أهل لبنة، كنيته أبا الوليد[6] كان له إسهاما من الناحية العلمية، حيث ألّف كتابًا في السنن سماه"**السبيل**" وهو كتاب كبير[7].

– **عبد السلام بن عبد الرحمن** : بن أبي الرجال بن برجان المذكور سابقا[1]، كانت له إسهامات كثيرة في التأليف منها: "**كتاب في التفسير**" جرى فيه على طريقة لم يسبقه إليها

---

[1]– ابن الفرضي المصدر السابق، ج **02**، ص 142 – 143 .

[2]– ياقوت الحموي الرومي، المصدر السابق، ص 2718 .

[3]– المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب**، المصدر السابق، م **02**، ص 22 . /– الزركلي خير الدين، المصدر السابق، ص 294 .

[4]– عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص ، 208 .

[5]– عبد الباقي السيد عبد الهادي، المرجع السابق، ص ، 208 .

[6]– ابن بشكوال، المصدر السابق، م **03**، ص 369 .

[7]– المصدر نفسه، ص 370 .

أحد، واستقرا من آيات عجائب، وألّف كتابه الشهير في" **تفسير الأسماء الحسنى**"،وله كتاب "**الإرشاد**" قصد فيه إلى استخراج أحاديث صحيح مسلم بن الحجاج من كتاب الله تعالى، وألّف رحمه الله غير ذلك[2] .

– **ابن سيد الناس:** الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن يحي ابن سيد الناس، اليعمري، الأندلسي، الاشبيلي عالم المغرب، كان له كتاب في المذهب الظاهري سماه: "**كتاب بيع أمهات الأولاد**" ، الذي أفصح عن علمه الغزير[3] .

– **ابن الرومية أبو العباس أحمد بن محمد بن مفرج الاشبيلي:** الأموي، له مجلد مفيد فيه استلحاق على "**الكامل" لابن عدي**"، وله كتاب "**التذكرة**" في معرفة شيوخه، وله أيضا كتاب"**المعلم بما زاد البخاري على مسلم**"[4] .

– **أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي الأموي:** من أهل قرطبة، كنيته أبو القاسم، برز في مجموعة من العلوم كالفقه، والشعر، واللّغة العربية، من مؤلفاته:"**الآيات المتشابهات**" توفي سنة (625هـ/1227مـ)[5] .

– **علي بن سعيد الميورقي:** من آثاره الفكرية والعلمية "**تعليقا في مذهب الشافعي**"، كان حيا سنة (491هـ/1097مـ)[6] .

– **محمد بن حسين بن أحمد بن محمد الأنصاري:** من أهل المرية، كان شديد العناية بالحديث له كتاب حسن في "**الجمع بين صحيحي البخاري ومسلم**"[7]، توفي في محرم من سنة (532هـ/1137مـ[8] .

---

[1]– ابن بشكوال، المصدر السابق، **م 03**، ص 207 .

[2]– نفسه، نفس الصفحة .

[3]– محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله، **تذكرة الحفاظ**، عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، 1374هـ/1945مـ، **ج 04**، ص 1450- 1451 .

[4]– الذهبي، **سير**، المصدر السابق، **ج 23**، ص 58 – 59 .

[5]– خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص 48- 49 .

[6]– ابن بشكوال، المصدر السابق، **م 02**، ص 63 – 64 .

[7]– المصدر نفسه، ص 219 .

[8]– نفسه، نفس الصفحة .

– **أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي:** مولاهم أبو العباس النباتي، كان متخصصا في معرفة علم النبات وتمييز العشب، وإثبات أعيانها، على اختلاف منابتها، وكثير الكتب جماعا لها في كل فن من فنون العلم[1] من مؤلفاته في الحديث:"**رجّالة المعلّم بزوائد البخاري على مسلم**" وكتاب "**اختصار غريب حديث مالك للدارقطاني**"، و" **نظم الدّراري فيما تفرد به مسلم على البخاري**" و " **توهين طرق حديث الأربعين**"، و" **حكم الدّعاء في إدبار الصلوات**" و" **كيفية الأذان يوم الجمعة**" و" **اختصار الكامل في الضعفاء والمتروكين لأبي محمد بن عدي**" و"**الحافل في تذييل الكامل**" و "**أخبار محمد بن إسحاق**". ومنها في النبات: "**شرح حشائش دياسقوريدوس وأدوية جالينوس** و" **الرحلة النّباتية**" و" **المستدركة**"[2]، انتشرت عنه تصانيف أبي محمد بن حزم[3] توفي باشبيلية مستهل ربيع الآخر الآخر سنة (637هـ/1239مـ)[4] .

– **الحميدي:** تلميذ ابن حزم، من أهل العلم والفضل والتيقظ[5]، كان حريصًا على نشر العلم وبثه في أهله، من أبرز مصنفاته: "**جذوة المقتبس في أخبار علماء الأندلس**" و "**تاريخ الإسلام**" و "**من ادعى الأمان من أهل الإيمان**" و " **الذهب المسبوك في وعظ الملوك**" و" **تسهيل السبيل إلى علم الترسيل**" و " **مخاطبات الأصدقاء في المكاتابات واللقاء**" و" **ما جاء من النصوص والأخبار في حفظ الجار**" و "**النميمة**" و" **الأماني الصادقة**" و "**الجمع بين الصحيحين**" وغير ذلك من المصنفات والأشعار[6] .

---

[1]– لسان الدين بن الخطيب، المصدر السابق، م **01**، ص 208 .

[2]– المصدر نفسه، ص 211 – 212 .

[3]– نفسه، ص 210 .

[4]– نفسه، ص 214 .

[5]– المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب**، المصدر السابق، م **02**، ص 114 .

[6]– المصدر نفسه، ص – ص 112 – 114 .

– **السرخسي تاج الدين:** أبو محمد عبد الله بن عمر بن علي بن محمد بن حمويه، من أبرز مؤلفاته أذكر:" **كتاب في ثماني مجلدات ذكر فيها أصول الأشياء**"، وكتاب "**السياسة الملوكية**"[1]، وكتاب في متون الحديث سماه "**الترغيب**"، وله مجموعة فتاوى من اجتهاده[2].

– **ابن رشد:** محمد بن عمر بن محمد بن عمر بن محمد بن إدريس بن عبد الله بن سعيد بن مسعود بن حسن بن محمد الفهري، من أهل سبتة، يكنى أبا عبد الله، ويعرف بابن رشد، ألّف كتابا قيّد فيه شيوخه الذين أخذ عنهم العلم سماه: "**ملئ العيبة، فيما جمع بطول الغيبة، في الوجهتين الكريمتين إلى مكة وطيبة**"، وله كتاب "**ترجمان التراجم**"، وكتاب"**السّنن الأبين، في السّند المعنعن**"، وكتاب" **المقدمة المعرّفة لعلو المسافة والصفة**"، وكتاب"**المحاكمة بين البخاري ومسلم**"، وكتاب"**الإضاءات والإنارات**"، وكتاب" **إحكام التأسيس في أحكام التجنيس**"[3] .

أما ابن حزم فقد ألّف مصنفات جليلة شملت مختلف العلوم النقلية والعقلية فاق عددها أربع مائة مجلد " كان ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام...أخبرني ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه أبي محمد من تواليفه أربع مئة مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة"[4].

إنّ إقدام ابن حزم على تأليف الكتب مردّه إلى جملة من العوامل ذكرها بنفسه قائلاً: " لكل شيء فائدته ولقد انتفعت بمحك أهل الجهل منفعة عظيمة، وهي أنه توقّد طبعي واحتدم خاطري وحيّ فكري وهيج نشاطي، فكان ذلك سببا إلى تواليف عظيمة النفع ولولا استثارهم ساكني، واقتداحهم كامني، ما انبعثت لتلك التواليف"[5] .

---

[1]– أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب**، المصدر السابق، **م 03**، ص 99 – 100 .

[2]– المصدر نفسه، **م 02**، ص 102 .

[3]– نفسه، ص 350 .

[4]– الذهبي، **سير**، المصدر السابق، **ج 18**، ص 187 .

[5]– حمد بن إبراهيم العثمان، **أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة**، نمتبة ابن القيم، الفحيحيل، الكويت، ط01، 2001مـــ، ص 186 .

من أبرز مؤلفاته أذكر: كتاب " **الإيصال إلى فهم كتاب الخصال**" يقع في خمسة عشر ألف ورقة، وكتاب " **الخصال**"[1]، وكتاب "**لحافظ لجمل شرائع الإسلام**"، وكتاب " **المجلى**" في الفقه، وكتاب"**المحلى في شرح المجلّى بالحجج والآثار**" يقع في ثمانية مجلدات، وكتاب" **حجة الوداع**" يقع في مئة وعشرين ورقة، وكتاب" **قسمة الخمس في الرد على إسماعيل القاضي**"، وكتاب "**الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها**"، وكتاب " **الجامع في صحيح الحديث**"، وكتاب "**التلخيص والتخليص في المسائل النظرية**"، وكتاب " **ما انفرد به مالك وأبو حنيفة والشافعي**"، وكتاب " **مختصر الموضح**" لأبي الحسن بن المغلس الظاهري، وكتاب "**اختلاف الفقهاء الخمسة مالك، وأبي حنيفة، والشافعي، وأحمد، وداود**"، وكتاب" **التصفح في الفقه**"، وكتاب" **التبيين في هل علم المصطفى أعيان المنافقين**"، وكتاب " **الإملاء في شرح الموطأ**" يقع في ألف ورقة، وكتاب "**الإملاء في قواعد الفقه**" يقع هو الآخر ألف ورقة، وكتاب "**در القواعد في فقه الظاهرية**"، وكتاب " **الإجماع**"، وكتاب "**الفرائض**"، وكتاب " **الرسالة البلقاء في الرد على عبد الحق بن محمد الصقلي**"، وكتاب " **الإحكام لأصول الأحكام**"، وكتاب "**الفصل في الملل والأهواء والنحل**"، وكتاب"**الرد على من اعترض على الفصل**"، وكتاب"**اليقين في نقص تمويه المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين**"، وكتاب" **الرد على ابن زكرياء الرازي**"، وكتاب " **الترشيد في الرد على كتاب الفريد لابن الرواندي في اعتراضه على النبوات**"، وكتاب " **الرد على من كفر المتأولين من المسلمين**"، وكتاب "**مختصر في علل الحديث**"، وكتاب" **التقريب لحد المنطق بالألفاظ العامية**"، وكتاب "**الاستجلاب**"، وكتاب " **نسب البربر**"، وكتاب " **نقط العروس**"[2]، وقائمة كتبه طويلة فضلت ذكرها في الجدول الموالي (ص/ ص 222/ 227) .

[1]- الذهبي، **سير**، المصدر السابق، ج **18**،ص 193 .

[2]- المصدر نفسه، ص 194- 195 .

وأمّا ما ورد له في كراس فقائمته طويلة أذكر منها:" "**مراقبة أحوال الإمام، من ترك الصلاة عمدا**"، و"**ما وقع بين الظاهرية وأصحاب القياس**"، و"**فضائل الأندلس**"، و"**رسالة في معنى الفقه والزهد**"، و"**الإظهار لما شنّع به على الظاهرية**"، و"**النكت الموجزة في نفي الرأي والقياس والتعليل والتقليد، مسألة في الروح**"، و"**الرد على إسماعيل اليهودي**"، و"**تسمية شيوخ مالك**"، و"**بيان الفصاحة والبلاغة**"، و"**غزوات المنصور ابن أبي عامر**"، و"**تأليف في الرد على أناجيل النصارى**"، و"**تسمية الشعراء الوافدين على ابن أبي عامر**"، و"**رسالة في الطب النبوي**" ذكر فيها عناوين ألّفها في الطب منها: "**مقالة العادة**"، و"**مقالة في شفاء الضد بالضد**"، و"**شرح فصول بقراط**"، وكتاب "**حد الطب**"، وكتاب "**اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة**"، وكتاب "**في الأدوية المفردة**"، و"**مقالة في المحاكمة بين التمر والزبيب**"، و"**مقالة في النخل**"[1] .

والجداول الآتية توضح لنا كل مؤلفات ابن حزم المقدرة بحوالي مائو وسبعة وأربعون (147) مؤلفاً، منها خمسة وسبعون(75) مؤلفا مطبوعا ومخطوطا، وسبعة وستون(67) مؤلفا مفقودا، وخمسة مؤلفات في المعتقدات والأديان، استطعت التعرف عليها من خلال كتب التراجم في مقدمتها كتاب سير أعلام النبلاء للذهبي (**ج 18** ص- ص 193/ 197)، ورسائل ابن حزم، ودراسة عماد جميل عبد الرحمن عبيد الموسومة بـــ"**جهود ابن حزم في جدال اليهود**" (ص – ص 36 / 41).

- جدول رقم 03: مؤلفات ابن حزم المطبوعة والمخطوطة:

هل للموت آ لام أم لا	ديوان شعره	ملخص إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد والتعليل
المعارضة .	تارك الصلاة عمدا حتى يخرج وقتها لا قضاء عليه فيما قد خرج من وقته	مراتب العلوم وكيفية طلبها وتعلق بعضها ببعض

[1]- الذهبي، **سير**، المصدر السابق، **ج 18**، ص/ ص 195- 197 .

التقريب لحد المنطق والمدخل إليه	البلقاء في الرد على عبد الحق بن محمد الصقلي	مسائل أصول الفقه
البيان عن حقيقة الإيمان	مراقبة أحوال الإمام	التقريب لحد المنطق والمدخل إليه
الرد على ابن زكريا الرازي	قصيدة في الهجاء ردا على قصيدة نقفور	ما وقع بين الظاهرية وأصحاب القياس
الإيمان في الرد على عطاف بن دوناس القيرواني	الإمامة والسياسة في قسم السير الخلفاء ومراتبها	الآثار التي ظاهرها التعارض ونفي التناقض عنها .
فضل العلم وأهله	مراتب الإجماع	فضائل الأندلس وأهلها
علم الكلام على مذهب أهل السنة والإجماع	المحلى بالآثار في شرح المجلي بالاختصار	الغناء الملهي أمباح هو أم محظور
أن القرآن ليس من نوع بلاغة الناس	الإعراب في كشف الإلتباس	إبطال القياس والرأي والاستحسان والتقليد
الإجماع ومسائله على أبواب الفقه	الاعتقاد	أصحاب الفتيا من الصحابة
الأصول والفروع	أسواق العرب	فتاوي عبد الله بن العباس
أمهات الخلفاء	أسماء الصحابة الرواة وما لكل منهم من الأحاديث	طوق الحمامة في الألفة والألاف
مسألة الإيمان	تنوير القياس	التوفيق إلى شارع النجاة باختصار الطريق
مسألة الكلب	مسألة في الروح	التلخيص في أعمال العباد
معنى الفقه والزهد .	معرفة النفس بغيرها وجهلها بذاتها .	الجامع
المفاضلة بين الصحابة .	جمهرة أنساب العرب	جمل فتوح الإسلام
جوامع السيرة	الحد والرسم	حجة الوداع

التوفيق إلى شارع النجاة باختصار الطريق	الناسخ والمنسوخ	منتقى الإجماع وبيانه من جملة ملا يعرف فيه اختلاف
النبذ الكافية في أصول أحكام الدين	خمس رسائل ألحقت بجوامع السير	در القواعد في فقه الظاهرية
نقط العروس في النوادر	النصائح المنجية من الفضائح المخزية والقبائح المردية من أقوال أهل البدع	الدرة في ما يلزم الإنسان
عدد ما لكل صاحب في مسند بقي بن مخلد	الاستقصاء	أخلاق النفس
الطب النبوي	الأخلاق والسير	الصمادحية في الوعد والوعيد
السيرة النبوية	الاتصال	الإحكام في أصول الأحكام
السير والأخلاق	السعادة في الطب	السياسة
الرد على الهاتف من بعيد		

– جدول رقم 04: مؤلفات ابن حزم المفقودة:

إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل الإظهار لما شنع بع على الظاهرية	مختصر كتاب الساجي في الرجال	الترشيد في الرد على كتاب الفريد لابن الرواندي في اعتراضه على النبوات
أسماء الله الحسنى	شرح فصول بقراط	شرح أحاديث الموطأ
الإملاء في قواعد الفقه	شفاء الضد بالضد	تسمية الشعراء الوافدين على ابن عامر

الاستجلاب	الفضائح	تسمية شيوخ مالك
الإملاء في شرح الموطأ	شيء في العروض	التصفح في الفقه
الإنصاف	الضاد والظاء	حد الطب
الإيصال إلى فهم كتاب الخصال لجمل شرائع الإسلام	اختصار كلام جالينوس في الأمراض الحادة	الجامع في صحيح الحديث باختصار الأسانيد والاقتصار على أصحها
العتاب على أبي الخولاني	الفرائض	الحدود
اختلاف الفقهاء الخمسة مالك وابي حنيفة والشافعي وأحمد وداود	غزوات المنصور بن أبي عامر	الخصال الجامعة لجمع شرائع الإسلام
بلغة الحكيم	فهرست شيوخ ابن حزم	الرد على من اعترض على الفصل
بيان غلط عثمان بن سعيد الاعور في المسند والمرسل	القراءات المشهورة في الأمصار اللآتية مجيءالتواتر	الرد على من كفر المتأولين من المسلمين
بيان الفصاحة والبلاغة	مراتب الديانة	رسالة المعارضة
التأكيد	قصر الصلاة	مختصر الملل والنحل
الرد على أناجيل النصارى	كتاب المرطار في اللهو والدعابة	مختصر الموضح لأبي الحس بن المغلس الظاهري
التعقب على الأفليلي في شرحة لديوان المتنبي	كشف الالتباس ما بين أصحاب الظاهر وأصحاب القياس	قسمة الخمس في الرد على إسماعيل القاضي
التبيين في هل علم المصطفى أعيان المنافقين	ما خالف فيه أبو حنيفة ومالك والشافعي جمهور العلماء	المجلي بالاختصار
التحقيق في نقد زكريا	المحاكمة بين التمر والزبيب	اليقين في نقض تمويه

الرازي في كتابه العلم الإلهي	في الطب	المعتذرين عن إبليس وسائر المشركين
ترتيب سؤالات عثمان الدارمي لابن معين	مراتب العلماء وتواليفهم	مقالة السعادة
مقالة في النحل	نسب البربر	مسألة هل السواد لون أو لا
مهم السنن	الرسالة اللازمة لأولي الأمر	من ترك الصلاة عمدا
رسالة في الأدوية المفردة	نكت الإسلام	زجر الغاوي

– جدول رقم 05: مؤلفات ابن حزم في المعتقدات الأديان:

– الفصل في الملل والأهواء والنحل	الرد على أناجيل النصارى (مفقود) .
– الرد على ابن النغريلة اليهودي .	– مختصر الملل والنحل (مفقود) .
– الرد على من اعترض على الفصل (مفقود)	

وحتى تتضح الصورة أكثر حول إسهامات ابن حزم في الحياة العلمية والفكرية، فضلت توضيح ذلك في الجدول الإحصائي أسفله:

– جدول رقم 06: جدول إحصائي يبين مؤلفات ابن حزم الأندلسي:

مؤلفات مطبوعة ومخطوطة	مؤلفات مفقودة	كتب المعتقدات والأديان
75	**67**	**05**

- تحويل أرقام الجدول رقم 06 إلى رسم بياني:

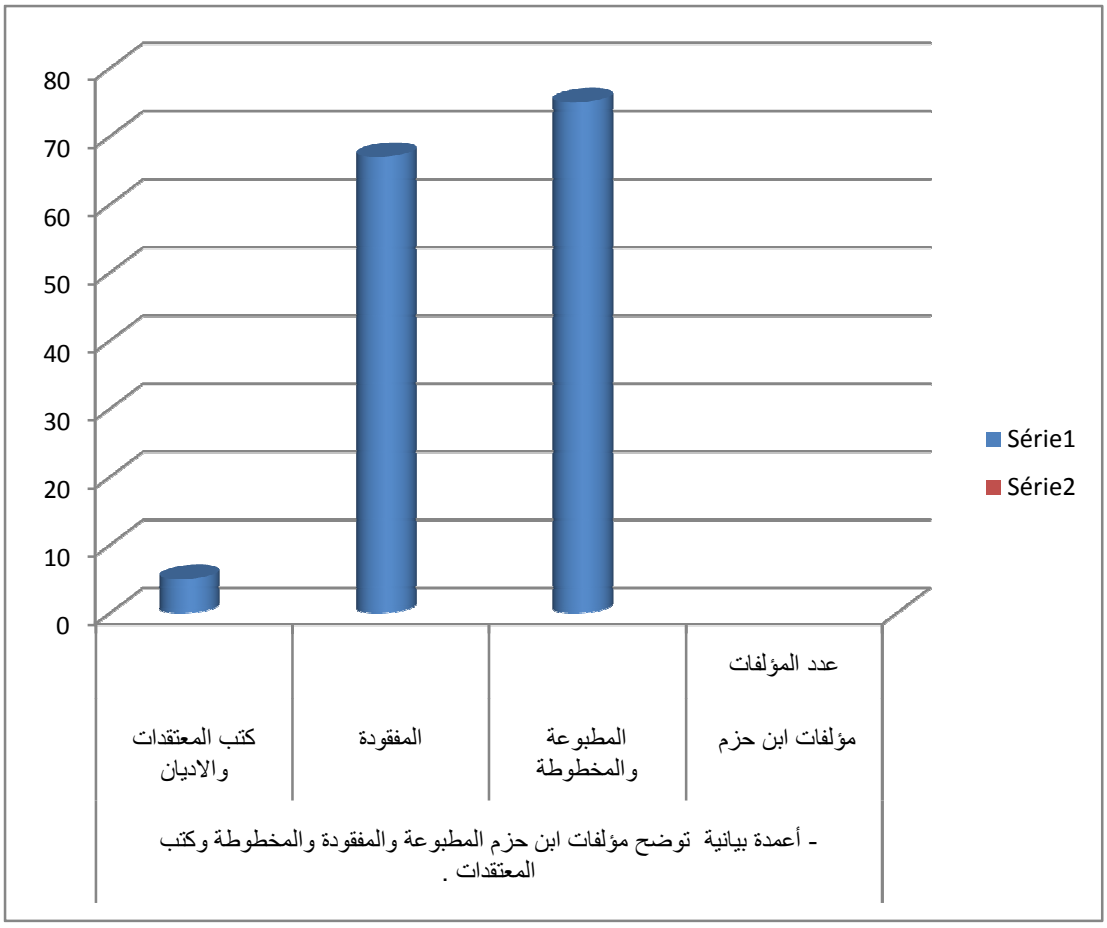

إنّ إسهامات فقهاء المذهب الظاهري المغاربة غير ابن حزم في الحياة العلمية كانت أكثر حيوية ونشاط مقارنة بنُظرائهم المشارقة الذين لا ننكر دورهم هم الآخرين في هذا المجال، أما ابن حزم لوحده فقد فاق هؤلاء مجتمعين إنتاجاً علميا ونشاطا فكرياً، والجدول الإحصائي أسفله يوضح لنا ذلك .

- جدول رقم 07: جدول إحصائي يبين مؤلفات الظاهرية بالمشرق والمغرب:

مؤلفات المشارقة	مؤلفات المغاربة	مؤلفات ابن حزم
31	51	147

- تحويل أرقام الجدول رقم 07 إلى رسم بياني:

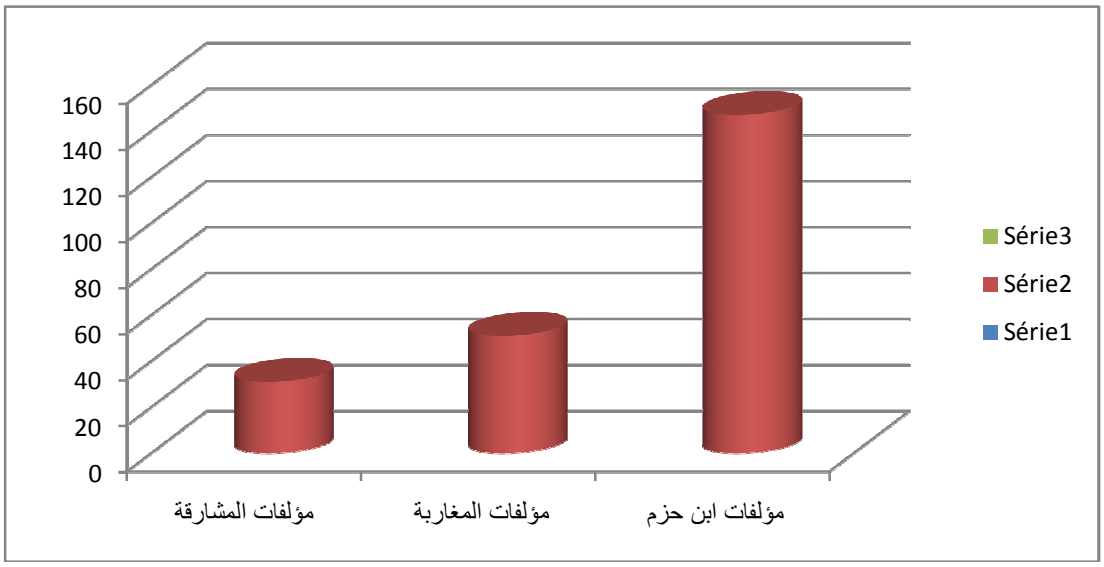

إنّ مؤلفات فقهاء المذهب الظاهري التي استطعنا الحصول عليها وغيرها التي تعذر علينا الوصول إليها لعبت دورا كبيرا في تنشيط الحياة العلمية بالعالم الإسلامي عامة وبلاد المغرب خاصة .

هذا و لم يكتف الظاهرية على مؤلفاتهم فقط في عملية تنشيط الحياة العلمية، بل عمدوا إلى إثارة فقهاء المذاهب الأخرى وفي مقدمتهم فقهاء المذهب المالكي الذين لم يتأخروا في الرد على مؤلفاتهم أمثال :

- **القاضي أبو بكر بن العربي المالكي**: الذي ألّف كتابين الأول سماه "**العواصم والقواصم**"، والثاني رسالة سماها "**العزة**"، هاجم فيهما ابن حزم والظاهرية بصفة عامة فوصفهم بالخبث[1] .

- **القاضي أبا محمد عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق المهدوي القيرواني**: من أحفاد الإمام المازري المتوفى سنة (361هـ/971م)، ألّف كتاباً شنّع فيه على الظاهرية وابن حزم، لم تذكر لنا المصادر عنوانه واكتفت بالإشارة إلى كتاب له ردّ فيه على ابن حزم دلّ على حفظه وعلمه[2] .

---

[1]- خالد عبد الحليم عبد الرحيم السيوطي، المرجع السابق، ص 45 .

[2]- أبو زيد القيرواني أبي محمد ، المصدر السابق، م **01**، ص 58 .

– **الفقيه المالكي ابن زرقون:** الذي ألّف كتابا للرد على كتاب "**المحلى**" لابن حزم سماه " **المعلى في الرد على المحلى**" [1] .

إنّ الرد على مؤلفات الظاهرية لم تقتصر فقط على فقهاء بلاد المغرب، بل تجاوزتها إلى المشارقة الذين دونوا كتبا ردّوا فيها على مؤلفات الظاهرية أمثال: بكر بن العلاء المتوفى سنة (344هـ/1052مـ) ألّف كتابا في **القياس** ردّ فيه على الظاهرية الذين زاد نشاطهم في وقته ببغداد، وعبد العزيز بن محمد أبو العلاء البصري الذي ألّف كتاب "**إثبات القياس**"، وعبد العزيز بن محمد أبو الأصبغ بن سهل المتوفى سنة (486هـ/1093مـ) ألّف كتاب "**التنبيه على شذوذ ابن حزم**"[2].

تلك الردود استمرت حتى أيام الموحدين، وهذا دليل على قوة المذهب الظاهري وغزارة علم فقهائه، فالمالكية من الفقهاء تصدوا لهذا المذهب مدة طويلة من الزمن، ومن بين الكتب التي دوّنت في هذه الفترة أذكر:" **كتاب في المسائل المنتقدة على ابن حزم**"[3]. لأبي بكر بن خلف الأنصاري المواق، وكتابين لعبد الله بن طلحة أبو بكر اليابري الاشبيلي المتوفى بعد سنة (519هـ/1125مـ) سماهما:" **المدخل**"، و "**سيف الإسلام**"، وكتاب "**فصل المقال في الموازنة بين الأعمال**" للقضاعي أبو المجد الطرطوشي المتوفى سنة (608هـ/1211مـ)"[4]، وكتاب "**النبراس في الرد على منكر القياس**" للحسن بن علي المسيلي المتوفى سنة (580هـ/1184مـ) ، وكتاب "**الرد على نفاة القياس**" لعبد الحميد بن أبي البركات الطرابلسي الفقيه المالكي المتوفى سنة (684هـ/1285مـ)[5]، وله كتاب "**الرد على ابن حزم**"، وكتاب "**الرد على المحلى**" لأبي الحسن علي بن القطان الفاسي"، وكتاب "**الرد على ابن حزم**" لأحمد بن أبي الحجاج يوسف بن علي الفهري اللّبلي، وكتاب "**الردّ على ابن حزم في بعض مقالاته**" لابن خروف الحضرمي الأندلسي

---

[1]– صدّيقي عبد الجبار، المرجع السابق، ص 71 .

[2]– أبو زيد القيرواني ، المصدر السابق، ص 44 – 45 .

[3]– سمير قدوري، المرجع السابق، ص 316 .

[4]– أبو زيد القيرواني المصدر السابق، م **01**، ص 44 – 45 .

[5]– المصدر نفسه، نفس الصفحة .

المتوفى سنة (609هـ/1212م) باشبيلية، وكتاب "**تحرير المقال في موازنة الأعمال**" للقاضي أبي طالب عقيل بن عطية القضاعي[1] .

أما الفترة التي تلت سقوط دولة الموحدين فهي الأخرى شهدت تأليف مجموعة من الكتب تم الرد فيها على الظاهرية ومؤلفاتهم منها: كتاب "**الرد على ابن حزم**" لإبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع التونسي قاضي القضاة بتونس توفي سنة (734هـ/1333م)[2]، وكتاب "**الرد على الطائفة الأندلسية أو المحمدية**" لأحمد الورياجلي الصغير، هذه الطائفة -المحمدية- ظهرت في القرن العاشر للهجرة (16م)، تذكر بعض الدراسات " أن المغرب شهد ظهور شيخ يقال له محمد الأندلسي تأثر بأفكار ابن حزم الأندلسي في نفي القياس والابتعاد عن الرأي في الدين، وعيّب على طريقة الفقهاء، واشتغل كثيرا بالتنجيم والكيمياء والرياضيات والطب، أظهر تمسكه الشديد بالسنة وكان يخطئ كثيرا، فانتقده الفقهاء وأفتوا بتضليله، وأخبروا السلطان بأمره فسجن، سمي أتباعه بالمحمدية وسموا من خالفهم بالمالكية، صلب سنة (984هـ/1576م)[3] .

هذا و لم تقتصر خدمة المذهب الظاهري للحياة العلمية على التأليف فقط، بل قدّم فقهاء المذهب خدمة لمختلف العلوم منها الفقه، والسنة، و التاريخ والنحو، فابن حزم مثلا قدّم خدمة لمختلف العلوم. ففي التاريخ ألّف مجوعة من الكتب باعتباره كان شديد الاهتمام بالروايات التاريخية[4]، وقد زودتنا كتب التراجم بمجموعة من مؤلفاته في هذا الفن منها : "**جوامع السيرة، جمل فتوح الإسلام، أسماء الخلفاء، ذكر أوقات الأمراء وأيامهم بالأندلس، غزوات المنصور بن أبي عامر، وإذا ما وسعنا حقل التاريخ ليشمل علم الأنساب، نضيف إلى ذلك جمهرة أنساب العرب، ونسب البربر، الإمامة والسياسة في قسم سير الخلفاء ومراتبها والندب إلى الواجب منها**"[5]، قال ابن حزم في سبب تأليفها

---

[1] - سمير قدوري، المرجع السابق، ص - ص 323 / 329 .

[2] - المرجع نفسه، ص 334 .

[3] - نفسه، ص 335 .

[4] - ابن حزم، رسائل ابن حزم، المصدر السابق، ج**02**، ص 08 – 09 .

[5] - المصدر نفسه، ص 07 .

"إن كثيرا من الناس كتبوا في افتراق الناس في دياناتهم، ومقالاتهم كتبا كثيرة جدا، فبعضهم أطال وأسهب، وأكثر وهجّر واستعمل الأغاليط والشغب، فكان ذلك شاغلا عن الفهم، قاطعا دون العلم، وبعض حذف وقصّر، وقلّل واختصر ...فكان في ذلك غير منصف لنفسه في أن يرضى لها بالغبن في الإبانة،...فكان هذا منهم غير محمود في عاجله وآجله"[1].

أما ابن مضاء القرطبي[2] قاضي القضاة أيام الموحدين فقد ترك أثرا بالغا في النحو، حيث أحدث ثورة فيه من خلال كتابه"**الرد على النحاة**" الذي عارض فيه النحو المشرقي وبيّن فساده، تذكر بعض الدراسات : "...مبينا فساده بعدما عقد لواء حرب نحوية، وليس من اليسير أن يجازف المرء باختيار ما يتناقض مع ما ألفه الناس، ويخرج على ما عهدوه، ويرتضي غير ما ارتضوه"[3]، كما دعا فيه إلى الأخذ بظاهر النصوص والابتعاد عن جدل المناطقة والفلاسفة معتمدا في ذلك على أربعة أسس هي:"إلغاء نظرية العامل لفظيا كان أو معنيا، إلغاء العلل الثواني والثوالث، إلغاء التمارين غير العلمية أو الواقعية"[4]، عاملاً في ذلك بما دعا إليه الفقيه ابن حزم: " لقد دعا ابن مضاء إلى إسقاط القول بالعامل، وإسقاط العلل الثواني والثوالث وتمارين التصريف، و لم يكن من ناد بهذه الآراء، فمن قبله هاجم ابن حزم الظاهري العلل النحوية فقال:" وأما علم النحو فإلى مقدمات محفوظة عن العرب، الذين تزيد معرفة تفهمهم للمعاني بلغتهم، وأما العلل فيه فاسدة جدا"[5] .

---

[1]- ابن حزم الظاهري ت (456هـ/1063مـ)، **الفصل**،المصدر السابق، **ج 01**، ص 17 .

[2]- من النحاة المخضرمين، حيث شهد عصرين متتابعين هما عصر دولة المرابطين، وعصر دولة الموحدين، كان وثيق الصلة بالخليفة الموحدي الثالث عظيم المكانة عنده، عدّ ابن مضاء ظاهريا في النحو. ينظر: ابن مضاء أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي (513-592هـ/1119-1195مـ)، **الرد على النحاة**، دراسة وتحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط 01، 1399هـ/1989مـ، ص- ص 06 - 08 .

[3]- ربيح عمار،"**ابن مضاء القرطبي ثورة في الفقه ثورة في النحو**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 05، جوان 2009مـ، ص – ص283- 308 .

[4]- حسين جلاب، **الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب**، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، ط 03، 1995مـ، ص 54 .

[5]- ابن مضاء القرطبي ، المصدر السابق، ص 09 .

استنادا إلى قول ابن حزم دعا ابن مضاء إلى إلغاء القول بالعامل في النحو لكثرة المآخذ التي وجهت إلى النحو والنحاة، فبنا نظريته من خلال كلام سبويه "وإنما ذكرت ثمانية مجار لأفرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدثه فيه العامل، وليس شيء منها إلا وهو يزول عنه، وبين ما يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه"، لقد علّق ابن مضاء على قول سبويه قائلاً: " فظاهر هذا أن العامل أحدث الإعراب وذلك بين الفساد"[1]، كما دعا إلى إلغاء الحذف والتقدير "وحصر ذلك في محذوف لا يتم الكلام إلا به، ومحذوف لا يحتاج الكلام إليه، لأنه تام بدونه، ومحذوف إذا ظهر تغير الكلام عما كان عليه قبل إظهاره، وقد اعترف بالقسم الأول الذي يكون فيه المحذوف معلوما من السياق أو المقام" [2]، ودعا أيضاً إلى إسقاط تقدير الضمائر في الصفات "الأسماء والأفعال"، "فكل النحويين أجمعوا على أن الوصف المشتق من الفعل يتضمن ضميرا، سواء أكان خبرا أم صفة أم حالاً"[3]، لكن ابن مضاء لم يأخذ بمقالة النحويين في تقدير الضمائر في الأوصاف ويتضح ذلك في قوله: " إن الوصف نحو ضارب موضوع لمعنيين: ليدل على الضرب، وعلى فاعل الضرب غير مصرح به، فإذا قلنا زيد ضارب عمرا، فضارب يدل على الفاعل، غير مصرح باسمه، وزيد يدل على اسمه..."[4].

كما ناقش ابن مضاء مسألة إلغاء العلل الثواني والثوالث في النحو محددا أنواعها مبينا ما يمكن أن يقبل وما يرفض[5]، فقال:" ومما يجب أن يسقط من النحو العلل الثواني والثوالث"[6]، وطالب بإسقاط التمارين من النحو التي يفترضها النحاة على إحكام الإعلال والإدغام فقال:"ومما ينبغي أن يسقط من النحو: ابن من كذا على مثال كذا، كقولهم: ابن من للبيع على مثال فعُل . فيقول القائل: بوع"[7].

1- ابن مضاء القرطبي ، المصدر السابق، ص 12 .

2- المصدر نفسه، ص 21 – 22 .

3- نفسه، ص 27 .

4- نفسه، ص 28 .

5- نفسه، ص 35 .

6- نفسه، ص 39 .

7- نفسه، ص 41 .

ومن جهة أخرى كان لفقهاء المذهب الظاهري دور في تنشيط الحياة العلمية من خلال ممارسة مهنة التعليم، فتذكر لنا كتب التراجم أن الفقيه الظاهري فرج بن حديدة المقرئ الظاهري المتوفى سنة (480هـ/1087مـ)[1]، أقعده المعتضد بالله عباد للقراءة بمسجد اشبيلية، أما الفقيه ابن سيد الناس المذكور سابقا، أقرأ بجامع طنجة، ثم انتقل إلى بجاية، ثم عرّج على تونس[2]وقد ارتكز أيضاً فقهاء المذهب على دعوة العامة إلى الخوض في العلوم مبينين فضل العالم على الجاهل قاصدين من وراء ذلك نشر العلم، فهذا ابن حزم تكلم في فضل العلم قائلاً : " لو لم يكن من فضل العلم إلاّ أن الجهّال يهابونك ويحبونك وأن العلماء يحبونك ويكرمونك، لكان ذلك سببا إلى وجوب طلبه. فكيف بسائر فضائله في الدنيا والآخرة؟ ولو لم يكن من نقص الجهل إلاّ أن صاحبه يحسد العلماء ويعيبه نظراؤه من الجهّال لكان ذلك سببا إلى وجوب الفرار عنه، فكيف بسائر رذائله في الدنيا والآخرة"[3].

---

[1]- ابن بشكوال المصدر السابق، **م 02**، ص 102.

[2]- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله، المصدر السابق، **ج 04**، ص 1450-1451.

[3]-ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن حزم (رسالة في مداواة النفوس وتهذيب الأخلاق والزهد في الرذائل، ج 01**، ص 343 .

02 – إسهامات فقهاء المذهب من خلال الجدل والمناظرات العلمية:

لم يعتمد فقهاء المذهب الظاهري في تنشيط الحياة العلمية والفكرية بالمغرب الإسلامي على التأليف فقط، بل دعموا ذلك بالمناظرات العلمية باعتبارها من أهم الوسائل المعتمدة في نشر مختلف العلوم خاصة النقلية منها .

فأسلافنا اعتمدوا كثيرا على المناظرة منذ عصور قديمة لدورها الرائد في تنشيط المجال الفكري والعلمي بالعالم الإسلامي مشرقا ومغربا " –المناظرة– هي نوع من أنواع البحث العلمي، عرفها العرب في أسواقهم الأدبية قبل الإسلام وبعده، وقد شجع الرسول صلى الله عليه وسلم على هذا النوع من البحث العلمي المفيد، ومضى العلماء والفضلاء من صحابته على التباحث والتناظر في قضايا العلم والأدب، وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من أحاديث المناظرات سواء في القصص الديني الذي رواه النبي صلى الله عليه وسلم عن أهل الأديان السابقة مع خصومهم أو في مناظرة كفار قريش ومجادلتهم في عباداتهم، وغلب عليها قبل الإسلام وأيامه صلى الله عليه وسلم روح التساهل والبساطة ومع العصر الأموي والعباسي ودخول الحضارات الأخرى، وامتزاج الثقافات القديمة بالإسلامية ظهرت روح المنطق والفلسفة والمجادلة في تلك المناظرات خصوصا لما ظهر الزنادقة[1] والملحدين والفرق في الإسلام، وأرادوا نشر مبادئهم وأخذوا يحبذون الناس للدخول فيها وقد كان لظهور فرقتي الجبرية[2] والمعتزلة[3] أثرا جد كبير في تطوير أمر المناظرة..."[4].

---

[1]– من الزندقة وهي القول بأزلية العالم، وأطلق على الزردشتية، والمانوية وغيرهم من الثنوية، وتوسع فيه فأطلق على كل شاكٍّ أو ضال أو ملحد، فالزنديق هو من يؤمن بالزندقة . ينظر: شوقي ضيف وآخرون، المرجع السابق، ص 304 .

[2]– مذهب يرى أصحابه أنّ كل ما يحدث للإنسان قد قدّر عليه أزلا، فهو مسير لا مخير، وتطلق على معتنقي هذا المذهب، وإذا ذكرت مع القدرية جاز تحريكها للازدواج، أو ما يسمى كذلك بمذهب الجبر الذي يرى أصحابه أنّ العباد مجبورون على أفعالهم لا اختيار لهم فيها، عكس علم الجبر الذي يعتبر فرع من فروع الرياضيات يقوم على إحلال الرموز محلّ الأعداد المجهولة أو المعدومة . ينظر: شوقي ضيف وآخرون، المرجع نفسه، ص 105 .

[3]– فرقة من المتكلمين يخالفون أهل السنة في بعض المعتقدات، على رأسهم واصل بن عطاء الذي اعتزل بأصحابه حلقة الحسن البصري . ينظر: شوقي ضيف وآخرون، المرجع السابق، ص 599.

[4]– محمد سعد أطلس، المرجع السابق، ص 155 .

لقد جُعِلَتْ المناظرة في الإسلام خصيصا لدراسة علوم الشريعة، فكانت الغاية منها الحفظ والمراجعة، ففي البداية خصصت لدراسة الحديث النبوي الشريف ثم اتسعت دائرة الاهتمام بها بتطور الحركة العلمية "خصصت المذاكرة في بدايتها لدراسة الحديث النبوي الشريف فقط، أي اقتصرت على المحدثين...ثم اتسعت أغراضها وغاياتها بتطور العلوم والبحث العلمي، بعد تعدد مجالات علم الحديث وتوسع فروعه ومن ثم أصبحت تعقد في الفقه باعتبار الحديث النبوي الشريف من أصول علم الفقه...وإنما الغاية منها الحفظ والمراجعة..."[1] .

إن المناظرة العلمية لها دور كبير في تلقين مختلف العلوم فهي وسيلة رئيسة في ذلك " كما اعتبرت أداة رئيسة للنقاش خاصة في مسائل الخلاف بين المذاهب الفقهية والفرق الكلامية، فعدّت بذلك ضرورة لازمة لعلم الفقه وغيره من العلوم فبواسطتها يتم استخراج مختلف الأحكام الشرعية[2] .

إضافة إلى دورها السابق فالمناظرات العلمية تمنح لطرفيها خبرات تتحول مع مرور الزمن إلى مهارات، ومن خلالها يكتسب المتناظرون فوائد تربوية وفي نفس الوقت يتمكنون من صقل مهاراتهم الشخصية، وتساعد المتعلمين على إدراك دور أهمية الحجج والبراهين في إقناع الخصوم حول الموضوع محل النقاش، وهذا ما تحلى به ابن حزم وبقية فقهاء المذهب الظاهري، وعلاوة على هذا كله فإن المناظرة تمنح المتعلمين والمستمعين مهارات البحث العلمي القائم على أساس أسلوب أكاديمي منهجي بسيط بعيد عن التعقيد .

إنّ المفاهيم الاصطلاحية المقدمة في شأن المناظرة تبين دورها الفعال في مجال العلم والمعرفة، يقول الباجي: " وهذا العلم من أرفع العلوم وأعظمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال، ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حجة ولا اتضحت محجة ولا علم صحيح من السقيم ولا المُعوج من المستقيم"[3]. ويقول ابن خلدون:" وهو لعمري علم جليل الفائدة في معرفة مآخذ الأئمة وأدلتهم وميزات المطالعين

---

[1]- علياء هاشم ذنون محمد المشهداني، المرجع السابق، ص 118 .

[2]- المرجع نفسه، ص 124 .

[3]- أبو الوليد الباجي، المصدر السابق، ص 08 .

له على الاستدلال فيما يرومون الاستدلال عليه..."[1]. ويقول الشنقيطي:" هي الفكر المؤدي إلى علم أو غلبة ظن...هي المحاورة في الكلام بين شخصين مختلفين يقصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول الآخر، مع رغبة كل منهما في ظهور الحق[2]، وعرّفها أيضا في موضع آخر قائلا: "المناظرة هي علم قائم بذاته يقدر به من تعلمه على بيان مواضع الغلط في حجة خصمه، وعلى تصحيح مذهبه بإقامة الدليل المقنع على صحته أو صحة ملزموه أو بطلان نقيضه ونحو ذلك"[3] .

إذن للمناظرة دور بارز في ازدهار الحياة العلمية والفكرية "ومن ليس له بضاعة من هذا الفن لا يكاد يفهم أبحاث العلوم"[4]، فقيل في أهميتها:"وما زال هذا العلم إذا وقف الإنسان منه على بعضه انفتح له ما وراء ذلك كالإنسان الذي يرى قصرا على بعد فيأتيه فيرى ما لم يكن يرى من بعده، وكذلك أن تهيأ له الدخول إليه"[5]، كما قيل:" إن المناظرات العلمية لها فوائد جليلة جمّة فالتمرن عليها يعد من أكبر الوسائل لإدراك مختلف العلوم خاصة المناظرات الفقهية منها، والخائض فيها تجعله دائم البحث برجوعه إلى أصول المسائل ليصير للعبد ملكة تامة يحسن معها الاستدلال والمناظرة والنظر"[6] .

لقد استعان فقهاء المذهب الظاهري بالمناظرة لما لها من إيجابيات فجعلوها أداة رئيسة لتنشيط الحياة العلمية والفكرية في بلاد المغرب " إن ابن حزم قد أحدث تأثيرا كبيرا في نظرة الأندلس الفكرية المتأخرة، رغم أنه لم يكن له أتباع في العقيدة معترف بهم"[7] .

فأصول المذهب التي تبنّاها ابن حزم شدّت انتباه فقهاء عصره فتعجبوا منه، وراحوا ينتقدون مذهبه طالبين إياه للمناظرة، فجرت بين الطرفين مناظرات ومنازعات فكرية كثيرة

---

[1]- ابن خلدون، **مقدمة**، المصدر السابق، ص 439 .

[2]- الشيخ محمد الأمين الشنقيطي، المرجع السابق، **ق 01**، ص 03 .

[3]- المرجع نفسه، ص 04 .

[4]- حمد ابن إبراهيم العثمان، المرجع السابق، ص 185 .

[5]- المرجع نفسه، نفس الصفحة . .

[6]- عبد الرحمن بن ناصر السعدي، **المناظرات الفقهية**، اعتنى به وعلق عليه أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 2000مـــ، ص 09.

[7]- مونغمري وات، المرجع السابق، ص 142 .

لا تعد ولا تحصى كنت قد أشرت إليها في فصول سابقة، حاول كل طرف من خلالها إثبات صحة أقواله وأفكاره، وتفنيد أقوال خصومه، فكان لهذا الأسلوب أثر كبير على المجتمع المغربي من الناحية الفقهية والعلمية .

إنّ الخوض في هذا الفن – المناظرة- يتطلب معرفة تامة بمختلف فنون العلم فمثلا الفقيه الظاهري ابن حزم ما كان ليتفوق في مناظراته على خصومه لولا إلمامه بمجموعة من العلوم قال ابن بشكوال:"...كان أبو محمد ابن حزم أجمع أهل الأندلس قاطبة لعلوم الإسلام، وأوسعهم معرفة، مع توسعه في علم اللسان[1] ووفور حظه من البلاغة والشعر"[2]، وقد دعمّ قوله صاحب المعجب قائلاً: "...ثم إنه نبذ الوزارة واطّرحها اختيارا، وأقبل على قراءة العلوم وتقييد الآثار والسّنن، فنال من ذلك ما لم ينله أحد قبله بالأندلس..."[3].

لذلك تحتّم على الخائضين في المناظرات ببلاد المغرب الإلمام بمختلف فنون العلوم. هذا الوضع كان له وقع إيجابي على الحياة العلمية في المنطقة، فالحضور استفادوا بتنوير فكرهم من خلال براعة طرفي الجدال العلمي، بل تأثروا بطريقتهما في الإقناع حيث اعتمدوها لاحقا كأسلوب رئيس في إثبات صحة أقوالهم وتكذيب إدعاءات خصومهم. وهذا ما رأيناه مع أهل المغرب الذين تأثروا كثيرا بأسلوب ابن حزم وطريقته في المناظرة خاصة بعد تلك المناظرات التي خاضها مع المالكية فلا عجب إن كثر أتباعه الذين انتحلوا مذهبه الفقهي القائم على أساس ظاهر النصوص من الكتاب والسنة .

---

[1] – اللسانيات مصطلح يرجع إلى الأصل اللاتيني الذي يعني اللسان أو اللّغة، وهو علم يدرس اللسان البشري بطريقة علمية تستند إلى معاينة الأحداث وتسجيل وقائعها، وهي قائمة على الوصف وبناء النماذج وتحليلها بالإفادة من معطيات العلوم والمعارف الإنسانية الأخرى، بهدف كشف حقائق وقوانين ومناهج الظواهر اللسانية وبيان عناصرها ووظائفها وعلاقتها الإفرادية والتركيبية داخل وخارج بنية النص، أول من استعمل مصطلحا للسانيات هو جورج مونان (J. Mounin) سنة 1249هـ/ 1833مـ، أما كلمة لساني فقد استعملها رينوار (Rainouard) سنة 1232هـ/1816مـ" . ينظر: نسيمة نابي، **مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية**، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللّغة والأدب العربي، فرع: علوم اللّغة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، إشراف صالح بلعيد، السنة الجامعية: 2010-2011مـ، ص 10 – 11 .

[2] – ابن بشكوال المصدر السابق، **م 02**، ص 58 .

[3] – المراكشي عبد الواحد، المصدر السابق، ص 34 .

لقد تكلم ابن حزم عن أهمية المجالس العلمية التي كانت تعقد فيها المناظرات الفقهية والعلمية موجها بعض النصائح للمتناظرين بالدرجة الأولى، وطلبة العلم بالدرجة الثانية قائلاً: "إذا حضرت مجلس علم، فلا يكن حضورك إلا حضور مستزيد علما وأجرا لا حضور مستغن بما عندك طالب عثرة تشنّعها أو غريبة تشيعها، فهذه أفعال الأراذل الذين لا يفلحون في العالم أبدا فإذا حضرتها على هذه النيّة، فقد حصّلت خيرا على كل حال، فإن لم تحضرها على هذه النيّة فجلوسك في منزلك أروح لبدنك وأكرم لخلقك وأسلم لدينك"[1].

من خلال كلام ابن حزم يتضح أن المشاركة في المناظرة العلمية أو حضورها كطرف مستمع لا يكون إلا طلبا للعلم، بل نجده يفرض على من حضرها من العلماء وطلبة العلم الالتزام بأوجه ثلاثة لا رابع لها وهي: "إمّا أن تسكت سكوت الجهّال، فتحصل على أجر النيّة في المشاهدة وعلى الثناء عليك بقلّة الفضول وعلى كرم المجالسة ومودّة من تجالس، فإن لم تفعل فاسأل المتعلّم فتحصل على هذه الأربع محاسن وعلى الخامسة، وهي استزادة العلم، وصفة سؤال المتعلم هو أن تسأل عمّا لا تدري لا عن ما تدري فإن السؤال عما تدريه سخف وقلّة عقل وشغل لكلامك وقطع لزمانك بما لا فائدة فيه لا لك ولا لغيرك وربما أدّى إلى اكتساب العدوات...والوجه الثالث أن تراجع مراجعة العالم، وصفة ذلك أن تعارض جوابه بما ينقضه نقضا بيّنا فإن لم يكن ذلك عندك ولم يكن عندك إلا تكرار قولك أو المعارضة بما لا يراه خصمك معارضة فأمسك لأنك لا تحصل بتكرار ذلك على أجر زائد ولا على تعليم، بل على الغيظ لك ولخصمك والعداوة التي ربما أدّت إلى المضرّات"[2].

وبذلك فإن فقهاء المذهب الظاهري كان لهم دور فعال في ازدهار الحياة العلمية من خلال المناظرات، حيث قدّموا نصائح للعلماء وطلبة العلم وما يتوجب عليهم أثناء حضورهم المجالس العلمية ولنا في ابن حزم مثال كافٍ.

هذا إضافة إلى براعة فقهاء المذهب في فن المناظرة فابن حزم كان يتقن علم الجدل فعجز أمامه فطاحل علماء المذهب المالكي باستثناء الباجي الذي تفوق عليه في فترة متأخرة من حياته بعد عودته من المشرق قاصدا الأندلس .

---

[1] - ابن حزم الأندلسي، **رسائل ابن حزم رسالة في مداواة النفوس**، المصدر السابق، **ج 01**، ص 411 .

[2] - المصدر نفسه، ص 411 – 412.

إنّ إسهامات الظاهرية في ازدهار الحياة العلمية جاء أيضا بطريقة غير مباشرة من خلال المناظرة دائماً، حيث فرض الظاهرية من الفقهاء على خصومهم خاصة المالكية منهم الردّ عليهم بالكتابة والتأليف. فأبو الوليد الباجي لّما رجع من المشرق ودخل الأندلس رأى ابتعاد أهل المغرب عن المناظرة، فلجأ إلى تأليف كتاب في هذا الفن سماه :" **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**" قاصدا من وراء كتابته ضرورة تعرف المجتمع المغربي على أركان هذا الفن والإلمام به، يقول الباجي في دواعي تأليفه :" فإني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين، خائضين فيما لم يبلغهم علمه و لم يحصل لهم فهمه، مرتبكين ارتباك الطالب لأمر لا يدري تحقيقه....أزمعت على أن أجمع كتابا في الجدل يشتمل على جمل أبوابه وفروع أقسامه أسئلة وأنواع أجوبته...وجعلته جامعا لما يحتاج إليه، مستوعبا لما يعل عليه في الاستدلال المخل بالمقصود، مستوعبا لما يعل عليه في الاستدلال بالكتاب والسنة والإجماع والقياس...."[1].

فمناظرات ابن حزم كانت سببا مباشرا وراء إقبال الناس على البحث في أقواله والرد عليه إن عارضوها " وقد ساهمت المناظرات في اتجاه الأنظار إليه- يقصد ابن حزم- واشتغال العلماء بالبحث بقوله ولا شك أن ذلك قادهم إلى التأليف في معارضة آراء ابن حزم...للرد على ما راج من آرائه بين الناس"[2] .

إضافة إلى هذا كان لمناظرات فقهاء المذهب الظاهري دورا في كشف الخفي من العلوم، فأهل المغرب لم تكن لهم دراية تامة بهذا الفن – المناظرة- ودليل ذلك أن المالكية من الفقهاء كانوا لا يجيدونها حيث تفوق عليهم ابن حزم، لكن بعد مناظرة الباجي له أصبح جل علماء وفقهاء بلاد المغرب عارفين لها وبارعين فيها، ففتح لهم ذلك الباب " لفهم مختلف فنون العلم وأكثر ما كانوا يجهلونه من قبل، وبفضل معرفتهم للمناظرات أصبحوا قادرين على ترتيب مقدمات العلوم مميزين بين الحقائق والمغالطات ووزن العلوم بالغوص فيها بثبات ورسوخ ودراية"[3] .

---

[1]- أبو الوليد الباجي، المصدر السابق، ص 07 .

[2]- سمير قدوري، المرجع السابق، ص 290 .

[3]- حمد ابن إبراهيم العثمان، المرجع السابق، ص 189 .

إذن إنّ المناظرات التي خاضها الظاهرية مع غيرهم من الفقهاء رغم حدّتها ونشأة الخصومة إلا أنّها ساهمت في تنشيط الحياة العلمية والفكرية " ذلك أن المناظرة ما إن تنتهي تكون لها تبعات منها خوض الناس في الحديث عنها ومن ثم تدوينها، فالمناظر أثناء المناظرة قد ينسى أمورا أو تغيب عنه أمورا أخرى، فذلك يجبر صاحبها إلى تقييد ما نساه في كتاب حتى يقرّ الحق"[1] .

وتجلى دور المذهب أيضاً في الحياة العلمية من خلال المناظرة بفضل المنهج المتّبع من قِبَلْ الظاهرية من الفقهاء في العقليات والنقليات المخالف تماما لمنهج بقية العلماء والفقهاء، وما يهمنا المنهج الذي اتبع في العقليات والمعتمد أساسا على المناظرة والجدل مع من خالفهم من أئمة المذاهب[2] والقائم على أساس الإلمام بعدة علوم منها: علم النفس، والفلسفة، والمنطق، فمن خلاله تم التوصل إلى الإيمان بوحدانية المولى عز وجل، والإيمان بالرسائل النبوية والمعجزات[3] فتأثر بذلك الفكر والمنهج خلق كثير .

كما تقول الحكمة " **غيض من فيض** "، فتراثنا الإسلامي مليء بالمناظرات العلمية التي عالجت مختلف القضايا المتعلقة بالجانب العلمي، تركها لنا أسلافنا وبقت شاهدة على أدوارهم الإيجابية في المجتمع، خاصة وأنّ الإخلاص كان مطلبهم من خلالها سعيهم وراء إحقاق كلمة الحق وإبطال كلمة الباطل .

إن اهتمام فقهاء المذهب الظاهري بالكتابة والتأليف في جميع فنون العلم، وإتقانهم لعلم المناظرة مكّنهم من لعب دور رائد في الحياة العلمية والفكرية بالمغرب الإسلامي، حيث أثّروا على جميع شرائح المجتمع الذين انبهروا بثقافتهم العالية وعلمهم الغزير حتى وجد البعض منهم نفسه تميل لأفكارهم ومذهبهم بمحض إرادته بعيدا عن الضغط، هذا من جهة، ومن جهة أخرى وُجِدَ من فقهاء المذهب المالكي، والشافعي، والحنفي من ترك مذهبه وانتحل المذهب الظاهري متأثراً في ذلك بمؤلفات ومناظرات السادة الظاهرية، وكتب التراجم أمدتنا بأمثلة كثيرة عن هؤلاء ذكرنا بعضها في فصول سابقة .

---

[1] – حمد ابن إبراهيم العثمان، المرجع السابق، ص 186 .

[2] – محمد أبو زهرة، المرجع السابق، ص 532 .

[3] – المرجع نفسه، ص 538 .

إضافة إلى الأدوار السابقة كان للمذهب الظاهري دور في المجال الاقتصادي، لكن قلة المادة العلمية التي تغطي هذا العنصر حالت دون البحث فيه، فالمجال يبقى مفتوحا لمن يأتي بعدي من دارسين للكتابة حوله .

الخاتمة

الخاتمة

من خلال البحث في موضوع أدوار المذهب الظاهري في بلاد الغرب الإسلامي يمكنني الخروج بالنتائج التالية:

- اعتبرت بلاد المغرب خلال العصر الوسيط أرضا بورا تقبلت كل ما ورد إليها من أفكار ومذاهب وحتى نظم مصدرها المشرق الإسلامي.

- إن النصوص التاريخية التي غطّت الجانب التاريخي للمذهب الظاهري في بلاد المغرب قليلة جدا، لكن كتب التراجم والطبقات والسير غطّت هذا النقص بنسبة كبيرة .

- لا يمكن تصنيف المذهب الظاهري ضمن المذاهب الفقهية السنية المندرسة فأتباع المذهب وجدوا في كل الفترات التاريخية .

- يعتبر ابن حزم الأندلسي أبرز فقيه ظاهري في بلاد المغرب كان له دورا بارزا في إعادة إحياء المذهب وتدوينه .

- لقد ساد المذهب الظاهري في بلاد المغرب خلال الفترة الممتدة ما بين القرنين (04-07هـ/10-13م)، وذلك راجع لدور ابن حزم ودولة الموحدين، لكن بعد هذه الفترة أخذ في التراجع بتناقص الأتباع، وبذلك تراجع تأثيره في المنطقة .

- للسلطة السياسية دور كبير في انتشار المذاهب الفقهية وسيادتها في أي منطقة، فالمذهب المالكي ساد في بلاد المغرب بدعم من الحاكم والسلطان، فالتمكين لأي مذهب يحتاج إلى مثل هذا الدعم .

- رغم ما جاء به المذهب الظاهري من جدة في الأحكام الفقهية إلا أنه لم يلقى قبول جماعي في بلاد المغرب .

- يعتبر المذهب الظاهري من أبرز المذاهب الفقهية أثراً في الجانب الفقهي والعلمي، فمؤلفات فقهاء المذهب ومدونات الفقه شاهدة على ذلك، فلا تزال أراء فقهائه واضحة في كتب الفقه .

- إن تعرض فقهاء المذهب الظاهري للتشنيع والنقد لا ينقص من قيمتهم شيء فهؤلاء اجتهدوا من أجل الخروج بفتاوى لما استجد من فابن حزم مثله مثل بقية أئمة المذاهب سعى لخدمة الإسلام والدفاع عن عقائده .

– لقد كان لفتاوى فقهاء المذهب الظاهري دورا كبيرا في المحافظة على وحدة الأمة الإسلامية رغم المعارضة التي بلقاها المذهب أيام الموحدين .

– إنّ اهتمام المذهب الظاهري بالنص كان له دور في صيانة الأصلان (القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة) من الشوائب التي كثرت آنذاك منها قضية الأحاديث الموضوعة، والطعن في سور القرآن الكريم .

– إنّ رفض الظاهرية للقياس قد عطّل أصلا مهما من أصول الاجتهاد في المسائل التي لم يرد فيها نص، فالاجتهاد روح الشريعة الإسلامية، إذ لا يمكن رفض العمل به لأن الأحداث متجددة في كل زمان ومكان ولا يمكن تجاوزها، وما يصلح من فتوى في زمن قد لا يصلح في زمن آخر، وإذا صلحت فتوى في منطقة قد لا تصلح في أخرى، وبذلك توجب الاجتهاد فيما لا نص فيه .

– إنّ ظاهرية دولة الموحدين من عدمها قد ولّدت مجموعة من الآراء المتناقضة وما زال الباب مفتوح أمام الباحثين لدراسة الموضوع .

– إنّ الدور الإيجابي للمذهب الظاهري، جعل كثير من أهل المغرب يقبلون على انتحاله.

– إنّ تراجع تأثير المذهب الظاهري في بلاد المغرب راجع إلى قوة المذهب المالكي واتساع قاعدته الشعبية في المنطقة .

– إنّ أصول وقواعد المذهب الظاهري قريبة جدا من التوجه الفقهي للذاهب السنية.

– يبدوا واضحا تفوق فقهاء المذهب بالمغرب على نظرائهم بالمشرق من حيث عددهم وإنتاجهم العلمي .

– قوة وصلابة عقيدة السنيين من أهل المغرب استطاعت تحكيم كل الأفكار الخارجية، والرافضية، والاعتزالية، والتومرتية والظاهرية

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

– أ– القرآن الكريم: برواية حفص عن عاصم .

– ب – المصادر:

01- ابن النديم أبو الفرج محمد بن أبي يعقوب اسحق المعروف بالورّاق، **كتاب الفهرست في أخبار العلماء المصنفين من القدماء والمحدثين وأسماء ما صنفوه من الكتب، الفن الثاني من المقالة السادسة في أخبار العلماء وأسماء ما صنفوه من الكتب**، حقيق رضا تجدد، د ت .

02- ابن أبي زرع الفاسي، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972مـــ .

03- ابن الأبار أبو عبد الله بن أبي بكر القضاعي البلنسي(595-658هـــ/1199مـــ 1260مـــ)، **كتاب التكملة لكتاب الصلة**، طبع في مدينة مجريط بمطبع رسارة، 1889مـــــ .

04- // // // **كتاب الحلة السيراء**، تحقيق وتعليق حسين مؤنس، دار المعارف، ط02، 1985مـــ .

05- ابن الجزري الدمشقي الشافعي، ت (833هـــ/1429مـــ)، **غاية النهاية في طبقات القراء**، تحقيق ج. برجستراسر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط 01، 2006مـــ .

06- ابن الفرضي أبي الوليد عبد الله بن محمد بن يوسف بن نصير الأزدي ت(403هـــ/1012مـــ)، **تاريخ علماء الأندلس (تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس)**، تحقيق روحية عبد الرحمن السويفي، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلميو، بيروت، لبنان، ط 01، 1997مـــ .

07- ابن بشكوال ت (578هـــ/1182مـــ)، **كتاب الصلة**، تحقيق شريف أبو العلا العدوي، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، القاهرة، ط 01، 2008مـــ .

08- ابن حزم الأندلسي (384-456هـــ/ 994-1063مـــ)، **رسائل ابن حزم الأندلسي**، تحقيق إحسان عباس، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط 02، 1987مـــ .

09- // // //، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق محمد إبراهيم نصر، و وعبد الرحمن بن عميرة، دار الجيل بيروت، لبنان، ط 02، 1996مـــ .

10- // // //، **الفصل في الملل والأهواء والنحل**، تحقيق محمد إبراهيم نصر، و عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، لبنان، د ت .

11- // // // **المحلى بالآثار**، تحقيق عبد الغفار سليمان البندراني، دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، د ت .

12- // // //، **الرد على ابن النغرلة اليهودي ورسائل أخرى**، تحقيق إحسان عباس، مكتبة دار العروبة، القاهرة، 1960مـــ .

13- // // //، **الإحكام في أصول الأحكام**، منشورات دار آفاق، بيروت، لبنان، 1980 مـــ.

14- ابن خلدون عبد الرحمن (732-808هـــ/1332-1406مـــ)، **تاريخ ابن خلدون المسمى بـــ: كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر**، ضبط المتن ووضع الحواشي والفهارس الأستاذ خليل شحادة، مراجعة الدكتور سهيل زكار، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2000مـــ .

15- // // //، **مقدمة**، دار الفكر للطبع والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004مـــ .

16- ابن خلف أبي الوليد سليمان، **كتاب الحدود**، تحقيق تربة حماد، مؤسسة الزعبي، د ت .

17- ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر (608-671هـــ/1211مـــ - 1272مـــ)، **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر، بيروت، لبنان، د ت .

18- ابن سعد محمد بن منيع الزهري ت (230هـــ/844مـــ)، **كتاب الطبقات الكبير، فيمن كان بمكة والطائف واليمن واليمامة والكوفة من الصحابة ومن كان بها بعدهم من**

التابعين وغيرهم من أهل الفقه والعلم، تحقيق الدكتور علي محمد عمر، الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط01، 2001مـ .

19- ابن سعيد أبو الحسن علي بن موسى الأندلسي (610-685هـ/1213-1286مـ)، **الغصون اليانعة في محاسن شعراء المائة السابعة**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار المعارف، مصر، 2009مـ .

20- ابن سعيد المغربي أبو الحسن علي بن موسى، **كتاب الجغرافيا**، حققه ووضع مقدمته وعلق عليه، إسماعيل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 02، 1982مـ .

21- ابن عبد البر النمري القرطبي الأندلسي أبي عمر يوسف ت (463هـ/1070مـ)، **جامع بيان العلم وفضله**، ، وقف على طبعه وتصحيحه وتقييد حواشيه إدارة الطباعة المنيرية.

22- ابن عذاري المراكشي، **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب قسم الموحدين**، تحقيق الأساتذة محمد إبراهيم الكتاني، محمد بن تاويت، محمد زنبير، عبد القادر رزمامة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 01، 1985مـ .

23- ابن عريف أبو العباس (481هـ/536هـ/1088مـ - 1141مـ) ، **مفتاح السعادة وتحقيق طريق السعادة**، جمعه أبو بكر بن عتيق بن مؤمن (496-548هت/1102-1153مت)، دراسة وتحقيق عصمت عبد اللطيف دندش، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنتن، ط 01، 1993مـ .

24- ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي (499-571هـ/ 1105-1175مـ)، **تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها**، دراسة وتحقيق محب الدين أبي سعيد عمر بن غلامة العمري، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1996مـ .

25- ابن فرحون المالكي إبراهيم بن نور الدين ت (799هـ/1396مـ)، **الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب**، دراسة وتحقيق مأمون بن يحيى بن محي الدين الجنّان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1996مـ .

26- ابن كثير القرشي الدمشقي الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل (701-774هـ/ 1301- 1372م)، **البداية والنهاية**، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط 01، 1419هـ/ 1998م .

27- ابن مرزوق التلمساني، **المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن**، دراسة وتحقيق الدكتورة ماريا خيسوس بيغيرا، تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981م .

28- ابن مريم المديوني التلمساني، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1989م.

29- ابن مضاء أبي العباس أحمد بن عبد الرحمن اللخمي القرطبي (513-592هـ/1119-1195م)، **الرد على النحاة**، دراسة وتحقيق محمد إبراهيم البنا، دار الاعتصام، ط 01، 1399هـ/1989م .

30- ابن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف ، النيل، القاهرة، د ت .

31- ابن نجيم الحنفي، **البحر الرائق شرح كنز الدقائق في فروع الحنفية**، ضبطه وخرّج آياته وأحاديثه:الشيخ زكريا عميرات، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1418هـ، ط 01، 1997م .

32- ابن هشام، **السيرة النبوية**، حققها وضبطها وشرحها ووضع فهارسها، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، د ت .

33- أبو أصبغ عيسى بن سهل الأندلسي، **ثلاثة وثائق في محاربة الأهواء والبدع في الأندلس**، دراسة وتحقيق محمد عبد الوهاب خلاّف، مراجعة وتقديم محمود علي مكي، ومصطفى كامل إسماعيل، توزيع المركز العربي الدولي للإعلام ، القاهرة، مصر، ط 01، 1981م .

34- أبو الوليد الباجي (403-474هـ/1112-1081م)، **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 02، 1987م .

35- // // // **كتاب المنهاج في ترتيب الحجاج**، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي ،بيروت لبنان، ط 03، 2001مـ .

36- أبو بكر بن العربي القاضي، **العواصم من القواصم**، تحقيق عمار طالبي، مكتبة دار التراث، القاهرة، د ت .

37- أبو حامد الغرناطي، **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تحقيق إسماعيل العربي، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1993مـ .

38- أبو زيد القيرواني أبو محمد عبد الله ت (386هـ/996مـ)، **الذّبُّ عن مذهب مالك في غير شيء من أصوله وبعض مسائل من فروعه وكشف ما لبس به بعض أهل الخلاف، وجهله من محاج الأسلاف**، دراسة وتحقيق محمد العلمي، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعمل، الرباط، المغرب الأقصى، ط 01 2011مـ .

39- أبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر، ت (732هـ/1331مـ)، **تقويم البلدان**، دار صادر بيروت، لبنان، طبع بمدينة باريس المحروسة بدار الطباعة السلطانية، 1830مـ .

40- الأزدي أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، كتاب العلم، باب الحثّ على طلب العلم، الحديث رقم 3641، إعداد وتعليق عزّت عبيد الدعاس وعادل اليد، دار ابن حزم، د ت .

41- إسماعيل بن الأحمر، **بيوتات فاس الكبرى**، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972مـ .

42- الأصبهاني أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ابن موسى بن مهران المهراني الأصبهاني، **تاريخ أصبهان** (**ذكر أخبار أصبهان**)، تحقيق كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 1990مـ .

43- البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب (392هـ/462هـ- 1001مـ / 1069مـ)، **كتاب الفقه والمتفقهة**، تحقيق عادل بن يوسف العزازي، دار ابن الجوزي، ط 01، 1996 مـ .

44- البيذق أبو بكر بن علي الصنهاجي، **كتاب أخبار المهدي بن تومرت**، تقديم وتحقيق عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1974مـــ .

45- الترمذي أبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة المتوفى سنة (279هـــ/892مـــ)، **الجامع الكبير (سنن الترمذي)، باب إذا أراد الله بعبد خيرا فقهه في الدين**، حديث رقم، 2836، حقّقه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه، شعيب الأرنؤوط، وهيثم عبد الغفور، دار الرسالة العالمية، ط 01، 1430هـــ/2009مـــ .

45- // // //، **كتاب الوصايا عن رسول الله، باب ما جاء لا وصية لوارث، الحديث** رقم: 2121 .

46- التنبكتي أحمد بابا، **كفاية المحتاج لمعرفة من ليس في الديباج**، دراسة وتحقيق محمد مطيع، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1421هـــ/2000مـــ .

47- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، **بغية الوعاة في طبقات اللّغويين والنّحاة**، د ت .

48- الحميدي أبي عبد الله ت (488هـــ/1095مـــ)، **جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس**، تحقيق بشار عواد معروف ومحمد بشار عواد، دار الغرب الإسلامي، تونس، ط 01، 2008مـــ .

49- الحميري محمد بن عبد المنعم، **الروض المعطار في خبر الأقطار معجم جغرافي مع فهارس شاملة**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط 01، 1975مـــ، ط 02، 1984مـــ .

50- الحنبلي الدمشقي الإمام شهاب الدين أبي الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكريّ (1032-1089هـــ/1622-1678مـــ)، **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**، أشرف على تحقيقة وخرج أحاديثه عبد القادر الأرنؤوط، حقّق وعلق عليه محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق- بيروت، ط 01، 1988مـــ .

51- الخشني محمد بن حارث ت (361هـــ971مـــ)، **أخبار الفقهاء والمحدثين**، دراسة وتحقيق ماريا لويسا آبيلا ولويس مولينا، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ، معهد التعاون مع العالم العربي، 1992 مـــ.

52- الخطيب البغدادي أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت (392-463هـ/ 1001-1070م)، **تاريخ مدينة السلام وأخبار محدثيها وذكر قطّانها العلماء من غير أهلها وورادیها**، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط 01، 1422هـ/ 2001 م .

53- الدبّاغ أبو زيد عبد الرحمن محمد الأنصاري الأسيدي (605- 696هـ/1208-1296م)، **معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان**، أكمله وعلّق عليه أبو الفضل أبو القاسم بن عيسى بن ناجي التنوخي، تحقيق محمد الأحمدي أبو نور و محمد ماضيور، مكتبة الخانجي مصر، المكتبة العتيقة، بتونس، 1972م .

54- الذهبي أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ت (748هـ/1347م)، **ميزان الاعتدال في نقد الرجال**، تحقيق علي محمد البجاوي، دار المعرفة، بيروت، لبنان، د ت .

55-// // //، **تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام**، تحقيق الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 01، 1411هـ/1990م .

56- // // //، **سير أعلام النبلاء**، تحقيق حسين الأسد، مؤسسة الرسالة بيروت لبنان، ط 11، (1417هـ/ 1996م) .

57- الزركشي أبي عبد الله محمد بن إبراهيم، **تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية**، تحقيق وتعليق محمد ماضور، المكتبة العتيقة، تونس، ط 02، 1966م .

58- الزهري أبي عبد الله محمد بن أبي بكر، توفي أواسط القرن السادس الهجري، **كتاب الجغرافيا**، تحقيق محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد مصر، د ت.

59- الشاطبي أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الشاطبي الغرناطي، ت (790هـ/1388م)، **الاعتصام**، ضبط وتصحيح أحمد عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط01، 1988م .

60- الشرازي أبي إسحاق الشافعي (393هـ/476هـ/1002-1083م)، **طبقات الفقهاء**، تحقيق وتقديم إحسان عباس، دار الرائد العربي، بيروت، لبنان، د ت.

61- الشهرستاني أبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد (479هـ/ 1086م ـ 548هـ/ 1153م)، **الملل والنحل**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 2008 م.

62- الضبي (599هـ/1203مـ)، **بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس**، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتب المصري، القاهرة، دار الكتب اللبناني، بيروت، ط 01، 1980مـ.

63- عبد الحميد بك نافع، **ذيل خطط المقريزي**، تحقيق خالد عزب، محمد السيد حمدي، مدرسة الدار العربية للكتاب، ط 01، يناير 2006مـ .

64- عبد الواحد المراكشي ت (647هـ/1249مـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط 02، 2005مـ.

65- العبدري محمد، **الرحلة المغربية**، تقديم سعد بوفلاقة، منشورات بونة للبحوث والدراسات، ط 01، 2007 مـ

66- علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرّم الله وجهه، **ديوان أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب**، جمع وترتيب عبد العزيز الكرم، ط 01، 1409هـ/1988مـ .

67- علي بن سالم الورداني، **الرحلة الأندلسية**، تحقيق عبد الجبار الشريف، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، الدار التونسية للنشر، مارس 1984مـ

68- عياض أبو الفضل اليحصبي السبتي (476هـ/544هـ)، **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية الحلقة الأولى رجال المالكية من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مالك**، بقلم الدكتور قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط 01، 2002 مـ .

69- عياض أبي الفضل بن موسى اليحصبي السبتي (476- 544هـ / 1083- 1149مـ)، **جمهرة تراجم الفقهاء المالكية، الحلقة الأولى رجال المالكية من كتاب ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، رتبه واختصره وهذّبه الدكتور قاسم علي سعد، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، ط 01، 2002مـ .

70- // // //، **ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك**، تحقيق الدكتور محمد بن شريف، د ت .

71- الغبريني أبو العباس أحمد بن عبد الله ت (714هـ/1314مـ)، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق محمد بن أبي شنب، دار البصائر للتوزيع والنشر، ط 01، 2007مـ .

72- الكتاب المقدس، ترجمة العالم الجديد، WATCH TOWER BIBLE AND TRACT SOCIETY OF NEW YORK , INC. BROOKLIM, NEW YORK, U.S.A- Editions les Témoin de Jéhovah de France (ass.19901) 11 , rue de Seine, 92100Boulogne – Billancourt, طبعة فبراير، 2015مـ، ص 05- 06.

73- لسان الدين ابن الخطيب التلمساني ذي الوزارتين (713- 776هـ/ 1313-1374مـ)، **كتاب معيار الإختيار في ذكر المعاهد والديار**، تحقيق محمد كمال شبانة، مطبعة فضالة، المغرب، المحمدية، د ت .

74- // // // ، **الإحاطة في أخبار غرناطة**، حقّق نصه ووضع مقدمته وحواشيه، محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 02، 1973مـ .

75- ليون الإفريقي الحسن بن محمد الوزان الفاسي، **وصف إفريقيا**، ترجمه عن الفرنسية محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، ط 02، 1983مـ .

76- مالك بن أنس إمام دار الهجرة (93 -179هـ/711-795مـ)، **الموطأ برواية يحي بن يحي الليثي (152-234هـ/ 769-848مـ)**، **وعليه زيادات رواية أبي مصعب الزّهري المدني (150-242هـ/767-856مـ)**،**كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر، حديث رقم 1718**، تحقيق كلال حسن علي، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، سوريا، ط 01، 1434هـ/2013مـ .

77- محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي شمس الدين أبو عبد الله، **تذكرة الحفاظ**، عبد الرحمن بن يحي المعلمي، دائرة المعارف العثمانية، 1374هـ/1945مـ .

78- محمد بن تومرت مهدي الموحدين، **أعز ما يطلب**، تقديم وتحقيق عمار طالبي، صدر هذا الكتاب عن وزارة الثقافة بمناسبة الجزائر عاصمة الثقافة العربية، 2007 مـ .

79- المراكشي عبد الواحد ت (647هـ/1249مـ)، **المعجب في تلخيص أخبار المغرب**، وضع حواشيه حليل عمران المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط02، 2005مـ .

80- مسلم، **صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب البر والصلة، باب الأرواح جنود مجندة**، المطبعة المصرية بالأزهر، ط 01، 1349هـ/1930مـ .

81- المقدسي أحمد بن عبد الرحمان بن قدامه (651هـ/689مـ)، **مختصر منهاج القاصدين**، اعتنى به وعلق عليه عبد المنعم شلبي وحسين الزهران، مؤسسة الرسالة ناشرون، بيروت، لبنان، ط 01، 2004مـ .

82- المقري أحمد بن محمد التلمساني، **نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب**، تحقيق الدكتور إحسان عباس، دار صادر بيروت، لبنان، 1968مـ.

83- // // //، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبطه وحقّقه وعلّق عليه، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، د ت .

84- النباهي أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن المالقي الأندلسي، **تاريخ قضاة الأندلس وسماه كتاب المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا**، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، لبنان، ط 05، 1403هـ/ 1983مـ .

85- الونشريسي أبي العباس أحمد بن يحي ت (914هـ/1508مـ)، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية والأندلس والمغرب**، خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف الدكتور محمد حجي، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية للملكة المغربية، 1401هـ- 1981مـ .

86- ياقوت الحموي الإمام شهاب الدين ابي عبد الله الرومي البغدادي، **معجم البلدان**، ، دار صادر بيروت، لبنان، د ت، .

87- // // //، **معجم الأدباء إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب**، تحقيق إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط01، 1993مـ.

88- // // //، **معجم البلدان**، دار صادر بيروت، لبنان، 1977 مـ .

- ت- المراجع باللّغة العربية:

01-إبراهيم خليلي السمرائي وآخرون، **تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، دار المغرب الإسلامي**، بيروت، لبنان، ط 01، 2004مـ .

02- ابن الطرهوني محمد بن رزق، **سلسلة الأجزاء الحديثة جزء فيه مجلس من فوائد الليث بن سعد**، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، ط01، 1987مـــ .

03- أبو زهرة محمد، **تاريخ المذاهب الإسلامية في السياسة والعقائد وتاريخ المذاهب الفقهية**، دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، د ت .

04- أبو عبية طه عبد المقصور عبد الحميد، **الحضارة الإسلامية دراسة في تاريخ العلوم الإسلامية نشأتها بالمشرق انتقالها إلى الأندلس دعم الأندلسيين لها تأثيرها على أوربا**، ، منشورات محمد بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2004مـــ .

05- أحمد بن خالد الناصري أبو العباس ، **كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية والموحدية)**، تحقيق وتعليق ولدي المؤلف جعفر الناصري، ومحمد الناصري، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1954مـــ.

06- الأسيل، **القاموس العربي الوسيط – عربي عربي**-، دار الراتب الجامعية، د ت .

07- الأعظمي محمد مصطفى، **دراسات في الحديث النبوي وتاريخ تدوينه**، المكتب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1980مـــ .

08-أنطوان بشارة قيقانو، **جدول السّنين الهجرية وما يوافقها من السّنين الميلادية**، دار المشرق، بيروت، لبنان، ط 03، 1997مـــ .

09- بالنثيا أنخيل جنالث، **تاريخ الفكر الأندلسي**، نقله عن الإسبانية حسين مؤنس، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 1955مـــ .

10- بروكلمون كارل، **تاريخ الشعوب الإسلامية**، نقله إلى العربية نبيه أمين فارس، منير البعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 05، 1968مـــ .

11- البوعبدلي المهدي، **لقطات من تاريخ دور بعض علماء الجزائر في الاجتهاد، ملتقى الاجتهاد، محاضرات ملتقى الفكر الإسلامي السابع عشر**، 1983مـــ .

12- تركي عبد المجيد، **مناظرات في أصول الشريعة الإسلامية بين الباجي وابن حزم**، ترجمة وتحقيق وتعليق عبد الصبور شاهين، مراجعة محمد عبد الحليم محمود، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط 01، 1986مـــ .

13- الثعالبي الحجوي محمد بن الحسن، **كتاب الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي**، ابتدئ طبعه بمطبعة إدارة المعارف بالرباط عام 1340هـ، وكمل مطبعة البلدية فاس، 1345هـ .

14- جلاب حسين، **الدولة الموحدية أثر العقيدة في الأدب**، المطبعة والوراقة الوطنية مراكش، ط 03، 1995مـ .

15- الجميلي السيد، **مناظرات ابن تيمية مع فقهاء عصره**، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط 01، 1985مـ .

16- الجنابي محمد نصيف، **علوم القرآن الكريم**، بحث ضمن كتاب حضارة العراق، دار الحرية للطباعة بغداد، 1985مـ .

17- الجنسون ستيفن، **من أجل التفوق في المناظرات دليل خوض المناظرات على نمط بطولات العالم لمناظرات الجامعات**، المؤسسة الدولية لتعليم المناظرة، نيويورك، 2009مـ .

18- حبرشية علي، **آداب الحوار والمناظرة**، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ط01، 1989مـ .

19- حتي فيليب، **العرب تاريخ موجز**، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، إعادة ط 06، 1991 مـ .

20- حسين أحمد فراج، **تاريخ الفقه الإسلامي**، الدار الجامعية، بيروت، لبنان، ط 1989مـ .

21- حماية محمود علي، **ابن حزم ومنهجه في دراسة الأديان**، دار المعارف، كونيش النيل، القاهرة، ، ط 01، 1983مـ

22- خير الدين الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط 15، 2002مـ .

23- دويدار حسين يوسف، **المجتمع الأندلسي في العصر الأموي" 138-422هـ/755- 1030مـ**"، مطبعة الحسين الإسلامية، القاهرة، مصر، ط 01، 1994مـ .

24- الرباصي مفتاح يونس، **المؤسسات التعليمية في العصر العباسي الأول (132-232هـ/749-846مـ)**، منشورات جامعة 07 أكتوبر الإدارة العامة للمكتبات والمطبوعات والنشر، مصراتة، ليبيا، ط 01، 2010مـ .

25- الزرقا مصطفى أحمد، **كتاب الفقه الإسلامي في ثوبه الجديد المدخل الفقهي العام إخراج جديد بتطوير في الترتيب والتبويب وزيادات**، ، دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى، 1998مـ .

26- زقور أحسن، **عالمية الفقه المالكي وهيمنته على سائر الفقه**، منشورات دار الأديب، وهران، د ت .

27- زيتون محمد محمد، **القيروان ودورها في الحضارة الإسلامية**، دار المنار للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، ط 01، 1988مـ .

28- سالم بن عبد الله الخلف، **نظم حكم الأمويين ورسومهم في الأندلس**، ط 01، 2003مـ

29- السعدي عبد الرحمن بن ناصر، **المناظرات الفقهية**، اعتنى به وعلق عليه أبو محمد أشرف بن عبد المقصود، مكتبة أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 01، 2000مـ.

30- السيوطي خالد عبد الحليم عبد الرحيم، **الجدل الديني بين المسلمين وأهل الكتاب بالأندلس (ابن حزم- الخزرجي)**، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ت .

31- شاوش الحاج محمد بن رمضان، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995 مـ .

32- الشنقيطي محمد الأمين، **آداب البحث والمناظرة**، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، د ت .

33- شواط الحسين بن محمد، **القاضي عياض عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته (476-544هـ)**، دار القلم، دمشق، ط 01، 1419هـ - 1999مـ .

34- الصغير فالح بن محمد بن فالح، **تركت فيكم أمرين دراسة لمصدرية التلقي في هذا الدين**، دار ابن الأثير 1425هـ/2004مـ .

35- ضيف شوقي وآخرون، **المعجم الوسيط**، مجمع اللّغة العربية الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، ط 04، 2004مـ .

36- العبادي أحمد مختار، **دراسات في تاريخ المغرب والأندلس**، مؤسسة شباب الجامعة الإسكندرية، د ت .

37- عبد الباري فرج الله، **مناهج البحث وآداب الحوار والمناظرة**، دار الأفاق العربية، القاهرة، ط01، 2004مـ .

38- عبد الرزاق أحمد أحمد، **الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى العلوم العقلية**، دار الفكر العربي، القاهرة، ط01، 1991 مـ .

39- عبد السلام أبو الفضل بن محمد بن عبد الكريم، **الإمام ابن حزم ومنهجه التجديدي في أصول الفقه**، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع القاهرة، ط 01، 1422هـ/2001مـ.

40- العثمان حمد بن إبراهيم، **أصول الجدل والمناظرة في الكتاب والسنة**، نمتبة ابن القيم، الفحيحيل، الكويت، ط01، 2001مـ .

41- العسيري أحمد معمور، **موجز التاريخ الإسلامي منذ عهد آدم عليه السلام تاريخ ما قبل الإسلام إلى عصرنا الحاضر**، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية، الدمام، السعودية، ط 01، 1996مـ .

42- عليان رشدي محمد، **الفقه الإسلامي**، بحث ضمن كتاب حضارة العراق، دار الحرية للطباعة بغداد، 1985مـ .

43- عنان محمد عبد الله، **دولة الإسلام في الأندلس العصر الثالث عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط 02، 1990مـ .

44- الغامدي خالد بن ناصر بن سعيد آل حسين العبدلي، **الصراع العقائدي في الأندلس خلال ثمانية قرون بين المسلمين والنصارى من الفتح الإسلامي (96هـ) حتى سقوط غرناطة (897هـ) دراسة عقدية**، مكتبة الكوثر للنشر والتوزيع، الرياض، السعودية، ط 01، 1429هـ/2008مـ .

45- فاتيغا موسى، **أصول فقه الإمام مالك أدلته العقلية**، دار التدمرية، توزيع دار ابن حزم، ط 01، 2007 مـــ.

46- محمد الشريف المنتصر بالله بن محمد الزمزمي الكتاني الحسيني، **معجم فقه ابن حزم الظاهري**، إخراج واعتناء حفيد المؤلف الشريف محمد حمزة بن علي الكتاني، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 01، 2009 مـــ.

47- محمد علي جمعة، **المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية**، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، مصر، القاهرة، ط 04، 2012مـــ .

48- محمد فتحة، **النوازل الفقهية والمجتمع: أبحاث في تاريخ الغرب الإسلامي (من القرن 06 إلى 09 هـــ/ 12 – 15 مـــ)**، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، عين الشق، الدار البيضاء، 1999مـــ .

49- محمود أحمد بكير، **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، 1990مـــ .

50- محمود عبد الحليم، **أقطاب التصوف**، دار المعارف، مصر، 1976مـــ .

51- **المنجد الإعدادي**، دار المشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، 1969مـــ .

52- المنوني محمد، **حضارة الموحدين**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط 01، 1989مـــ .

53- الميلي مبارك بن محمد الهلالي، **تاريخ الجزائر في القديم والحديث**، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر، 1963مـــ .

54- النبهان محمد فاروق، **المدخل للتشريع الإسلامي نشأته أدواره التاريخية مستقبله**، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، لبنان، د ت .

55- نواب عواطف محمد يوسف، **الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية مقارنة**، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996مـــ

56- الهروس مصطفى، **المدرسة المالكية الأندلسية إلى نهاية القرن الثالث الهجري نشأة وخصائص**، مطبعة فضالة، زنقة ابن زيدون، المحمدية، المغرب الأقصى،1418هـ/1997مـ .

57- وات مونغمري، **في تاريخ إسبانيا الإسلامية (مع فصل في الأدب بقلم بيير كاكيّا)**، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت، لبنان، ط 02، 1998مـ.

58- يوسف عيد ويوسف فرحات، **معجم الحضارة الأندلسية**، دار الفكر العربي، مؤسسة ثقافية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط 01، 2000مـ .

– ث– الرسائل الجامعية: (ماجستير/ دكتوراه) .

– رسائل ماجستير:

01- بحري يون، **الفقه المالكي في عصر الموحدين (515-668هـ/1116-1269مـ) دراسة تاريخية واجتماعية**، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف الدكتور صالح بن قربة، كلية العلوم الإسلامية، قسم اللّغة والحضارة، جامعة الجزائر 01، 1433هـ/ 2012مـ

02- بوروبة حمزة، **المسائل الحديثية التي خالف فيها ابن حزم جمهور المحدثين**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم الإسلامية، إشراف الأستاذ الدكتور مصطفى حميداتو، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والعلوم الإسلامية، قسم العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، (1431-1432هـ/2010-2011مـ) .

03- بوعقادة عبد القادر، **المذاهب الفقهية المندثرة وأثرها في التشريع الإسلامي في القرنين الثاني والثالث للهجرة (08 و09 للميلاد)**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، إشراف الدكتور موسى لقبال،جامعة الجزائر، 2002- 2003مـ .

04- عبد الجبار صدّيقي، **سقوط الدولة الموحدية دراسة تحليلية في الأسباب والتداعيات**، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي، إشراف الدكتور مكيوي محمد، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، قسم التاريخ وعلم الآثار، شعبة التاريخ، 2013 – 2014 مـ .

05- عبيد عماد جميل عبد الرحمن، **جهود ابن حزم في جدال اليهود**، قدم هذا البحث استكمالا لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة، إشراف الدكتور، جابر زايد السميري، الجامعة الإسلامية غزة، كلية أصول الدين، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، 2007 مـ / 1428هـ .

06- مبارك بشير، **المدارس التعليمية بالمغرب الأوسط على العهد الزياني633 – 962هـ / 1235 – 1554مـ**، رسالة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الوسيط، جامعة معسكر، الجزائر، 2010- 2011مـ .

07- نابي نسيمة، **مناهج البحث اللغوي عند العرب في ضوء النظريات اللسانية**، مذكرة لنيل درجة الماجستير، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم اللّغة والأدب العربي، فرع: علوم اللّغة، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، إشراف صالح بلعيد، السنة الجامعية: 2010-2011مـ .

– رسائل دكتوراه:

01- الثقفي محمد بن شديد بن شداد، **إلزامات ابن حزم الظاهري للفقهاء من خلال كتابه المحلى من أول كتاب الصلاة إلى نهاية كتاب الزكاة دراسة وتقويما**، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الفقه الإسلامي، إشراف فضيلة الشيخ سعيد بن درويش الزهراني، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية،، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، قسم الشريعة ، شعبة الفقه، 1431هـ 1432هـ، الرقم الجامعي: 42870006 .

02- الجندي علي محمود عبد اللطيف، **مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين**، رسالة دكتوراه، إشراف محمد عبد الوهاب فضل، كلية اللغة العربية بالقاهرة، قسم التاريخ والحضارة، جامعة الأزهر، 1425هـ/ 2004مـ .

03- محمد المشهداني علياء هاشم ذنون، **فقهاء المالكية دراسة في علاقاتهم العلمية في الأندلس والمغرب حتى منتصف القرن السادس للهجرة الثاني عشر للميلاد**، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في فلسفة التاريخ الإسلامي، جامعة الموصل، إشراف مزاحم علاوي الشاهري، 2003مـ .

– ج– الدوريات والمجلات:

قائمة المصادر والمراجع

01- ابن العباس عبد المالك،" **أصل اللّغة وعلاقتها بالمنطق عند ابن حزم**"، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، دورية محكمة تصدرها كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإنسانية ، قسنطينة، العدد 11، 2010مـــ .

02- أمين حسين:" **المعاهد والمؤسسات العلمية في العالم الإسلامي**"، **مجلة الثقافة العربية، ع 10**، أكتوبر 1980 مـــ .

03- بشير مبارك، "**المدرسة المالكية المغربية ما بين القرن (02هـــ/08مـــ – 05هـــ/11مـــ) بحث إحصائي من خلال كتاب جمهرة الفقهاء المالكية**"، مجلة الحكمة للدراسات الإسلامية، تصدر عن مؤسسة كنوز الحكمة للنّشر والتوزيع، **ع 07**، السداسي الأول 2016مـــ .

04- بن خيرة رقية "**صورة المرأة الأندلسية من خلال كتاب طوق الحمامة في الألفة والآلاف لابن حزم الأندلسي، ت (456هـــ/1064مـــ)**"، **الناصرية** مجلة علمية محكمة تصدر عن مخبر البحوث الاجتماعية والتاريخية، جامعة معسكر، العددان الخامس والسادس، جوان، 2014 – 2015مـــ .

05- بوتشيش إبراهيم القادري،"**خطاب التقريب بين المذاهب الدينية في المجتمعات الإسلامية المعاصرة حدود الإنجاز ومبادئ للتطوير**"، المواقف مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، عدد خاص بفعاليات الملتقى الدولي الأول حول الظاهرة الدينية قراءات جديدة من منظور العلوم الاجتماعية والإنسانية أيام 14 و 15 و 16 أفريل 2008مـــ، مكتبة الرشاد للطباعة والنشر والتوزيع سيدي بلعباس الجزائر، أفريل 2008مـــ .

06- بونابي الطاهر،" **المعرفة التاريخية عند ابن حزم الأندلسي من خلال تأريخه للأديان السماوية (اليهودية والمسيحية أنموذجا**"، المواقف مجلة الدراسات والبحوث في المجتمع والتاريخ، ع 01، جانفي/ديسمبر 2007مـــ، منشورات المركز الجامعي مصطفى اسطمبولي، معسكر .

07- الطاهري أحمد، **دراسات ومباحث في تاريخ الأندلس عصر الخلافة والطوائف**، ط 01، 1993مـــ، ص 79، بحث بعنوان:" **قرطبة في عصر الخلافة النموذج الأمثل للنمو**

الحضري بالغرب الإسلامي"،نشر هذا العمل ضمن أشغال ندوة: **المدينة في تاريخ المغرب العربي**: منشورات كلية الآداب ابن مسيك، الدار البيضاء 1988مـــ.

08- عبد الخالق عادل عبد العزيز غيث، **الصراع المذهبي بين المالكية والظاهرية في الأندلس وموقف ملوك الطوائف حياله (ابن حزم الظاهري أنموذجا)**، المجلة الليبية العالمية، جامعة بنغازي، كلية التربية، المرج، ع 02، مارس 2015مـــ، ص – ص 01- 23، نقلا عن :

Urvoy Dominique : Lavie Intellectually et Spiritually dans les balers muscleman's Allandale's, 1972 .

09- عبد الهادي عبد الباقي السيد، " **المذهب الظاهري نشأته وتطوره بالمغرب والأندلس حتى نهاية الموحدين**"، الجمعية المصرية للدراسات التاريخية حولية سيمنار التاريخ الإسلامي الوسيط، ع 02، 1433هـــ/ 2012مـــ .

10- عمار ربيح،"**ابن مضاء القرطبي ثورة في الفقه ثورة في النحو**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر بسكرة، العدد 05، جوان 2009مـــ.

11- عناد وجدان فريق،" **بغداد مدينة الحوار الحضاري رحلة ابن فضلان أنموذجا الدوافع والنتائج**"، مجلة كان التاريخية، ع 28، يونيو 2015مـــ، السنة الثامنة .

قدوري سمير، "**الردود على ابن حزم بالأندلس والمغرب من خلال مؤلفات علماء المالكية**"، مجلة الأحمدية، العدد الثالث عشر، محرم 1424هـــ/2003مـــ .

12- نوري عبد المجيد، " **الاختلافات المذهبية ودورها في تغذية النزاعات والحروب في التاريخ الإسلامي**"، مجلة كان التاريخية، ع 31، السنة التاسعة، مارس 2016مـــ/جمادى الأولى 1437هـــ .

13- نويرة واعظ،" **مدى رسوخ مهدوية ابن تومرت في مختلف طبقات المجتمع الموحدي**"، دورية كان التاريخية، السنة الرابعة، ع **11**، مارس 2011مـــ، ربيع الأول 1432هـــ .

– ح – المراجع والدراسات باللّغات الأجنبية:

قائمة المصادر والمراجع

01- Camilla Adang, Maribel Fierro, Sabine Schmidtke, **Ibn Hazm Of Cordoba The Life and Works of a Controversial Thinker**, BRILL? Leiden. BOSTON? 2013 .

02- Khadijah Mohd Khambali, **Ibn Hazm on Christianity : An Analysis to His Religious Approaches**, World Journal of Islamic History and civilization, IDOSI Publication, 2011

03- Omar a. Farrukh Member of the Arab Academy , Damascus(Syria), **Zaharism,A Hstory of Muslim Philosophy**, Volume 01, Book 03, Al Isllam.org published On Books On Islam and Muslims

04- Salim Al-Hassani, Salah Zaimeche, **Ibn Hazm's philosophy and thoughts on scieence**, Victoria park, Manchester, United Kingdom, fstc limited, 2003- 2004 .

05- Samir Kadouri, Dissimulation des opinions politiques sou contrôle Le cas d'Ibn Hazm à Séville, Al-QAntara,xxxv 01, enoro- junio ; 2014 .

المدحق

– الملحق رقم: 01:

بعض الأمثلة المنتقاة من المسائل الفقهية في المذهب الظاهري.

* أواني الذهب والفضة يحرم الشراب والأكل فيها، ولا يحرم كسبها .
* واجب الاستياك بالأراك أو غيره في الوضوء على رأي إسحاق بن راهوية شيخ داود وإذا توضأ أحد وصلى دون يستاك فصلاته باطلة .
* الخمر محرم لكنه غير نجس .
* لا يلزم الوضوء لحمل القرآن أو قراءته".
* لمس المرأة ولو كانت طفلة عمرها ساعة يوجب الوضوء لقوله تعالى:" أو لامستم النساء ولو كان لمسا بأصبع.
* عند قضاء الحاجة لا يكره استقبال القبلة ولا استدبارها خلافا للمالكية .
* في الوضوء غسل اليدين إلى المرفقين ليس واجب بل قريب منهما يكفي .
* إذا أجنبت المرأة ثم حاضت وجب عليها غسلان، غسل للجنابة وآخر للحيض خلافا لبقية المذاهب .
* الجنابة لا تمنع قراءة القرآن .

– أحمد بكير محمود ، **المدرسة الظاهرية بالمشرق والمغرب**، دار قتيبة للطباعة والنشر والتوزيع، ط 01، 1990مـــ، **ص 26** .

– الملحق رقم: 02

قول المنذر بن سعيد البلوطي في العدالة والقضاء

قال القاضي أبو الحسن: كان شيخنا القاضي أبو عبد الله بن عياش الخزرجي يستحسن من كلام القاضي منذر قوله في التزكية: " اعلم أن العدالة من أشد الأشياء تفاوتا وتباينا، ومتى حصّلت ذلك عرفت حالة الشهود، لأن بين عدالة أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وعدالة التابعين رضي الله عنهم فوتا عظيما، وتباينا شديدا، وبين عدالة أهل زماننا وعدالة أولئك مثل ما بين السماء والأرض، وعدالة أهل زماننا ما هي عليه بعيدة التباين أيضا. والأصل في هذا عندي، والله الموفق، أن من كان الخير أغلب عليه من الشر، وكان متترها عن الكبائر، فواجب أن تعمل شهادته، فإن الله تعالى قد أخبرنا بنص الكتاب أن من ثقلت موازينه فهو في عيشة راضية، وقال في موضع آخر "فأولئك هم المفلحون"، فمن ثقلت موازين حسناته بشيئ لم يدخل النار، ومن استوت حسانته وسيئاته لم يدخل الجنة في زمن الداخلين أولا، وهم أصحاب الأعراف، فذلك عقوبة لهم، غذ تخلفوا عن أن تزيد حسناتهم على سيئاتهم، فهذا حكم الله في عباده . ونحن كلّفنا الحكم بالظاهر فمن ظهر لنا أن خيره أغلب عليه من شره حكمنا له بحكم الله في عباده، و لم نطلب له على الباطن، ولا كلّفه محمد صلى الله عليه وسلم، فقد ثبت عنه أنه قال:"غنما أنا بشر، وإنكم تختصمون على، فلعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأحكم له على نحو مما أسمعّ . فأحكام الدنيا على ما ظهر، وأحكام الآخرة على ما بطن، لان الله تعالى يعلم الظاهر والباطن، ونحن لا نعلم إلا الظاهر، ولأهل كل بلد قوم قد تراضى عليهم عامتهم ، فبهم تنعقد مناكحهم وبيوعهم، وقد قدموهم في مساجدهم ولجمعهم وأعيادهم، فالواجب على من استقضي على موضع أن يعمل شهادة أمثالهم وفقهائهم وأصحاب صلواتهم، وإلا ضاعت حقوق ضعيفهم وقويهم، وبطلت أحكامه . ويجب عليه أن يسأل إن استراب في بعضهم في الظاهر والباطن عنهم، فمن لم لبث عنده عليه اشتهار في كبيرة فهو على عدالة ظاهرة، حتى يثبت غير ذلك . انتهى .

المقري شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، **أزهار الرياض في أخبار عياض**، ضبطه وحقّقه وعلّق عليه، مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري، عبد الحفيظ شلبي، مطبعة فضالة، د ت، **ج 02**، **ص**، 296- 297 .

– الملحق رقم 03:

بعض المسائل التي ردّ فيها الظاهرية على المالكية من خلال كتاب البيان والتنبيه الذي ردّ عليه ابن أبي زيد القيرواني في كتابه الذب على مذهب مالك

رقم المسألة	المسائل الفرعية التي رد فيها صاحب "التنبيه والبيان " على مالك	وجوه الردود وأسبابها الأصولية
1	باب مسألة الرضاع بعد الحولين	مخالفة ظاهر القرآن والسنة ومباينة قول الأمة
2	باب في قبض اليتامى أموالهم ببلوغ النكاح والرشد	مخالفة ظاهر الكتاب، والتفريق بين ما حكمه واحد دون دليل
3	باب إقرار المريض لوارثة بدين	مخالفة ظاهر الكتاب والتفريق بين أمرين حكمهما واحد فيه
4	باب في البيع إلى الجداد والحصاد	خلاف ظاهر القرآن والتحديد بالمجهول
5	باب في شهادة العبد والقانع وولد الزنا	مخالفة عموم القرآن وتخصيصه دون دليل والتحكم دون حجة شرعية
6	باب في شهادة أحد الزوجين لصاحبه والأب والإبن أحدهما للآخر	مخالفة عموم القرآن وتخصيصه دون دليل ومخالفة المعنى والتناقض
7	باب نكاح المريض	تقييد ما أطلقه الشرع دون نص ولا اتفاق والتناقض في الأحكام ومخالفة الصحابة
8	باب طلاق المريض	مخالفة حكم الله والتناقض في الأحكام والاعتماد على الشبهة وليست من الحجج
9	في شهادة الصبيان	مخافة ظاهر القرآن والإجماع والتناقض والتفريق بين ما لا يفترق في الشرع والتحكم دون دليل

10	في المحرم يقتل الصيد خطأ	مخالفة دليل الخطاب
11	باب في نكاح العبد بغير إذن سيده، أو المرأة بغير إذن وليها، وكيف إن أجازا	التفريق بلا دليل من كتاب ولا سنة ولا إجماع والتناقض، والتفرق بين ما لا يفترق
12	في إعطاء المرأة لزوجها من زكاتها	تخصيص عموم القرآن دون دليل، ومخالفة مقتضى التصرفات الشرعية والتفرق بين ما لا يفترق
13	باب في العبد يباع لغرماء المفلس أو الميت فيهلك الثمن بيد الأمين ثم استحق العبد في وطء الاب أمة ابنه	خلاف حكم الكتاب والسنة بغير دليل ومخالفة الإجماع
14	في وط ء الأب أمة ابنه	خلاف ظاهر القرآن، والتفريق بين ما لا يفترق بدون دليل

- أبو زيد القيرواني أبو محمد عبد الله ت (386هـ/996م)، **الذّبُّ عن مذهب مالك في غير شيء من أصوله وبعض مسائل من فروعه وكشف ما لبس به بعض أهل الخلاف، وجهله من محاج الأسلاف**، دراسة وتحقيق محمد العلمي، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، الرابطة المحمدية للعمل، الرباط، المغرب الأقصى، ط 01 2011م. **م 01**،ص - ص 161 / 164 .

الفهارس الفنية

فهرس الآيات القرآنية

01- "لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ" سورة التوبة، الآية رقم (122).....ص 21.

02- " وَمَا كَانَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ"، سورة التوبة، الآية رقم: 122.....ص 22 .

03- :" كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ" سورة البقرة، الآية رقم: 180.....ص 48 .

04- "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ أَطِيعُواْ اللّهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً" (سورة النساء، الآية رقم :59).....ص 50.

05- " وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ، إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا " سورة الإسراء، الآية رقم: 23..... ص 50-51 .

06- " قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا "، سورة الكهف الآية رقم 66.....ص 55 .

07- "ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ سورة النحل، الآية.....ص 79.

08- "وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ سورة العنكبوت، الآية رقم :46.....ص 79.

09- " وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ " سورة العنكبوت ، الآية رقم: 46 .....ص 81.

10-" أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا

يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾ سورة الزمر، الآية رقم: 09.....ص 112.

11- وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾" سورة فاطر، الآية رقم : 28 .....ص 112 .

12- " إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾" سورة النساء، الآية رقم : 105 .....ص 114.

13- "أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَٰكِينَ يَعْمَلُونَ فِى ٱلْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا"، سورة الكهف ، الآية رقم: 79.....ص 118.

14- " إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُواْ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٥٨﴾ سورة النساء، الآية رقم: 58 .....ص 120.

15- " أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾، سورة الشعراء، الآية رقم : 128..... ص 121.

16- "وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾، سورة الزخرف، الآية رقم :33 ..... ص 123.

17- "ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ۖ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ۗ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ ، - سورة المائدة، الآية رقم : 05..... ص 156-157 .

18-" ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ ۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ ﴿٥﴾"، سورة المائدة، الآية رقم (05)..ص 158.

19- " "وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ

فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثًا ، سورة النساء، الاية رقم 78- .....ص 163 .

20- "يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلۡكُفَّارَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ وَٱغۡلُظۡ عَلَيۡهِمۡۚ وَمَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ ، سورة التوبة، الآية رقم : 73..... ص 166.

21- " وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلۡأَنۡعَـٰمِ مُخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخۡشَى ٱللَّهَ مِنۡ عِبَادِهِ ٱلۡعُلَمَـٰٓؤُاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ"، سورة فاطر، الآية رقم :28 ..... ص 176 .

22-"وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالاً نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ"، سورة النحل، الآية رقم: .....43. ص 176 .

23- "قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَـٰبِ ﴿٩﴾ ، سورة الزمر، الآية رقم:09 ..... ص 176.

24- " وَقَالُوٓاْ أَسَـٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٱكۡتَتَبَهَا فَهِيَ تُمۡلَىٰ عَلَيۡهِ بُكۡرَةً وَأَصِيلاً ﴿٥﴾ قُلۡ أَنزَلَهُ ٱلَّذِي يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ فِي ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّهُۥ

كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا"، سورة الفرقان، الآية رقم : 05 – 06..... ص 178.

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

01-" تَرَكْتُ فِيكُمْ أَمْرَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا مَا تَمَسَكْتُمْ بِهِمَا: كِتَاب اللهِ وسُنَّةَ نَبِيِّهِ"..... ص أ.

02- "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".....ص 22 .

03- "لا وصية لوارث".....ص 48 .

04- " تعمل هذه الأمة برهة بكتاب الله وبرهة بسنة رسوله وبرهة بالرأي فإذا عقلوا ذلك فقد أضلوا ".....ص 50 .

05- " إن عرض لك قضاء ؟ قال: أقضي بما في كتاب الله، قال: فإن لم يكن في كتاب الله قال: فبسنة رسول الله، قال: فإن لم يكن في سنة رسول الله، قال: أجتهد رأي، قال: فضرب بيده في صدري وقال: الحمد لله الذي وفق رسول الله لما يرضاه رسول الله"..... ص 51 .

06- " من سلك طريقا يطلب فيه علما سلك الله به طريقا من طرق الجنة، وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطالب العلم، وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض والحيتان في جوف الماء، وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب، وإن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما، ورّثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر"..... ص 55.

07– "فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورّثوا العلم ومن أخذ به أخذ بحظ وافر"..... ص 112.

08–" الأرواح جنود مجنّدة ما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف".....ص 153 .

09– " فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا دينارا ولا درهما وإنما ورّثوا العلم ومن أخذ به أخذ بحظ وافر"..... ص 176.

10– "قيّدوا العلم بالكتاب".....ص 178.

فهرس الأعلام

– أ –

أبا الحسن بن المغلس: ص 58-
أبا العباس بن سريج: ص 44-
أبا بكر بن الجد: ص 99-
أبا محمد عبد الحق بن عبد الله بن عبد الحق المهدوي القيرواني: ص 190.
أبا نصر يوسف: ص 46-
إبراهيم القادري بوتشيش:ص: ز–
إبراهيم بن حسن بن عبد الرفيع التونسي: ص 193.
إبراهيم بن خلف السنهوري: ص 104-
ابن أبو مروان أحمد بن عبد الملك أبو جعفر: ص 102-
ابن أبي زيد: ص 132-143.
ابن أبي شيبة: ص 99.
ابن الأحمر: ص 132-
ابن الخطاب أبو علي بن يوسف المعافري: ص 91-104-
ابن الرومية أحمد بن محمد بن مفرج أبو العباس: ص 91-105-172- 180.
ابن الريوالي القاسم بن الفتح بن محمد أبو محمد: ص 89-
ابن العريف الصوفي: ص 147-
ابن الفرضي: ص 58- 59-71-
ابن الفرضي: ص
ابن القيم الجوزية: ص 64-
ابن المالقي: ص 91-
ابن المشاط: ص 46-143-166.

ابن المغلس: ص 44-46-143-
ابن المنذر النيسابوري: ص 73-
ابن النديم: ص 41-42-
ابن النغريلة: ص 160-161-163-
ابن بشكوال: ص: خ-199-
ابن بقي أحمد بن يزيد: ص 90.
ابن تومرت:ص 95- 96- 97-135-140-
ابن تيمية: ص 64-
ابن حبيب: ص 132-
ابن حزم الأندلسي: ص: أ-ب- ث-ج-د-ذ- ش-ص-39-40-41-46-47-
48-49-52-59-62-63-64-65-77-82-83-84-85-86-87-88-
89-91-93-94-101-103-108-109-110-126-127-132-133-
140-144-145-146-147-148-150-151-152-153-154-155-
156-157-160-161-163-164-165-166-167-168-169-170-
171-172-178-181-182-184-188-189-190-191-193-194-
195-197-198-199-200-201-
ابن حوط الله: ص 143-
ابن خروف الحضرمي الأندلسي: ص 191-
ابن خزر: ص 90.
ابن خلدون: ص 49- 50-79-116-117-130-197-
ابن خلكان:ص37-
ابن خيرون: ص 75-
ابن دحية الكلبي: ص 101-
ابن دحية عمر بن الحسن بن علي: ص 91-105-
ابن ذمام: ص 139-

ابن راهوية: ص 36- 37-
ابن رشد محمد بن عمر أبو عبد الله السبتي: ص 91-106-
ابن رشد: ص 173-182.
ابن رشيق:ص 85-
ابن زرقون المالكي: ص 101- 132-191.
ابن سريج: ص 46-
ابن سيد الناس: ص 105-180-195.
ابن شريح: ص 143-
ابن شهاب الزهري:ص 36-
ابن صاحب الصلاة: ص 135-
ابن عبد البر القرطب: ص 64-
ابن عريف الصوفي: ص 145-146-
ابن عقيل الظاهري: ص: ب-
ابن عماد: ص 147-
ابن كثير:ص: 34-35-
ابن مردنيش: ص 137-138-
ابن مرزوق: ص 113-
ابن مضاء القرطبي الظاهري: ص 101-103-179-193-194-
ابن ولاد: ص 61-
ابن يبكي: ص 106-
ابن يونس: ص 99-132-
أبو زيد القيرواني: ص 139-140-
أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن هارون المراد الأسفي: ص 169.
أبو الإسعاد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: ص 168.
أبو الحسن حيدرة بن عمر الزندوردي: ص 45-

أبو الحسن شريح: ص 92-
أبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخرزي: ص 45-
أبو الخطاب بن دحية الكلبي السبتي: ص 169.
أبو الخيار مسعود بن سليمان بن مفلت: ص 150-
أبو الدرداء رضي الله عنه: ص 55-
أبو العباس المعجوقي: ص 80-
أبو العباس النباتي: ص 41-
أبو العلاء إدريس العراقي الحسيني: ص 107-
أبو الفرج الفامي الشيرازي: ص 45-
أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي الأموي: ص
أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي الأموي: ص
أبو القاسم أحمد بن يزيد بن بقي الأموي: ص 90-104-119-180.
أبو القاسم بن فارس الغرناطي: ص 139-
أبو المجد الطرطوشي: ص 191-
أبو الوليد الباجي: ص 87-201-
أبو الوليد بن البارية: ص84-126-
أبو بكر الصديق رضي الله عنه: ص 50-
أبو بكر بن العربي: ص 93-94-145-147-147-190-
أبو بكر بن داود: ص 46- 42-
أبو بكر محمد بن إسحاق القاساني: ص 45-
أبو بكر محمد بن علي بن العربي: ص 179.
أبو بكر محمد: ص 43-
أبو جعفر المنصور:ص: 28-
أبو جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري: ص 62- 64-
أبو حامد الغرناطي: ص 56-

أبو حامد الغزالي: ص 57-
أبو حامد محمد العربي: ص 106-
أبو حفص عمر بن عبد الله بن عمر الفاسي: ص 107-
أبو حنيفة النعمان: ص – أ- 24-26-28-29-50-80-
أبو حيان الأندلسي محمد بن يوسف النفزي: ص 91-106-
أبو رافع الفضل: ص 126-
أبو زكرياء الزواوي: ص 106-
أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الفاسي الفهري: ص 106-
أبو سالم عبد الله بن إدريس السنوسي: ص 107-
أبو سعيد بشر بن الحسين: ص 45-
أبو عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي: ص 45-
أبو عبد الله الشيعي: ص 80-
أبو عبد الله بن عوف:ص 87-
أبو عبد الله سدوسي:ص: 32-
أبو عبد الله محمد المسناوي الدلائي: ص 107-
أبو عبد الله محمد بن المبارك اللمطي: ص 107-
أبو عبد الله محمد بن وضاح: ص 59-
أبو عثمان سعيد بن الحداد: ص 80-
أبو علي البغدادي إسماعيل بن القاسم القالي: ص 124-
أبو علي الغساني: ص 91-
أبو علي بن عبد الله السمرقندي: ص 45-
أبو علي حسن بن مسعود اليوسي: ص 106-
أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن المكوي: ص 81-
أبو عمرو: ص 169.
أبو محرز بن عبد الله: ص 80.

أبو محمد سفيان بن أحمد بن عبد الله: ص 89-
أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الاشبيلي: ص 139.
أبو محمد عبد الكريم بن عبد الواحد الحسني: ص 106-
أبو يعقوب يوسف: ص 100.
أبو يعقوب: ص 138-
أبو يوسف: ص 109-
أبوالخير: ص 149-
أبي الحسن بن زرقون: ص 132-
أبي الحسن علي بن القطان الفاسي: ص 191-
أبي الحسن علي بن محمد بن خيار البلنسي: ص 169.
أبي الخيار مسعود بن سليمان: ص 144-
أبي العباس ابن ولاد: ص 73-
أبي العباس أحمد بن رشيق:ص 84-
أبي العباس النباتي: ص 105-
أبي القاسم بن حمدين: ص 137-
أبي الوليد الباجي: ص 87-
أبي الوليد بن البارية: ص 145-
أبي بكر الصديق رضي الله عنه: ص 86-
أبي بكر بن المنذر: ص 61-
أبي بكر بن خلف الأنصاري المواق: ص 191.
أبي بكر بن داود: ص 143-
أبي بكر بن عمر: ص 139-
أبي جعفر أحمد بن إبراهيم الغرناطي: ص: خ-
أبي داود: ص 98-99-
أبي زيد القيرواني: ص:د- 30-

أبي سعيد فرج بن محمد نصر: ص 106-
أبي طالب عقيل بن عطية القضاعي: ص 192.
أبي عبد الله الثوري:ص:35-
أبي عبد الله محمد الكاتب الوزير بن غالب االبلنسي:ص: ص-
أبي يعقوب: ص 99-
أبي يوسف يعقوب: ص 131-
أبي يوسف: ص 133-
أثير الدين أبو حيان النحوي: ص 106-
إحسان عباس: ص 155-
أحسن زقور:ص: 23-
أحمد البرهان: ص 40-
أحمد الورياجلي الصغير: ص 193-
أحمد بكير محمود: ص: ت- ر-
أحمد بن أبي الحجاج يوسف بن علي الفهري: ص 191-
أحمد بن حنبل:ص: 24-
أحمد بن رشيق: ص 126-
أحمد بن سعيد بن حزم: ص 63-
أحمد بن صابر القيسي الشاعر: ص 106-
أحمد بن طاهر بن علي أبو العباس الخزرجي: ص 91-105-
أحمد بن عبد الرحمن اللخمي: ص 118-
أحمد بن محمد القيسي: ص 114-
أحمد بن محمد بن أبي الخليل مفرج الأموي: ص 169-181.
أحمد بن محمد بن أبي الخليل: ص 173.
أحمد بن يزيد بن عبد الرحمن بن بقي بن مخلد: ص 101-
أحمد مختار العبادي: ص 96-

أسد بن الفرات:ص:30- 74-80-
إسماعيل بن الأحمر: ص 97-
إسماعيل بن يونس: ص 163-
الأعمش:ص 36-
أنخيل جنالث بالنثيا :ص: ر- 141-
الأوزاعي:ص:24-34- 35-
آيت ييغز: ص 139-

- ب -

الباجي: ص 78-197-200-201-
باديس بن حبوس: ص 160-
البخاري: ص 56-
البراذعي: ص 132-
البزّار: ص 98.
بقي بن مخلد: ص 59-
بكر بن العلاء: ص 191-
بكر بن خلف بن سعيد: ص 91-

- ت -

الترمذي: ص: د- 98-
توفيق بن أحمد الغلبزوني الإدريسي: ص: ت-ص-

- ث-

الثوري: ص: 24-

-ج-

جابر بن غلب بن سليمان أبو محمد الجذامي: ص 92-
جعفر محمد بن محمد بن خيرون المعافري:ص 75-

- ح -

- خ -

حَبُوسْ: ص 160-166.
الحجوي: ص : 21-22-25-
الحسن البصري: ص: 24-
الحسن بن علي المسيلي: ص 191-
الحسين بن أبي خترير: ص 62-
الحكم المستنصر: ص 60-
الحكم: ص 122-
حمدون بن عبد الرحمن بن الحاج السلمي المرداسي: ص 107-
حمزة بوروبة: ص : ض-
الحميدي: ص 59-64-89-173-181-
الخشني:ص 59-
الخضر العبد الصالح: ص 55-
خضر بن محمد بن نمر أبو الحسن التجيبي: ص 102-
الخطيب البغدادي:ص36- 37-41-43-
الخلال: ص 58-
الخليل بن أحمد: ص 61-
الخير بن محمد بن خزر: ص 125-

- د -

داود بن إبراهيم بن يوسف بن كثير الأصبهاني: ص 90.

داود بن علي الأصبهاني: ص: أ-ج-26-39-40-41-42-43- 45-46-47-52-58-62-64-72-75-89-133-146-

الدباغ: ص 75-

الدّرقطاني: ص 99.

الديباجي: ص 58.

– ذ–

الذهبي: ص: ذ- 42-184-

– ر–

رويم بن أحمد: ص 58.

– ز –

زكرياء الساجي: 42-

زناتة: ص 155-

الزهري: ص34-

– س –

سبويه: ص 194-

سحنون بن سعيد التنوخي:ص: 30-98-101-109-132-

السرخسي: ص 169-173-182-

سعد السعود بن أحمد بن هشام أبو الوليد الأنصاري: ص 104-

سعد السعود بن أحمد بن هشام بن إدريس: ص 103- 179-

سفيان الثوري: ص أ-34-

سفيان بن عيينة:ص: 33- 39-

سليمان بن حرب: ص: 42-

سمير قدوري: ص: ز .

– ش –

الشاطبي: ص 97-
الشافعي: ص- أ- 24-30-40-42-50-80-
الشرازي أبي إسحاق الشافعي:ص: خ- 43-
شعبة بن الحجاج:ص34- 36-
شمس الدين الذهبي:ص: خ-
شنجول: ص 114-
الشنقيطي: ص 198-
الشهرستاني: ص 50-51-

– ص –

الصديق رضي الله عنه: ص 127-178-
صدّيقي عبد الجبار:ص: ز-96-

– ض-

الضبي: ص 59.

– ط –

الطرطوشي: ص 140-
طه عبد المقصور: ص 61-73-
الطيب بن عبد المجيد بن كيران: ص 107-

– ع –

عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها: ص 149-
عبد الباقي السيد عبد الهادي: ص: ت-ر-96-

عبد الحكم: ص 73-
عبد الحميد بن أبي البركات الطرابلسي: ص 191-
عبد الحي بن محمد بن الصديق الغماري: ص 107-
عبد الرحمن الناصر: ص 73-148-
عبد الرحمن بن أحمد بن خلف أبو أحمد بن الحوات: ص 89-
عبد الرحمن بن خلدون: ص:د- 155-
عبد الرحمن بن محمد الأموي: ص 125-126-
عبد الرحمن بن معاوية: ص 114-115-
عبد الرحمن بن هشام بن عبد الجبار: ص 126-
عبد الرحمن بن يحيى بن الحسن أبو القاسم القرشي: ص 102-
عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال بن برجان: ص 102-172-
عبد السلام بن عبد الرحمن: ص 179.
عبد الصمد بن أحمد بن سعيد أبو محمد الأموي: ص 91-
عبد العزيز الحربي: ص: ب-
عبد العزيز بن محمد أبو الأصبغ بن سهل: ص 191-
عبد العزيز بن محمد أبو العلاء البصري: ص 191-
عبد القادر بوعقادة:ص: ز- 38- 141-
عبد الكريم بن عبد المالك بن عبد الله البجاني: ص 104-
عبد الله أحمد بن سعيد بن يربوع الاشبيلي الظاهري: ص 102-
عبد الله بن أحمد بن سعيد بن يربوع: ص 150-
عبد الله بن إسماعيل أبو محمد الاشبيلي: ص 90-
عبد الله بن المبارك:ص 36-
عبد الله بن سليمان بن داود: ص 104- 119-
عبد الله بن طاهر الصقلي الحسيني: ص 100-105-118-
عبد الله بن طلحة أبو بكر اليابري الاشبيلي: ص 191-

عبد الله بن فروخ: ص 74-
عبد الله بن قاسم بن هلال:ص: س- 58-59-64-72-
عبد الله في أبي سليمان: ص 58-
عبد الله: ص 102-
عبد المؤمن بن علي: ص 95-97-101-132-136- 147-171-
عبد المجيد تركي: ص 154-
عبد المجيد نوري: ص 129-
عبد المقصور أبو عبية: ص 38-
عبيد الله المهدي: ص 62-
عبيد الله بن يحيى اللّيثي: ص 60-
عثمان بن عفان رضي الله عنه:ص85-
عقبة بن الحجاج السلولي: ص 116-
عقبة بن نافع الفهري: ص 65-73-
علّق عبد الواحد المراكشي: ص 98-99-
على المديني: ص 62-75-
علي بن أبي طالب رضي الله: ص 112- 127-149-
علي بن سعيد العبدري أبو الحسن الميورقي: ص 90.
علي بن سعيد الميورقي: ص 169-180.
علي بن عبد الله المعافري الظاهري: ص 143-
علي بن عبد الله بن الخطاب: ص 103-119-
علي بن محمد بن رزين الجزيري: ص 139-
علي جمعة:ص: 24-
علياء هاشم ذنون المشهداني: ص:ز-
عماد جميل عبد الرحمن عبيد: ص 184.
عمر بن الخطاب رضي الله: ص 117-127-

عمر بن الخياط: ص 138-
عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: ص 120.
عمرو بن مرزوق: ص 42-
عمروا بن دينار:ص 36-
عياض: ص 46- 143-
عيسى بن الملجوم: ص 118-
عيسى بن سهل:ص: ص-
المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: ص 164-

- غ -

الغبريني: ص:

- ف -

فاروق النبهان: ص: 25-
الفاروق عمر رضي الله عنه: ص 127-178-
الفراء: ص67.
فرج بن حديدة المقرئ: ص 89-195-
فضل بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: ص 89.

- ق -

قاسم بن أصبغ: ص 59.
القاضي عياض: ص:ش – 135- 136-139-
القضاعي أبو المجد الطرطوشي: ص 231-
القعنبي: ص 42-

قيس بن رفاعة:ص: 36-

- ك-

الكسائي:ص 67-

- ل-

لسان الدين بن الخطيب:ص: خ-
الليث بن أحمد بن حريش العبدري القرطبي: ص 86-145-
الليث بن سعد: ص أ-
ليون الإفريقي:ص: س-

- مـ -

ا لمعتمد بن عباد: ص 126-
المازري: ص 190-
مالك بن أنس: ص: أ- 24-26-29-30-34-50-61-80-82-84-86-
140-178-
المأمون:ص:32-
محمد إبراهيم بن أحمد الكتاني: ص 107.
محمد أبو زهرة: ص: ر-
محمد الأمين الشنقيطي: ص: ر-
محمد الأندلسي: ص 193-
محمد الزمزمي بن محمد بن صديق الغماري: ص 107-
محمد المروزي: ص 43-
محمد المنتصر بالله الكتاني: ص 107-
محمد المنوني: ص 96-
محمد الناصر لدين الله بن محمد الزمزمي الكتاني: ص 107-

محمد أمركالن: ص 139-
محمد بن إسحاق: ص 42-
محمد بن الحسين بن أحمد: ص 92.
محمد بن تومرت الهرغي: ص 95-134-147-
محمد بن جرير الطبري:ص37-
محمد بن حسين بن أحمد بن محمد الأنصاري: ص 172- 180.
محمد بن سعيد: ص 87-
محمد بن سليمان بن محمود الخولاني الظاهري: ص 90.
محمد بن شريح الرعيني: ص 150-
محمد بن عبد البر الكسيباني: ص 124-
محمد بن عبد الرحمن النتيفي: ص 107-
محمد بن عبد السلام السائح: ص 107-
محمد بن عبد الله بن الهود الماسي: ص 135-
محمد بن عبد الله بن طالب الظاهري: ص 88-90.
محمد بن عبد الله بن مروان التلمساني: ص 103-119-
محمد بن عبد الملك بن أيمن: ص 59-
محمد بن عمر المروذ: ص 62-
محمد بن عمرو الزروالي: ص 107-
محمد بن قاسم: ص 59-
محمد بن كثير العبدي: ص 42-
محمد بن محمد رفيع: **ص: ر-**
محمد بن مرزوق: ص 156-
محمد بن نصر: ص 62-75-
محمد حمزة بن علي الكتاني: ص 168-
محمد عبد الله عنان: ص 96-

مدين بن موسى بن أبي العافية المكناسي: ص 125-
المستظهر بالله: ص 63-
مسرهد: ص 42-
مسعود بن سليمان أبو الخيار الشنتريني: ص 88-
مسعود بن سليمان بن مفلت: ص 59-
مسلم: ص 56-
مصطفى الهروس:ص:23-
المعتصم:ص:32-
المعتضد بالله عباد: ص 195-
المقري شهاب الدين التلمساني: **ص: خ-**
المقريزي:ص 40-
مكي بن أبي طالب: ص 85-145-
منذر بن سعيد البلوطي: **ص: س-**41-58-59-60-61-62-64-72-73-117-118-121-122-123-124-125-127-129-144-148-150-169-179-
المنصور الموحدي:ص 40- 103-
المنصور محمد بن أبي عامر: ص 63-
المنصور: ص 96-101-103-104-132-171-
المهدي بن تومرت: ص 57- 96-97-140-171-
مهدي بن مسلم: ص 116-
موسى عليه السلام: ص 55- 165-

- ن -

الناصر بن المنصور: ص 100.
الناصر: ص 60-61-117-118-121-122-123-124-125-
النباهي: ص 115.

النسائي: ص 98.
نفطويه: ص 50-

- هـ -

هارون الرشيد: ص68.
هرقل: ص 155-
هشام بن المعتد بالله بن محمد بن عبد الرحمن الناصر: ص 126-
هشام بن غالب الغافقي أبو الوليد الوثائقي: ص 89.

- و -

الواثق:ص: 32-
الواقدي: ص130-
الوزان الحسن:ص: ذ--
الوليد بن عبد الملك:ص: ص 29-
الونشريسي: ص: ر- 156-

- ي -

ياقوت الحموي:ص: ذ-
يحي بن غانية: ص 136.
يحيى بن أبي كثير: ص34-
يحيى بن عبد العزيز الخزار: ص66-
يحيى بن معين: ص 62-75-
يحيى بن يحيى: ص 109-
يحيى بن يزيد: ص 114-

يعقوب المنصور: ص 96-97-98-99-100-108-
يعقوب بن علي بن أحمد بن سعيد بن حزم: ص 90.
يعقوب بن يوسف: ص 137.
يوسف بن النغريلة: ص 160-
يوسف يعقوب المنصور: ص 171.
يونس بحري:ص: ز.

* فهرس المواقع والقبائل *

– أ –

الأندلس: ص:ث-خ- ص-24-29-35- 40- 52-58-59-60-61-63-64-65-66-68-69-71-72-75-81-83-84-87-88-90-104-114-118-129-133-140-143-147-148-150-156-157-166-171-182-198-199-
إفريقية: ص: 29-35-74-109-
آمل: ص 41 –
أصفهان: ص 41-
اشبيلية: ص 64-90-102-103-104-118-119-126-147-169-173-181-
الأهواز: ص67.
أندة: ص 104-119-
آمل: ص 37-

– ب –

باب البصرة: ص 67.
باب الشام:ص67.
باب الفراديس:ص: 34-
باب الكوفة:ص 67-
باب أمسيون: ص 106-
باب خراسان:ص67.
بجاية: ص 69-106-139-195-

البحر الرومي: ص 129-
البحرين:ص67.
البصرة:ص: 24-35-67-74-
بغداد:ص: س-24-28-30- 32-36-37-39-41-43-52- 54-65-66-
67-68-69-71-72-73-74-75-89-191-
البقيع:ص: 30-
بلاد إفريقية: ص 102-172-
بلاد السند:ص40-
بلاد الشام:ص: خ-
بلاد العجم:ص: 29-
بلاد المشرق: ص 54-
بلاد المغرب الإسلامي:ص: ث-ج-ح-ذ-29-54-65-92-124-159-177-
بلاد المغرب: ص: د- ذ- س- 39- 40-57-58- 61-64-69-70-73-75-
77-80-81-82-87-88-93-95-96-98-101-108-109-110-
113-116-120-126- 129-133-137-139-140-141-143-
144-145-146-148-158-169-171-178-190-191-198-199-
201-
بلاد فارس:ص 39-
بلاد ما وراء النهر:ص: 29-
بلدة كاشان: ص 41-
بلنسية: ص 82-125-
بيت الحكمة: ص68.
بيت المقدس: ص 165-
بيروت:ص: 34-

- ت -

التبت:ص:67 .
الترك: ص67 .
تلمسان:ص69- 103-
تونس: ص 105-193-195-

- ج -

جامع الزهراء: ص 122-
جامع طنجة: ص 196-
جامع قرطبة: ص 144.
جامعة الجزائر 01: ص: ز.
جامعة الجزائر02: ص : ز .
جامعة الحاج لخضر باتنة: ص: س .
جامعة الموصل: ص: ض-
جامعة أم القرى: ص 168.
جامعة تلمسان: ص: ز .
جامعة معسكر:ص : ص: ز .
الجزائر: ص 133.
جزولة: ص 138-139-
الجلاب: ص 137.

- ح -

الحبشة:ص67.
الحجاز:ص: 29-50-67-
الحجون: ص 36-

- خ -

خراسان: ص: 29-35-
الخزر:ص67.
الخزرج: ص 168.
الخليج العربي: ص: ب-

- د -

دار الهجرة:ص: 29--
دجلة: ص 67-
دكالة: ص 138.
دمشق:ص:34-
الديلم:ص67.

- ر -

رحراجة: ص 138.

- ز -

زناتة: ص 131-
الزهراء: ص 143-

- س -

سبتة: ص 104-119-136-138-173-182-
سجلماسة: ص 70-
سلا: ص 104-119-
السند: ص77-

- ش -

الشام: ص: 24-29-32-34-35-68-69-
شبه الجزيرة العربية:ص: 26-
شبه جزيرة إيبيريا: ص 159.
شمال إفريقيا: ص 69.
الشونيزية: ص 43.

- ص -

صقلية: ص: ث-
الصين:ص : 29-67-

- ط -

طنجة: ص 138.

- ع -

العراق: ص: 28-29-32-37-39-49-54-58-59-62-69-74-124-
عمان: ص 39-

- غ -

الغرب الإسلامي: ص: 21-
غرناطة:ص: خ- 104-119-140-160-
غزة: ص: 30-

- ف -

فارس:ص: 35-67-
فاس:ص 69-70-98-103-118-
فحص البلوط: ص 60-

الفرات: ص 67-

– ق –

القادسية: ص 130-

القادسية: ص 155-

القاهرة: ص 40-

قرطبة: ص: 60- 62-63-66-69-70-71-72-73-81-85-89-90-

101-103-104-114-115-117-118-119-120-137-180-

قرقشندة:ص:33-

قريش: ص 237-

قشان: ص: 41-

قصر الزهراء: ص 122-149-

قلعة بني حماد: ص 106-

القليوبية:ص:33-

القيروان: ص 62-65-69-70-73-74-75-

– ك–

كاشان:ص: 46-

كزنة: ص 60.

الكوفة:ص:24-28- 36-41- 67-74-

– ل –

لبلة: ص 64-103-

لبنة: ص 179-

لمطة: ص 139.

لورقة: ص 137-

– مـ –

بمقبرة قريش: ص 62.
ماردة: ص 60-
المدرسة الظاهرية: ص 62.
مدرسة العراق: ص 28-
مدرسة الكوفة:ص: ص28-
مدينة الزهراء: ص 61-121-
مدينة السلام: ص 67-71-73-
المدينة المنورة:ص: 24-25-29-32-68-71-74-
مراكش: ص 69-101-102-105-106-118-120-
مرسية: ص 104-119-137-
مرو:ص36-
المرية: ص 138-172-180-
مسجد اشبيلية: ص 195.
مسجد الزهراء: ص 60-
مسجد السيدة الكبرى: ص 62.
مسجد القيروان: ص 65-
مسجد قرطبة: ص 150-
المشرق الإسلامي:ص: س-67-72-
المشرق: ص : أ-ث-خ-س-40-45- 52-56-57-59-61-65-66-68-
69-71-72-90-109-109-147-178-201-
مصر: ص 24-29-30-33-40-68-69-71-
المغرب الأدنى:ص: ث-73-133-
المغرب الإسلامي: ص : ب-ث-ج-ذ-س-62-70-71-73-75-95-109-
113-115-141-177-196-202-

المغرب الأقصى: ص: ب- ت-ث- 56-133-
المغرب الأوسط:ص: ث-133-
المغرب: ص: أ-ث-خ-ذ-29- 35-40-45-52-57-58-59-61-62-65-
66-68-69-78-81-87-99-100-102-104-105-109-114-
118-133-134-136-143-169-171-172-178-180-193-199-
201-
مغيلة: ص 147-
مكة: ص: 25-30-32-36-37-61-68-71-74-
ميورقة:ص 84-89-104-119-126-

- ن -

نيسابور: ص 68.

- هـ -

هزميرة: ص 138.
هسكور: ص 138.
الهند: ص: 29-67-

- و -

واسط:ص67.
وهران: ص 103.

- ي -

اليرموك: ص 130-
اليمامة:ص67-178-
اليمن: ص: 30-32-

* فهرس الأديان والفرق المذاهب*

مذهب ابن حزم: ص 102-105-

مذهب ابن شهاب الزهري: ص 38-

مذهب أبي ثور:ص 37-

مذهب إسحاق بن راهوية:ص:36- 68-

مذهب الأوزاعي: ص: س-34- 52- 54-68-

المذهب الباطني: ص 147-

مذهب الثوري: ص: س-35-68-

مذهب الحسن البصري: ص 37-

المذهب الحنبلي: ص: ب-23-68-

المذهب الحنفي: ص:أ-23-28-40-50-54-57-68-109-202-

المذهب الشافعي: ص: ب-30- 40- 46-64-68-143-202-203-

مذهب الطبري: ص 52 -68-

مذهب الطبري: ص37-

المذهب الظاهري: أ- ب-ت-ث-ج-ح-خ-د-ذ-ر-س-ش- 21-23-32-
38-39-40-45- 46-47-48-49-52-54-57-58-59-60-61-
62-63-64-65-66-68-70-72-73-75-77-78-79-81-82-
84-88-91-93-95-96-97-98-99-100-101-104-106-
107-108-109-110-112-113-116-117-118-119-120-
124-125-126-127-128-129-130-131-133-134-137-
139-141-143-144-145-146-148-150-154-156-158-
159-161-164-166-167-169-170-171-172-174-177-

-201-200-198-197-196-195-192-191-189-180-179
-202
مذهب الليث بن سعد: ص: س-33-68-
المذهب المالكي:ص:أ-ش-ص-23-29-40-46-48-50-54-57-58-61-
-101-100-99-98-97-95-93-87-86-82-81-75-68-66
-141-139-137-134-133-132-131-129-109-108-103
-202-200-190-145-144-143
مذهب المدونة: ص 101.
مذهب النظر والجدل: ص 60.
مذهب أهل الحديث: ص 103.
مذهب داود: ص 43- 44-46-58-90-106-143-
مذهب سفيان بن عينية: ص 68-
مذهب سفيان بن عيينة:ص:36-
مذهب شعبة بن الحجاج: ص 38-
مذهب عامر بن شراحيل الشعبي: ص 37-38-
مذهب عطاء بن أبي رباح: ص 38-
مذهب محمد بن سيرين: ص 37-
مذهب محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: ص 37-
مذهب مكحول الدمشقي: ص 38-

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات .

- **إهداء .**
- **شكر .**
- **قائمة الاختصارات**
- **مقدمة:** .....ص: أ – ص .
- **الفصل التمهيدي: المذهب الظاهري نشأته وأصوله** .....ص: **20** .
- **01**– مراحل نشأة الفقه في التاريخ الإسلامي.....ص: **21**.
- **02**– المذهب الظاهري نشأته وأعلامه بالمشرق.....ص: **33**.
- **03**– أصول المذهب الظاهري .....ص: **47** .
- **الفصل الأول: عوامل انتقال المذهب الظاهري إلى المغرب الإسلامي**.....ص: **53**.
- **01**– رحلات المغاربة إلى المشرق في طلب العلم.....ص: **54**.
- **02**– دور بغداد موطن نشأة المذهب الظاهري.....ص: **65**.
- **الفصل الثاني: عوامل انتشار المذهب الظاهري وسيادته بالمغرب الإسلامي**....ص: **76** .
- **01**– مناظرات ابن حزم الظاهري.....ص: **77**.
- **02**– موقف دولة الموحدين من المذهب الظاهري.....ص: **95**.
- **الفصل الثالث: دور المذهب الظاهري سياسيا**.....ص: **111** .
- **01**– المناصب التي تقلدها فقهاء المذهب.....ص: **112**.
- **02**– الخلافات المذهبية وانعكاساتها على الوضع السياسي للمنطقة.....ص: **129**.
- **الفصل الرابع: دور المذهب الظاهري اجتماعيا ودينيا**.....ص: **142** .
- **01**– دور المذهب الظاهري اجتماعيا.....ص: **143**.
- **02**– دور المذهب الظاهري دينيا.....ص: **159** .
- **الفصل الخامس: دور المذهب الظاهري علميا وفكريا**.....ص: **175**.
- **01**– إسهامات فقهاء المذهب من خلال الكتابة والتأليف.....ص: **177**.
- **02**– إسهامات فقهاء المذهب من خلال الجدل والمناظرات العلمية.....ص: **196**.
- **الخاتمة:**.....ص: **204**.

فهرس المحتويات .

– **قائمة المصادر والمراجع**.....**ص: 207** .

– **الملاحق**:.....**ص: 228**.

– **الملحق رقم 01**: بعض الأمثلة المنتقاة من المسائل الفقهية في المذهب الظاهري....**ص: 229**.

– **الملحق رقم 02**: قول منذر بن سعيد البلزطي في العدالة والقضاء.....**ص: 230**.

– **الملحق رقم 03**: بعض المسائل التي ردّ فيها الظاهرية على المالكية من خلال كتاب البيان والتنبيه الذي ردّ عليه ابن أبي زيد القيرواني في كتابه الذب على مذهب مالك.....**ص: 232**.

– **الفهارس الفنية**: .....**ص: 234**.

– فهرس الآيات القرآنية.....**ص: 235** .

– فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.....**ص: 241**.

– فهرس الأعلام.....**ص: 243**.

– فهرس المواقع والقبائل.....**ص: 262**.

– فهرس المذاهب والفرق.....**ص: 270**.

فهرس المحتويات.....**ص: 272** .